شرح أحاديث في الفتن والحوادث

مقدمة الشارح

الحمد لله، وصلى اللهم وسلم وبارك على عبده ورسوله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، نبدأ معكم –أيها الأخوة الأحباب– هذه الدروس في هذه الدورة العلمية المباركة، نفعنا الله وإياكم بما علّمنا، وزادنا وإياكم علما وهدى وتوفيقا.

العلم الشرعي المستمد من كتاب الله وسنة رسوله –عليه الصلاة والسلام– هو العلم على الحقيقة، هو العلم الذي يوجب الشرف، ويوجب السعاة والسيادة الحقيقية، وأهل هذا العلم هم الذين أثنى الله عليهم، واستشهدهم على وحدانيته، وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وهم الذين ضمن الله لهم الرفعة، قال تعالى: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ [1].

هذا العلم المستمد من كتاب الله وسنة رسوله –عليه الصلاة والسلام– هو للعقل بمثابة النور، يعني هو نور للعقل، كما أن الله هو النور الحسي، نور للعين الحسية، كما يقول ابن القيم معبرا عن هذا المعنى، يقول: نور النبوة مثل نور الشمس للعين البصيرة فاتخذه دليلا .

فينبغي لكل مسلم أن يُعنَى بهذا العلم، ويجتهد فيه بتحصيل، ويجتهد في تحصيله ولا سيما من منحهم الله أسبابه، الأسباب الذاتية الخلقية منها الإدراك والفهم والمواهب الذهنية، وكذلك من هيأ الله له الأسباب المعينة منها الفراغ، وكذلك الصحة في بدنه، والكفاية المالية وأنه لا يشغله طلب المعاش والقوت، بل هو قد يسر الله له الكفاية بأي سبب من الأسباب التي قدرها الله –سبحانه وتعالى– وأباحها وأنعم بها.

وهذه الدورات العلمية التي يقوم عليها المهتمون بنشر العلم، هذه أيضا من الفرص التي تُغتَنَم ويُختَار لها هذا الوقت، وقت الفراغ من كثير من المشاغل المعتادة والارتباط بالدراسات النظامية والمنهجية، فجدوا واجتهدوا واحتسبوا، نسأل الله لنا ولكم حسن القصد وحسن العمل.

والعلوم الشرعية مدارها على ثلاثة، يعني وأقسامها ثلاثة: العلم يعني معرفة الله، ومعرفة الطريق الموصلة إليه، ومعرفة الجزاء وأمور الدار الآخرة، لكن العلوم الشرعية بحسب تفريع العلماء لها وتنويع العلماء لها هي كبيرة؛ التفسير، وهو بيان معاني القرآن، هذا يشمل المعاني التي في القرآن، وهي أنواع، في التوحيد يختص

---

١ – سورة المجادلة آية : ١١.

بما يتعلق بمعرفة الله –سبحانه وتعالى– وما يتعلق بأصول الاعتقاد كالإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالرسل، أصول الاعتقاد الستة، الأصول الستة.

وهناك علم الحديث، علم الرواية، وعلم الدراية، علم الحديث يختص بما يتعلق بما جاء عن الرسول –عليه الصلاة والسلام– من قوله أو فعله أو تقريره؛ لأن هذا هو الحديث، فالحديث في مصطلح العلماء: هو كل ما نسب إلى الرسول –عليه الصلاة والسلام– قولا أو فعلا أو تقريرا، يعبر عن هذا بالسنة، سنة الرسول –عليه الصلاة والسلام– القولية والفعلية والتقريرية.

وقد قيض الله لسنة نبيه –عليه الصلاة والسلام– حفاظا من الصحابة، ثم التابعين، ثم من تبعهم، ثم قيّض الله لها من يجمعها من أفواه الرواة ويرتبها، وصنف العلماء أنواع المصنفات في الحديث؛ المسانيد، والسنن، والصحاح، ومن أشهر ذلك الأصول الستة، الأمهات الست: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وغيرها من المصنفات كثير.

ومن التصانيف في الحديث المختصرات، فهذه أمهات فيها جمع الأحاديث مرتبة على الأبواب وبالأسانيد، لكن هناك المختصرات، وهي المصنفات التي عنيت بجمع الأحاديث، متونها مع عزوها لمصادرها الأصلية، وهذا التصنيف يعني أهل العلم تتنوع مقاصدهم في التصنيف، فمنهم من يقصد إلى جمعه، يعني الصحيح، ومنهم من ينتخب من الأحاديث أنواعا معينة، وهذه المصنفات مرتبة على الأبواب، أبواب العلم، ولا يقتصر فيها على نوع، بل يشمل ذلك كل أنواع السنة، فتذكر في هذه المصنفات الأمهات تذكر فيها المعاني كل ما يتعلق بالمسائل والأحكام العملية أو المسائل الاعتقادية، مثل: كتاب والقدر، والتوحيد، والإيمان.

ومن الكتب والأصناف التي أيضا أودعها الأئمة في كتبهم ما يُعرف بكتاب الفتن، تجد كتاب الفتن موجود في هذه الأمهات، والذين ألّفوا المختصرات وانتقوها من هذه الأمهات أيضا سلكوا نفس المسلك، منهم من نهج منهج الشمول، ومنهم من اقتصر على أنواع من العلم، كالذين مثلا عُنوا بأحاديث الأحكام، مثل منتقى الأخبار لمجد الدين بن بركات عبد السلام بن تيمية، هو أعظم وأجمع كتاب لأحاديث الأحكام، ومنها بلوغ المرام، ومنها عمدة الأحكام، كلهم عمدوا وقصدوا التصنيف في أبواب الأحكام العملية، ولم يقصدوا إلى ذكر ما يتعلق بالعقائد، بالتوحيد، بالنبوات، باليوم الآخر، بالقدر.

وكذلك صنف العلماء مصنفات من الأحاديث، وانتقوها من الأحاديث مما يختص بالعقائد، ومنها –من أبواب العقائد– ما يتعلق بالفتن.

ويقصد العلماء بهذا العنوان ما ورد مما يكون في آخر الزمان من الحوادث، والأمور العظام، والأمور الغريبة، ومنها أيضا المصائب التي أخبر الرسول ﷺ عنها.

وكما قلت: إن الذين صنفوا في السنة التصنيف العام أفردوا للفتن كتابا أو أبوابا كما في صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وفي السنن، ومن المختصرات في هذا الموضوع هذا الكتاب الذي بين أيديكم للإمام المجدد –رحمه الله– الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الإمام المصلح الذي قام بالدعوة المباركة، دعوة التجديد والإصلاح، والدعوة إلى التوحيد، وتجريد التوحيد مما علق به وما خالطه من خرافات من أنواع الشرك الأصغر والأكبر.

فالشيخ الإمام –رحمه الله– قد أحيا الله به سننًا أميتت، وقمع الله به بدعا وخرافات، وصنف المصنفات لتحقيق هذا الغرض لبيان أصل الدين الذي هو التوحيد بأنواعه، ولا سيما توحيد العبادة الذي فيه الخصومة بين الرسل وأممهم، وهو الذي وقع فيه الخلل في سائر الأمم، ووقع فيه الخلل كذلك في هذه الأمة، فهذه الأمة وقعت فيما وقع فيها من قبلها من الأمم، مصداقا لقوله –عليه الصلاة والسلام–: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة» فدخل على هذه الأمة الإسلامية بسبب الجهل والإعراض عن فهم كتاب الله وسنة رسوله –عليه الصلاة والسلام– على ما فهمه السلف الأول، دخل على هذه الأمة أنواع من البدع وأنواع من الباطل، بدع اعتقادية، وهي قديمة، وبدع عملية، وهي متأخرة أكثر من غيرها، فإن الشرك في العبادة الذي مظهره القبورية، إقامة المشاهد على القبور، والأبنية على القبور، والطواف على القبور، هذه جاءت متأخرة.

فالله قيّض هذا الإمام –رحمه الله– لتجلية التوحيد عما علق به من الخرافات والشبهات، فنفع الله به وبدعوته أهل هذه البلاد وغيرهم، وسارت آثارها في أقطار العالم الإسلامي، وانتفع بها ما شاء الله من العباد.

وقد صنف –رحمه الله– المصنفات لهذا الغرض، فصنف المصنفات الصغيرة للمبتدئين، منها الأصول الثلاثة، ومن أعظم ما ألف في هذا الشأن كتاب التوحيد، ذلك الكتاب العظيم، كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ومن خير المصنفات في هذا أيضا كشف الشبهات من المختصرات، مع رسائله المختلفة للأشخاص والجماعات في سائر البلاد.

وله مصنفات حديثية، ومن المصنفات الحديثية هذا الكتاب الذي بين أيدينا، ويذكر الذين حققوه أنهم وجدوه بخط من نقله من خط الشيخ، وذكروا أنه لم يكن مبوبا، ولم توضع له مقدمة ولا خطبة، وعلل ذلك لعله كان مسودا ولم يبيضه، فلم يستكمل ما يحتاج إليه التأليف من التقديم والتبويب، ثم الذين أخرجوه ونشروه وضعوا له تلك العناوين والأبواب، وعلقوا عليه، وقد حُقق هذا الكتاب عندما قامت جامعة الإمام

بجمع مؤلفات الشيخ وترتيبها وتحقيقها، حقق هذا ضمن مجموعات مؤلفات الشيخ، وكتاب الفتن فيه قسم الحديث صنفوا مؤلفات الشيخ –أظن في تسع مجلدات– وقسموها على أصناف العلوم، ومنها قسم الحديث، ومما شمله قسم الحديث هذا الكتاب، كتاب الفتن هذا الذي بين أيديكم، وقد رأى القائمين على هذه الدورة أن يكون من برامج هذه الدورة كتاب الفتن للإمام الشيخ محمد بن الوهاب الإمام المجدد رحمه الله.

باب الفتن

حديث بادروا بالأعمال الصالحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

قال -رحمه الله-: عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: بادروا بالأعمال الصالحة فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا رواه مسلم .

الكتاب عندكم معنون أم لا؟ أينعم يا شيخ -معنون ومبوب. تُرجم هذا المصنف بكتاب الفتن أخذا من مضمون الكتاب مما اشتمل عليه من الأحاديث، فهي أحاديث الفتن، يتبعها أشراط الساعة .

الحديث الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: بادروا بالأعمال الصالحة فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا.

الفتن جمع فتنة، وأصل الفتن قال أهل اللغة: أصله الاختبار وإدخال الذهب في النار لتمييز جيده من رديئه وإزالة خبثه، هذا أصله، وصار هذا اللفظ يطلق على أشياء، وأكثر ما يطلق عليه معنى الاختبار والابتلاء الذي هو الاختبار، ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [1] يعنى ابتلينا، ابتلى الله المؤمنين بالكفار والكفار بالمؤمنين، وقال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ ﴾ [2] هو ابتلاء، ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ ﴾ [3] ابتلاء، وهذا كثير.

---

١ - سورة الأنعام آية : ٥٣.

٢ - سورة الأنبياء آية : ٣٥.

٣ - سورة التغابن آية : ١٥.

.....

يطلق الابتلاء على الفتنة يراد بها التعذيب ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [1] فتنوهم: عذبوهم في ذات الله، ويطلق على ما يفضي، وكذلك قال –سبحانه وتعالى–: ﴿ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ۝١١ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ۝١٤ ﴾ [2] فيطلق الفتنة تطلق بمعنى التعذيب، وعلى ما يفضي إلى العذاب، وهي الكفر والمعاصي والشرك ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٦٣ ﴾ [3] جاء عن الإمام أحمد –رحمه الله– أنه قال : أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعلهم إذا ردوا بعض قوله أن يزيغ قلبه فيهلك، أو كما قال رحمه الله.

وقال –سبحانه وتعالى–: ﴿ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ ﴾ [4] الشرك والكفر أشد من القتل.

﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ ﴾ [5].

المقصود أن هذا اللفظ يأتي على هذه الوجوه، وأيضا تُطلق الفتنة على أنواع ما يُبتلَى به الخلق، ومنها الحروب، ولا سيما الحروب التي لا يتميز فيها المحق من المبطل، مثل ما سيأتي في الحديث 📖 إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي 📖 فهذه الحروب العمياء التي لا يتميز فيها المحق من المبطل هي فتن من ناحية ما ينشأ عنها من مصائب وأضرار عظيمة، ومن جهة ما يحصل بسببها أيضا من الضلال لمن يستجيب لها ولدعاتها.

---

١ – سورة البروج آية : ١٠.

٢ – سورة الذاريات آية : ١٠–١٤.

٣ – سورة النور آية : ٦٣.

٤ – سورة البقرة آية : ١٩١.

٥ – سورة البقرة آية : ٢١٧.

.....

وكذلك الفتن المعنوية، فتن الشهوات وفتن الشبهات هي فتن من جهة أنها فيها ابتلاء، تعرض الإنسان لها ابتلاء، ومن جهة أنها تفتن من لا بصيرة له أو لا صبر له، تفتنه وتصرفه عن دينه، وتصده عن هدى الله.

هذه كلمة عامة عن مفهوم الفتن والفتنة، وهذا اللفظ كثير في القرآن وكذلك في السنة.

في هذا الحديث يقول ﷺ: بادروا بالأعمال الصالحة فتنا يعني سابقوا الفتن، بادروها، بادروا الفتن بالأعمال الصالحة، يعني اجتهدوا في الأعمال الصالحة قبل أن تنزل بكم تلك الفتن، بادر الهرم، بادر بالعمل الصالح الهرم أو الكبر، يعني سابق قبل أن تصير إلى الكبر والضعف والعجز، بادروا بالأعمال الصالحة فتنا، يعني اسبقوها، سابقوا إلى الأعمال قبل أن تنزل بكم هذه الفتن المدلهمة كقطع الليل المظلم هذه الفتن واضح من وصفها بقولك كقطع الليل المظلم أنها فتن تصد وتعوق عن الأعمال الصالحة، وتصد عن سبيل الله، فتن مظلمة، شبهها الرسول بقطع الليل المظلم الشديد الظلمة السواد كقطع الليل المظلم.

يدخل في ذلك دعوات الباطل المختلفة من دعوات البدع ودعوات الكفر، وكذلك الدعوات إلى الحرام، والدعوات إلى البدع الاعتقادية والعملية، أو الدعوات إلى الفجور والمعاصي، فما دام الإنسان في وقت العافية فينبغي له أن يبادر بالأعمال الصالحة قبل أن تنزل به هذه الفتن، وهذا يتضمن الخبر عما سيكون، وأنها ستكون فتنا، فالرسول يوصي أصحابه بالمبادرة بالأعمال الصالحة قبل تلك الفتن التي إما أن تعوق عن الأعمال الصالحة أو توجب ضلالا وانحرافا، إما أن تعوق، أقل ما يحصل أن تعوق، أو يحصل منها الضلال والانحراف.

بعد ما مات رسول الله –عليه الصلاة والسلام– جاءت أمور بدأت الفتنة بالردة، ردة كثير من العرب، هذه فتنة، ولكن الله دفعها بما وفَّق له خليفة رسول الله ﷺ وسائر الصحابة لما وفقهم له من قتال المرتدين ودحر هذه الفتنة العظيمة، هذه محنة.

ولما استقر الأمر بعد هذه المصيبة وهذه القاصمة، استقر الأمر إلى ما شاء الله، ثم جاءت الفتنة التي لم تنطفئ الفتن بعدها، وهي قتل عثمان رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ .

كان عمر أيضا كما جاء في حديث حذيفة الطويل كان بابا، لما سأل عن الفتن قال: سألت عن الفتنة التي تموج كموج البحر، قال: بينك وبينها يا أمير المؤمنين باب، مغلق، قال: أيكسر الباب أم يفتح؟ قال: يكسر، قال: إذن لا ، إذن لا يغلق، بعد مقتل عمر ﷺ كانت الأمور دونما كان الأمر عليه، فأسلم العهود عهد

.....

الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر، بعد مقتل عمر استقر الأمر إلى ما شاء الله، ولكن بدأت البذور، بدأت بذور الفتن وظهرت بقتل الخليفة الراشد البار العابد عثمان ﷺ وتتالت بعد ذلك الفتن، واقرءوا التأريخ.

الفتن، فتن النزاعات والحروب، نزاعات على الإمرة، على السلطة، الخروج، ولم يزل هذا الأمر متواصلا، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، فهذه الفتن متواصلة، 🕮 بادروا بالأعمال الصالحة فتنا كقطع الليل المظلم 🕮.

هذا جانب من جوانب الفتن، أقول: إن الفتن المضلة تشمل الفتن السياسية، والفتن العلمية الاعتقادية أو العملية، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، بسبب ما يتعرض له من الدعوات الباطلة، وما يُدعَى إليه.

والاعتصام بالعمل الصالح وملازمة العمل الصالح هو من أسباب العصمة من هذه الفتن، فمن استقام على دين الله في أوقات السلامة، في أوقات السلامة، كان ذلك سببا في عصمته من تلك الفتن الطارئة العارضة، والمعتصَم من جميع الفتن هو كتاب الله وسنة رسوله –عليه الصلاة والسلام–، فبهما العصمة من الفتن، من كل الفتن، الاعتصام بكتاب الله وسنة رسول الله –عليه الصلاة والسلام– 🕮 بادروا بالأعمال الصالحة فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، ويصبح كافرا ويمسي مؤمنا، يبيع دينه بعرض من الدنيا 🕮.

إذن من أسباب الضلال والافتتان هو إيثار الدنيا على الآخرة، يمكن مثلا دعوات الإلحاد مما تقوم عليه الإغراءات، الإغراء بالمال، فالدعوات الباطلة –سواء دعوات الكفر والإلحاد والنصرانية مثلا أو غيرها من ملل الكفر ومن مذاهب الكفر– أحيانا تقوم على الإغراء بالمال، فقد يكفر الإنسان إيثارا للدنيا، ومن أجل الدنيا، وهذا قد وقع ويقع قديما وحديثا 🕮 يبيع دينه بعرض من أعراض الدنيا 🕮 إما أن يبيع دينه، يعني ينسلخ ويقبل يرتد عن الإسلام من أجل منصب، من أجل مال يُعطى إياه ويدفع إليه، من أجل وعود، وإما أن يتنازل عن شيء من دينه، يبيع دينه بعرض من الدنيا، وهذا من أخطر ما يكون، فنسأل الله لنا ولكم الثبات. نعم.

حديث ويل للعرب من شر قد اقترب

وعن البخاري عن زينب بنت جحش -رضي الله عنها- ﷺ أن النبي ﷺ خرج يوما فزعا محمرا وجهه يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها، قالت: فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث ﷺ .

زينب بنت جحش أم المؤمنين -رضي الله عنها- تذكر أنه -عليه الصلاة والسلام- دخل عليها، أو خرج ودخل عليها، وفي بعض الروايات أنه استيقظ محمر الوجه وهو يبدو عليه التأثر ويقول: ﷺ لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب ﷺ ويل، هذا تعبير عن الخطر المتوقع، ويل للعرب من شر قد اقترب، لعله أُوحي إليه أو رأى في منامه ما يدل على هذا، وفسر بقوله: ﷺ فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بين إصبعيه السبابة والتي تليها ﷺ يعني الإبهام، فُتح: يعني الشيء اليسير، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج، وفُسر هذا الردم بالسد الذي أقامه ذو القرنين كما جاء القرآن، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، ووصفه بالفعل.

ويأجوج ومأجوج ذكرهم الله في القرآن: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [1] وجاء ذكرهم في قصة ذي القرنين، يعني أمم عظيمة من البشر أشرار مفسدون ﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [2] الآيات. وهذا يدل على أن في خروجهم شرا على البشرية على الناس، ﷺ ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج ﷺ جعل فتحَ هذا المقدار أو حصول هذا المقدار في ردم يأجوج ومأجوج اقترابا للشر.

---

١ - سورة الأنبياء آية : ٩٦.

٢ - سورة الكهف آية : ٩٤-٩٥.

.....

والاقتراب وقُرب الشيء أمر نسبي لا يمكن في مثل هذه الأمور، لا يمكن أن يقدر بمجرد العقل، فلا ندري عن مقدار هذا الاقتراب، وعن موعد هذا الشر، موعد وقوع هذا الشر، وقد جاءت الأحاديث كما سيأتي الأحاديث الصحيحة في خروج يأجوج ومأجوج وأنهم سيخرجون في آخر الزمان بعد نزول المسيح، وأن المسيح والمؤمنين يعتصمون منهم بالطور، وأنهم يفسدون في الأرض، ثم يهلكهم الله –سبحانه وتعالى– ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [1] فقالت أم المؤمنين –رضي الله عنها– لما رأت من الرسول ما رأت وسمعت منه ما قال: أنهلك وفينا الصالحون؟ وإن كان الصالحون موجودين بيننا قال: نعم إذا كثر الخبث والمراد بالخبث الخبث المعنوي، الكفر والمعاصي والذنوب هي الخبث.

إذا كثر الخبث، أنواع الفجور، الزنا، وشرب الخمور، وأكل الربا، وما سوى ذلك من أنواع الشرور المعنوية العملية، الشرور العملية، إذا كثر الخبث، وهذا يشهد بأن الصالحين يهلكون مع من يهلك، ويعم الأمر، تنزل العقوبات عامة، فإن كان هؤلاء الصالحون قد اتقوا الله وقاموا بما يجب عليهم من الإنكار أو كانوا عاجزين، أما من كان قادرا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم يقم به فلا يصدق عليه اسم الصلاح؛ لأنه عاص من جملة العصاة.

لكن الصالحون إما أن يكونوا قائمين بما يقدرون عليه من الأمر بالمعروف ومقاومة الخبث، وإما أن يكونوا عاجزين، إما أن يكونوا قائمين بما يجب عليهم ولكن لم يستجب لهم، أو يكونوا عاجزين، فتنزل العقوبات عامة، فيهلك الصالح والطالح، ويبعث الناس على نياتهم كما ورد في مثل هذا المعنى في الجيش الذي يغزو الكعبة فيخسف بأولهم وآخرهم وفيهم من ليس منهم، فلما سئل الرسول –عليه الصلاة والسلام– قال: يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم فقد تأتي العقوبة عامة ويهلك فيها ما شاء الله من الصالحين، ويكون فيها تمحيص لهم ورفع لدرجاتهم.

أرأيتم ما وقع في غزوة أحد؟ هل كانت بمعصية جميعهم؟ هل كل من أصيب يعني كان عاصيا؟ لا، أصيب الكثير من المسلمين، لكن كان السبب معصية البعض، فحصل الابتلاء، وحصلت الحكم التي أرادها الله سبحانه وتعالى ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ

---

١ – سورة الأنبياء آية : ٩٦.

.....

لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [1] ونكتفي اليوم بهذا القدر، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه.

س: أحسن الله إليك، وهذا سائل يقول: لماذا خص النبي ﷺ بقوله: ويل للعرب دون غيرهم من المسلمين؟

ج: لا إله إلا الله، ذكر أهل الشرح راجع الفتح في هذا قالوا: لأن معظم المسلمين في ذلك اليوم كانوا العرب، فجاء التخويف يعني أضيف الخوف إليهم، الخوف عليهم؛ لأن معظم المسلمين في حياة الرسول وبعد حياة الرسول إلى أن فتحت الفتوح في سائر الأقطار كان معظم المسلمين من العرب، نعم هذا هو ما قاله بعض الشراح، والله أعلم.

س: أحسن الله إليكم، يقول: فضيلة الشيخ في قول النبي ﷺ: «ما من زمان إلا والذي بعده شر منه» .

ج: هذا سيأتي.نعم

س: أحسن الله إليك، هذان سؤالان حول موضوع التفجيرات وما مر بالمسلمين فيقول: هل هذا من الفتن؟ وما نصيحتكم للشباب، وجزاكم الله خيرا؟

ج: نعم، هذه التفجيرات من الفتن، ولهذا ماذا حصل بسببها؟ حصل الهرج والمرج، والقيل والقال، والاضطراب في الكلام، وفي الأحكام، وفي الأقوال، وفي التصرفات، هي فتن، يعني من الناس من يقول: هذا من الجهاد في سبيل الله، ومنهم من يقول: إن هؤلاء مجرمون، وربما أفضى ببعض الناس إلى الغلو إلى أن يكفرهم أو يقنطهم من رحمة الله، هي نعم من الفتن، والله المستعان، وهذا أمر بيّن.

أحسن الله إليكم، وأثابكم ونفعنا بعلمكم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

بارك الله فيكم ، وفق الله الجميع .

---

١ - سورة آل عمران آية : ١٤٠-١٤١.

حديث إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم

ولمسلم عن أسامة رضي الله عنه: ﴿ أن النبي ﷺ أشرف على أطم من آطام المدينة ثم قال: هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر ﴾ .

الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

ولمسلم عن أسامة بن زيد –رضي الله عنهما– ﴿ أن النبي ﷺ أشرف على أطم من آطام المدينة ﴾ أشرف بمعنى صعد على أطم، أو أشرف وهو على أطم من آطام المدينة، والأطم: هو البناء العالي، فُسر بالحصن، يعني الحصن من حصون المدينة، ومن شأن الحصن أن يكون عاليا، فالرسول أشرف على المدينة من ذلك الحصن فقال: ﴿ هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن بين بيوتكم كمواقع القطر ﴾ الله أعلم كيف رآها، لا بد أن الله أطلعه على ما سيكون من تلك الفتن، لكن كيف رآها؟ رآها ممثلة؟ أو رآها يعني بقلبه لما أطلعه الله عليه فكأنها رأي عين، إني لأرى الفتن بين بيوتكم، كثيرا ما تطلق الفتن في الأحاديث على القتال، على قتال الظالم، وعلى قتال الملتبس الذي لم تتميز وتتحقق شريعته، تطلق الفتن على الهرج الذي هو القتل ﴿ إني لأرى الفتن بين بيوتكم، مواقع الفتن بين بيوتكم كمواقع القطر ﴾ .

وحمله العلماء –يعني باجتهاد، والله أعلم بحقيقة ذلك– حملوه على ما جرى عند يعني ما جرى في خلافة عثمان في آخر الأمر، عندما ثار عليه المفسدون والمغرضون والمنافقون، ثاروا عليه وتحججوا، وادعوا عليه دعاوى، وأحاطوا به، وتجمعوا في المدينة، وحاصروه في داره رضي الله عنه حتى قتلوه، فلما قتلوا الخليفة أصبحت المدينة تموج بأولئك الأوباش والأشرار، تموج، فهذه هي كبرى وأولى الفتن التي جرت في المدينة، وكفى بها مصيبة، مصيبة عظمى على الإسلام والمسلمين.

وكذلك ما جرى في المدينة من وقعة الحرة عندما غزاها الجيش في خلافة يزيد بن معاوية رضي الله عنه فاستبيحت، وارتكبت فيها العظائم من القتل والنهب والسلب، فلعل هذا من هذا، ولا نقطع بشيء، يعني هذا يقال على أساس أنه مما يحتمل أن يكون هو مما يدخل في مقصود الرسول ﷺ ﴿ إني لأرى الفتن مواقع الفتن بين بيوتكم كمواقع القطر ﴾ قال العلماء: كمواقع القطر يعني من حيث العموم، المطر إذا نزل على حي أو نزل على بلد تجده يصير عاما يشمل المنطقة التي عليها مثل السحاب، والله أعلم، ﴿ كمواقع القطر ﴾ قالوا: في العموم.

ويؤخذ من هذا أنه علم من أعلام النبوة –عليه الصلاة والسلام– ، فهو بهذا يخبر عما سيكون، وقد كان كما أخبر ﷺ . نعم.

حديث إن الفتنة تجيء من هاهنا

ولمسلم 🕮 عن سالم بن عبد الله أنه قال: يا أهل العراق، ما أسألكم الصغيرة! وما أركبكم الكبيرة! سمعت أبي عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الفتنة تجيء من هاهنا -وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان- وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض، وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ، فقال الله له ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ [1] 🕮 .

لا إله إلا الله، سالم بن عبد الله أحد الفقهاء، سالم بن عبد الله بن عمر يقول لبعض أهل العراق: 🕮 ما أسألكم عن الصغيرة وما أركبكم 🕮 ما أسألكم الصغيرة يعني: ما أسألكم عن الصغيرة، تسألون عن الصغائر ودقائق المسائل، والمسائل السهلة، وأنتم ترتكبون الكبائر العظائم، ما أسألكم الصغيرة! وما أركبكم الكبيرة! "ما" هي التعجبية، و"أسأل" فعل التعجب يكون مفتوحا 🕮 ما أسألكم الصغيرة! وأركبكم للكبيرة! 🕮 .

سمعت أبي عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ يقول: 🕮 الفتنة من هاهنا، وأشار بيده إلى المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان... 🕮 تأكيد، من حيث يطلع قرن الشيطان، تأكيد لقوله: من هاهنا، وأشار بيده إلى المشرق، يعني من حيث تطلع الشمس، والشمس ثبت في الحديث الآخر أنها تطلع بين قرني الشيطان، هذا أقرب ما يفسر به هذا الحديث فيما يظهر، تطلع بين قرني الشيطان وحينئذ يسجد لها الكفار.

يريد سالم إنكم يا أهل العراق مصدر الشر ومصدر الفتن، وكذا أخبر الرسول -عليه الصلاة والسلام- أن الفتنة تكون من هاهنا، وأشار بيده إلى المشرق، مشرق المدينة، والعراق شرق المدينة من حيث يطلع قرن الشيطان، وقد وقع الأمر كما دل عليه خبر الرسول -عليه الصلاة والسلام- ؛ إذ ظهر أكثر الفتن من جهة العراق، الفتن السياسية، الحربية، بالقتال، بالاقتتال، والفتن العلمية المعنوية، وذلك بما ظهر من أنواع البدع، فبدعة القدر ظهرت في العراق بالبصرة، وكذلك فتنة الرفض بالكوفة في عهد علي رضي الله عنه وكذلك الخوارج، كل هذه الفتن ظهرت هناك، ولم يزل الأمر هذا المشرق منشأ ومصدر يعني لأنواع الفتن، الفتن الاعتقادية، والفتن الحربية السياسية.

---

١ - سورة طه آية : ٤٠.

.....

وهذا أمر بين يدركه المتأمل للتأريخ، فاقرءوا التأريخ تجدون هذا الأمر عيانا مطابقا لما أخبر به –عليه الصلاة والسلام– ، وهذا لا ينفي وجود وظهور فتن في المغرب كما في هذه الأعصار، لا ينفي، لكن المشرق هو الأصل في هذا، وهو الذي ظهرت فيه الفتن في صدر الإسلام وفي القرون الأولى في القرون المفضلة، فقول الرسول لا يقتضي الحصر أن الفتنة لا تكون إلا من هاهنا، لكن لهذا الوجه ولهذه الجهة تميز، ولا يختص هذا بالعراق، بالعراق وما وراء العراق أيضا، لكن العراق هو الذي كانت فيه الخلافة من عهد علي ﷺ كانت فيه الخلافة فظهرت فيه الفتن، ظهرت كما قلت، حصل ما حصل من ظهور البدع الاعتقادية، كالقدر، والرفض، وبدعة الحرورية. نعم أعد الحديث الجزء الأخير.

عن سالم بن عبد الله قال: يا أهل العراق، ما أسألكم الصغيرة! وما أركبكم الكبيرة! سمعت أبي عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– يقول: سمعت رسول الله عليه وسلم يقول: إن الفتنة تجيء من هاهنا، وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض، وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون – وأنتم من هذا فيما يظهر أنه مُدرَج هذا الذي، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض، الذي يظهر لي أن هذا مدرج من كلام سالم. نعم يقول: وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض إيش بعده؟ – وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ، فقال الله له: ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ [1] .

يقول موسى –عليه السلام– قتل القبطي من شيعة فرعون، قتله خطأ واعتذر إلى ربه قال ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [2] وقال الله في الآية الأخرى ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ [3] الفتنة –كما تقدم– أنها الابتلاء، وتطلق على معانٍ منها الاقتتال والحروب، ومنها الضلالات والشبهات كما تقدم.

---

١ – سورة طه آية : ٤٠.

٢ – سورة القصص آية : ١٦.

٣ – سورة طه آية : ٤٠.

.....

وقوله تعالى: ﴿ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾ [1] فيها معنى الابتلاء، فالله ابتلى موسى بأن بعدما حصل منه ما حصل وقتل النفس تآمر عليه الملأ ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢٠ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [2] فهذا مما يدخل في هذا الفتون، والله أعلم. نعم.

١ – سورة طه آية : ٤٠.

٢ – سورة القصص آية : ٢٠.

حديث العبادة في الهرج كهجرة إلي

وله عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ أنه قال: «العبادة في الهرج كهجرة إليّ».

يقول: عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «العبادة في الهرج كهجرة إليّ» الهرج: جاء في تفسيره كما سيأتي بأنه القتل، يعني العبادة في وقت الفتن، فتن الحروب، فتن القتال، الحروب العمياء التي تكون بين المسلمين على غير بصيرة إما لشبهات وتأويلات، أم لنزاعات على الدنيا، كالحروب التي تكون نزاعات على السلطة، النزاعات التي تكون بين طلاب السلطان، طلاب السلطة، فإذا غلبت هذه الفتن على الناس فينبغي للعبد أن يعتزل هذه الفرق ويقبل على عبادة ربه مؤديا لفرائضه وقائما بأنواع العبادة، وليس المقصود فقط أنه يعتزل ويعبد ربه بنوع من العبادة بصلاة وصيام وتلاوة، العبادة أوسع من هذا المفهوم، يقوم بالعبودية لله بأنواعها، يؤدي الواجبات، يؤدي فرائض الله، يحافظ على الجُمع والجماعات، يأمر بالمعروف، ينهى عن المنكر إذا استطاع، إذا استطاع يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فهذا القائم بعبودية الله يقول فيه الرسول كهجرة إليّ.

«العبادة في الهرج كهجرة إلي» الهجرة إلى الرسول لها شأن عظيم، الله قرن الهجرة بالجهاد في سبيله في آيات كثيرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ ﴾ [1] ففي حال الفتن الحربية وغيرها، لكن الهرج هو المراد به القتل ، القتل ، فعلى الإنسان ألا ينساق مع الأهواء، ولا ينخرط في فريق من هذه الفرق، بل عليه أن يقوم بالعبودية لله، ويعبد ربه مؤديا للفرائض، قائما بالواجبات، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، فلا ينساق مع الأهواء، بل عليه أن يعتصم بكتاب الله وسنة رسوله –عليه الصلاة والسلام– ويحكمهما على نفسه وعلى غيره. نعم.

---

١ – سورة الأنفال آية : ٧٢.

حديث إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم

ولمسلم عن ابن عمرو -رضي الله عنهما- أن رسول ﷺ قال: (1) إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم؟ قال عبد الرحمن بن عوف: نكون كما أمر الله، فقال النبي ﷺ أو غير ذلك، تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون أو نحو ذلك، ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض (2) .

الله المستعان، لا إله إلا الله.

الرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول: كيف بكم إذا فتحت عليكم فارس والروم؟ هذا فيه الخبر بأنهم سيفتحون فارس والروم، وقد حصل، ففتح المسلمون بلاد فارس والروم، وأطاحوا بدولتي الفرس والروم، أطاحوا بهما وأزالوهما، وغنموا أموال الدولتين، كسرى وقيصر، الأحمر والأبيض، وأنفقهما الصحابة في سبيل الله، فوقع الأمر كما أخبر فتحت.

لكن كيف الحال بعد ذلك؟ هل استمر الأمر على ما كان عليه العهد الأول من الجهاد في سبيل الله، والإنفاق في سبيل الله، وإنفاق ما يغنمونه كذلك ووضعه في مواضعه؟ لا. حدثت أمور، وتغير الناس.

قال عبد الرحمن بن عوف الصحابي الجليل المفضل، أحد العشرة المبشرين بالجنة، قال: نكون كما أمر الله، أي نطيع ربنا، ونجاهد في سبيله، ونأمر بالمعروف، ونكون كما أمر الله، فقال: أو غير ذلك، ثم ذكر -عليه الصلاة والسلام- أن الأمر لا يكون، أمر الناس لا يكون كما ظن عبد الرحمن، لا يكون الناس على الاستقامة التي أمر الله بها العباد، لا ، تتغير الأحوال، يتنافسون في الدنيا، إذا فتحت فارس والروم، وغنم الناس الأموال، وأثروا بسبب ذلك حصلت النزاعات والخلافات، حصل الاقتتال والتقاطع والتدابر، وهذا قد حصل، وهذا كله ما حصل، إنما حصل بعد الفتنة الكبرى، بعد مقتل عثمان، أما قبل فكانت الأمور على السلامة.

وأزهى العهود -كما تقدم- عهد الخليفتين الراشدين أبو بكر وعمر، وكذلك صدر خلافة عثمان، كانت الأمور على أحسن ما يكون، ثم لما بدأت بذور الشر بذور الفتنة، وانتهت بقتل عثمان، حصل ما أخبر به الرسول -عليه الصلاة والسلام- من التقاطع والتدابر والاقتتال، وحصل ما حصل من القتل في المدينة كما تقدم، وهذا كله من أعلام نبوته -عليه الصلاة والسلام-.

-.....

والرسول يخبر بهذا على وجه الذم له والتحذير منه، ومعلوم هذا لا يحصل من الكل، لكن هذا إخبار عن أن هذا سيقع، وأنه واقع، ولا يلزم أن يكون هذا من الجديد، فوقعت الفتن، ودخل فيها مَن دخل مِن أصناف الناس، وعصم الله منها مَن عصم، ممن أكرمه الله بذلك، سواء بهذه الفتن التي حدثت في خلافة علي ﷺ كما وقعة الجمل وصفين، أو ما وقع قبل ذلك مما أدى إلى قتل عثمان، أو حدث بعد ذلك من الفتن والحروب والنزاعات على الإمرة، نعم، أعد الحديث.

ولمسلم عن ابن عمرو أن النبي ﷺ قال: 🕮 إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم؟ 🕮.

أي قوم أنتم؟ يعني ما حالكم من حيث الصلاح والاستقامة أو ضدهما. نعم.

🕮 قال عبد الرحمن بن عوف: نكون كما أمر الله، فقال النبي ﷺ أو غير ذلك، تتنافسون ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون أو نحن ذلك، ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين، فتجعلون بعضهم على رقاب بعض 🕮 نعم، بعده .

حديث ما الفقر أخشى عليكم

وله عن عمرو بن عوف ﷺ أن النبي ﷺ بعث أبا عبيدة إلى البحرين فأتى بجزيتها، وكان رسول الله ﷺ صالح أهل البحرين وأمَّر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف، فتعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ثم قال: أظنكم سمعتم أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين؟ قالوا: أجل يا رسول الله، قال: فأبشروا وأمّلوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تُبْسَط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوا فيها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم ﷺ وفي رواية: فتلهيكم كما ألهتهم .

عن عمرو بن عوف ﷺ أن النبي ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح أحد العشرة المبشرين بالجنة إلى البحرين ليأخذ منهم الجزية، أو ليقبض جزيتهم، وكان الرسول ﷺ قد أمَّر على البحرين العلاء بن الحضرمي، فجاء أبو عبيدة بما جاء به من المال من جزية آل البحرين، فسمع بذلك من سمع من الأنصار، فوافوا صلاة الفجر مع النبي ﷺ حضروا صلاة الفجر، يصلون، يرجون أن ينالوا نصيبا من هذا المال الذي جاء به أبو عبيدة، فلما صلى الرسول ﷺ وانصرف تعرضوا له، وقفوا في الطريق ﷺ وقفوا في طريقه، أو جاءوا قريبا منه، تعرضوا له، فقال: ﷺ لعلكم سمعتم أن أبا عبيدة جاء بشيء من البحرين؟ فقالوا: أجل ﷺ صراحة، ما قالوا جئنا نسلم ويكفون، لا ، قالوا أجل نعم بجد وصدق، أجل جئنا لأجل هذا ﷺ فقال –عليه الصلاة والسلام– ﷺ أبشروا وأملوا ﷺ هذه الكلمة هذه أثلجت صدورهم، قابلهم بالبشرى ولم يكفهر في وجهوهم، يقول أنتم طلاب دنيا، أنتم جئتم من أجل الدنيا، الإنسان مجبول على محبة الدنيا، حب الدنيا جبلة، جبلة في الإنسان أنه يحب المال، يحب مصالحه، وليس العيب في كون الإنسان يحب منافع الدنيا وشهوات الدنيا، العيب والذنب فيمن ينحرف في هذا الحب ويحمله حبه للدنيا على ما حرم الله؛ منعا لواجب أو أخذا لحرام.

أما طلب المال من حله فليس هذا بعيب، أبشروا وأملوا ما يسركم، ثم وجههم التوجيه الصالح الذي يجب أن يستقر في نفوسهم، وهو توجيه لهم وللأمة كلها، ثم قال: ﷺ فوالله ما الفقر أخشى عليكم ﷺ الفقر مفعول به منصوب مقدم ﷺ فوالله ما أخشى الفقر عليكم ﷺ ﷺ فوالله ما الفقر أخشى عليكم ﷺ لا أخاف عليكم من

.....

الفقر الذي هو قلة ذات اليد، فهذا أمره أسهل، إنما الخطر في الغنى، في المال، في البسط، وإنما أخشى أن تبسط عليكم الدنيا، تُبْسَط، وتعطون من متعها، من الأموال، من الذهب والفضة وأنواع المال 🕮 وإنما أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها أو فتنافسوا فيها كما تنافس فيها من كان قبلكم 🕮 تنافسوا .

التنافس يعني التغالب على الشيء، والتسابق إلى الشيء، فتنافسوا فيها، تتسابقون إلى نيلها، وإلى الظفر بأكبر قدر، تنافسوا فيها كما تنافس فيها من كان قبلكم، والتنافس على الدنيا التسابق عليها مذموم، إنما التنافس المحمود هو ما قال الله فيه ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [1] ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [2] أما الدنيا فلا ينبغي أن تكون موضع تنافس وتسابق.

ومن التنافس على الدنيا التكاثر، أن كل واحد يريد أن يكون أكثر من الآخر في الدنيا، التطاول في البنيان، يتطاولون، كل واحد يريد أن يكون قصره أطول وحظوظه من هذه الدنيا أعظم وأكثر 🕮 وإنما أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم، أو فتلهيكم كما ألهتهم 🕮 والإلهاء يؤدي إلى الهلاك.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [3] ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ ﴾ [4] فحظوظ الدنيا إذا ألهت عن ذكر الله، وعن القيام بما أوجب الله، كانت وبالا، وكانت سببا للهلكة، كانت سببا للهلاك.

فتهلككم بسبب التنافس، التنافس يتضمن الإيثار، إيثار الدنيا على الآخرة يؤدي إلى إيثار الدنيا على الآخرة، وهذا يتضمن طلب المال أو غيره من حظوظ الدنيا من غير حله، ويؤدي إلى الشح وإلى البخل بما

---

١ – سورة المطففين آية : ٢٦.

٢ – سورة الصافات آية : ٦١.

٣ – سورة المنافقون آية : ٩.

٤ – سورة التكاثر آية : ١-٢.

-.....

أوجب الله، ولهذا أثنى الله على أولئك الرجال ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [1] مدحهم بأنها لا تلهيهم، إذن هم يتجرون أم لا يتجرون ؟ يتجرون؟ نعم، يتجرون ويكتسبون ويسعون ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ [2] فتجد –يعني– في نفس هذه الآيات من سورة الجمعة نهاهم عما يلهيهم ﴿ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ [3] نهاهم أن يلهوا بالبيع عن الصلاة، وبعد الصلاة أذن لهم بطلب الفضل ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [4] وهذا إذن بعد الحظر يقتضي الإباحة كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ [5].

ويشهد لهذا الحديث قوله تعالى: ﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ﴾ [6] [6] أي: بنصيبهم ﴿ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [7].

فالرسول ﷺ في هذا الحديث بشرهم، وحذرهم من خطر الدنيا وبسط الدنيا، فلا ينبغي للإنسان أن يفرح بها، اللهم إلا الفرح الطبيعي، فهذا أمر جبلي في الإنسان، فإذا كان الإنسان مجبولا على حب المال فلا بد أن يفرح بما يحصل له، لكن فرحا طبيعيا محدودا لا يخرجه إلى الأشر والبطر والاغترار، كفرح قارون المغرور بما

---

١ – سورة النور آية : ٣٧.

٢ – سورة الجمعة آية : ١٠.

٣ – سورة الجمعة آية : ٩.

٤ – سورة الجمعة آية : ١٠.

٥ – سورة المائدة آية : ٢.

٦ – سورة التوبة آية : ٦٩.

٧ – سورة التوبة آية : ٦٩.

.....

أوتي من الثراء ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ ﴾ [1] هذا من المنافسة، نفسوا عليه وغبطوه على هذا الحظ العظيم ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [2].

المقصود أن بسط الدنيا هو من الفتن، هذا هو الشاهد، بسط الدنيا هو من الفتن التي يُبتلَى بها الناس، والفقر أيضا هو ابتلاء، لكن فتنة البسط أخطر من فتنة القَدْر والتضييق في المعيشة في الفقر، الابتلاء بالثراء والغنى والبسط في حظوظ الدنيا هو الخطر.

قال بعض السلف: ابتلينا بالضراء فصبرنا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر.

واقرءوا التاريخ تجدون الأمر عيانا، واقرءوا الواقع تجدونه كذلك، فبسط الدنيا هو ابتلاء وفتنة عظمى، ويفضي كذلك إلى الفتن التي أشار إليها الرسول –عليه الصلاة والسلام– كما في الحديث المتقدم 🕮 كيف بكم إذا فتحت عليكم فارس والروم 🕮 هذا ما ذكره الرسول –عليه الصلاة والسلام– أثرا بفتح فارس والروم، ففتح فارس والروم أدى إلى البسط، إلى بسط الدنيا،

وبسط الدنيا أدى إلى التنافس، والتنافس أدى إلى التدابر والتقاطع والتباغض والتقاتل هكذا، يعني الحديث المتقدم يفسر لنا هذا الحديث، ويعطينا صورة مما أشار إليه الرسول –عليه الصلاة والسلام– بقوله: 🕮 وإنما أخشى أن تبسط عليكم الدنيا فنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم 🕮.

ولعلنا نكتفي بهذا القدر اليوم، والله أعلم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

س: أحسن الله إليكم، فضيلة الشيخ، هذا يقول في حديث نجد يطلع منها قرن الشيطان يقول: إن بعضهم يقول: إنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فما ردكم على هؤلاء ؟

ج: هذا قد أجيب عنه بأن هذا الموقع اسمه اليمامة، وليس هو بنجد، اسمه اليمامة، هذا هو المعروف، لكن تسميته بنجد يظهر أنه إطلاق متأخر، والله أعلم، نعم.

---

١ – سورة القصص آية : ٧٩.

٢ – سورة القصص آية : ٧٩–٨٠.

.....

س: أحسن الله إليكم، يقول في حديث معقل بن يسار: 🕮 العبادة في الهرج كهجرة إلى رسول الله ﷺ 🕮 هل يُفهَم منه أنه ينبغي للمسلم في الفتن أن يكون في عزلة ؟

ج: هذا أنا ذكرت هذا المعنى، قلت: إنه ليس المراد أنه ينطوي ويدخل في خلوة أو في بيته ويتعبد، اللهم إلا أن يكون ممن لا يقدر على شيء من الخير والإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله، هذه هنا مثل ما جاء 🕮 يوشك أن يكون خير مال الرجل غنيمة يتتبع بها شعف الجبال يفر بدينه من الفتن 🕮 نعم، وهذا يختلف باختلاف الناس واختلاف درجات وأحوال الفتن، تختلف الأمور، الذين اعتزلوا الفتنة في عهد علي ﷺ لم يكونوا منعزلين في بيوتهم، بل كانوا قائمين بما أوجب الله عليهم من شرائع الإسلام المختلفة والمتنوعة، القاصرة والمتعدية، نعم.

س: أحسن الله إليكم، يقول: كيف نجمع بين الأحاديث الآمرة بالاعتزال وبين أمر الله لنا بالإصلاح بين الطائفتين المتقاتلتين؟

ج: سبحان الله! الاعتزال ترك الدخول في الصراع، وإذا لم تدخل في الصراع بمعنى أنك ما تسع في الصلح، هذا منصوص في القرآن ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ [1] إذن الآية فيها كم طائفة يا إخوان؟ فيها ثلاث: طائفتان مقتتلتان، والطائفة الثالثة المأمورة بالإصلاح، إذن هم ثلاث صاروا، إذن الدخول في الإصلاح لا يستلزم اعتزال الصراع والقتال والاقتتال، لا يستلزم ترك الإصلاح، وهذا دل عليه القرآن كما هو واضح في هذه الآيات.

س: أحسن الله إليكم، يقول: هل العزلة مشروعة في وقتنا الحاضر لكثرة الفتن؟ وهل هناك فرق بين العالم وغير العالم، وبماذا نفسر عزلة الصحابي أبي ذر رضي الله تعالى عنه ؟

ج: أقول: إن الأمور تختلف باختلاف الناس، وباختلاف المواقع، والعزلة درجات، هناك فيه عزلة تامة تقتضي التفرد والانفراد مثلما ذُكر في الحديث، إذا إنسان أصبح ما له دور كما يقال، ما له أثر في وجوده في المجتمع، ويخشى على نفسه أن يُجر إلى شر، إلى أن يتورط، فيفر بدينه وينعزل.

وفيه اعتزال نسبي، أنتم الآن عند كل واحد منكم قدر من العزلة؛ لأنكم لا تختلطون بكل أحد، أنتم يعني تهجرون كثيرا من المجامع والاجتماعات والمجالس والمواقع تجنبا للشر وأهله.

---

١ – سورة الحجرات آية : ٩.

.....

فالعزلة على مراتب، وتختلف باختلاف أحوال الناس، من الناس من يكون عنده قدرة علمية وقدرة شخصية وبيانية، ويستطيع أن يصارع الباطل، ويقاوم الباطل ويؤثر، وآخر دون ذلك.

أما ما ذُكر في السؤال عن عزلة أبي ذر فأبو ذر نصحه عثمان ﷺ أن يكون في الربذة ويبعد؛ لأنه عنده بعض الآراء التي هي اجتهادية له تخصه، ويريد أن يحمل عليها الناس، يريد للناس إنك لا تتمول، لا تبق شيئا من المال، أنفق ما عندك، يذكر للناس أحاديث الأمر بالإنفاق، وأن التجار هم الفجار إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا، فصار يعني بقاؤه في المدينة لا يستطيع هو بالتزامه بهذا الرأي الاجتهادي، وعدم صبره على السكوت، لو سكت وجاء في المدينة سكت، يعني رأيه اختص به وسكت، لكن كونه يأتي ويتكلم مع الناس ويجهر بهذا، فهذا اجتهاد، وهذا رأي الخليفة الراشد عثمان ﷺ نعم.

س: أحسن الله إليكم، يقول: هل البحرين الذي ذكر في الحديث هي الموجودة الآن ؟

ج: ما أدري، يظهر أن اسم البحرين أوسع من البحرين الآن، تطلق على المنطقة نفسها اسمها البحرين، نعم.

س: أحسن الله إليكم، يقول: هل يجوز الخوض فيما شجر بين الصحابة والقراءة فيه؟

ج: لا، ما ينبغي القراءة فيه إلا لغرض شرعي، أما قراءتها قراءة عامة على الناس كما صنع أحد المعنيين بالتأريخ، ووضعه في أشرطة وتروج، يستمع إليها أصناف الناس من مختلف الطبقات من الرجال والنساء، والعوام والجهال، والصغار والكبار، هذا غلط منكر، نعم.

أحسن الله إليكم، وأثابكم ونفعنا بعلمكم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

نفعنا الله وإياكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حديث ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال –رحمه الله تعالى–: ولهما عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء .

الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وعلى آله وصحبه.

يقول: ولهما –للبخاري ومسلم– عن أسامة بن زيد –رضي الله تعالى عنهما– أن النبي ﷺ قال: ما تركت بعدي فتنة أضر أو هي أضر على الرجال من النساء في هذا دلالة على أن أعظم فتنة يبتلى بها الرجال هي فتنة النساء، يعني أنها أعظم فتنة من الفتن التي يبتلى بها الناس من بعد وفاة النبي ﷺ وفتنة النساء تتعلق بالرجال، ولهذا قال: أضر على الرجال من النساء، فالرجال مبتلون إذن بالنساء؛ وذلك لما جعله فيهم من محبة متعة النساء والمتعة بالنساء.

يشهد لهذا الحديث قوله –سبحانه وتعالى–: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [1] فذكر هذه المحبوبات المزينة للنفوس، وصدَّرها بالنساء ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [2] قدمها على شهوة البنين، وشهوة الذهب والفضة والقناطير المقنطرة، والمتع الأخرى من الأنعام والحرث، والمظاهر والأبهة، وإنما يكون ضرر هذه الفتنة لمن انساق مع هواه وطبعه.

النساء هن شقائق الرجال، وهن مخلوقات لحكمة –كما أخبر الله– السكن ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [3] ومنذ خلق الله آدم خلق زوجه، النفس الأولى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

---

١ – سورة آل عمران آية : ١٤.

٢ – سورة آل عمران آية : ١٤.

٣ – سورة الروم آية : ٢١.

.....

وَنِسَآءً ﴾ [1] فالمرأة سكن للرجل، المرأة جعلها الله سكنا، وذلك بما شرع، وإنما تكون المرأة سكنا للرجل بما شرع من النكاح، لكن إنما يأتي الضرر للرجال من النساء من أحد طريقين، أعظمهما طلب المتعة بهن على غير الوجه المشروع، طلب المتعة بالنساء يعني بما حرم الله من الزنا بدرجاته، الزنا الفاحشة الكبرى، وكذلك دواعيها من النظر واللمس والمشي كما في الحديث، العين تزني وزناها النظر، واليد تزني وزناها البطش، والرجل تزني وزناها المشي، والقلب يهوى ويتمنى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه، فيأتي الضرر منها.

وهذا هو أعظم الطريقين لحصول الضرر للرجال من النساء كما يشهد به الواقع، وهذا الطريق هو الذي يستغله الكفار والمنافقون والشهوانيون، يستغلون المرأة بترويج فتنتها، وتنويع التمتع بها، وتنويع طرق التمتع بها بارتكاب الفاحشة الكبرى، الزنا، وبالوسائل المقربة إليه.

هذه الطرق المقربة من الفاحشة، المؤدية إلى الفاحشة، فاحشة الزنا ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [2] هذه الطرق منها تبرج النساء، وهذا إنما تفعله الجاهلات والفاسقات، تبرج النساء من أعظم المغريات بفتنة النساء، وكذلك الخلوة بالمرأة الأجنبية، وكذلك السفر بها.

ولهذا جاءت الشريعة بسد هذه الأمور، فنهت عن التبرج، ونهت عن الخلوة، وعن سفر المرأة بلا محرم، وقد استُغِلت في كل زمان المرأة لاصطياد الرجال، ولهذا جاء في الأثر: إن النساء حبائل الشيطان يصطاد بها الرجال؛ لأن الرجل أضعف ما يكون أمام المرأة إذا انساق مع هواه ومع شهوته، ولهذا يقول –سبحانه وتعالى– بعدما ذكر المحرمات قال: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ

---

١ – سورة النساء آية : ١.

٢ – سورة الإسراء آية : ٣٢.

عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [1] .

١ - سورة النساء آية : ٢٦-٢٧.

.....

قال –سبحانه وتعالى–: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [1].

وقد يقع الرجل في فتنة المرأة من جهة حبها وإن كانت زوجة، فإنه قد يحمله حبه لها على أن يطيعها في معصية الله، وينقاد لمراداتها، فيحصل له الضرر بسبب ذلك بسبب هواه وشهوته.

والأمر الآخر الذي ينال الرجال الضرر من هذه الفتنة –فتنة النساء– هو ظلم الرجال للنساء؛ لأن المرأة هي ضعيفة، يعني مع عظم فتنتها فهي ضعيفة، مع عظم فتنتها وعظم كيدها كما قال الله ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [2] فمع ذلك هي ضعيفة، كثيرا ما تتعرض المرأة من ظلم الرجال لها، من الأزواج أو الأولياء، فالرجال إذًا مبتلون بالنساء من جهة ضعفهن، ومن جهة محبتهن والرغبة في المتعة بهن كما تقدم.

فهذه فتنة النساء، وهذا هو طريق التضرر، يعني تعرض الرجال للمضرة بهذه الفتنة، والواقع شاهد ومصدق لما أخبر به ﷺ وفي إخباره ﷺ بذلك تحذير من الوقوع في شباك هذه الفتنة، تحذير للرجال من الوقوع في شباك فتنة النساء، تحذير من التعرض للتضرر بهذه الفتنة، فيه تحذير للرجال ﷺ ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء ﷺ يعني فاحذروا من فتنة النساء، قوا أنفسكم هذا الضرر بتجنب أسباب الضرر، فالضرر ليس من ذات المرأة؛ إنما هو من جهة عمل الرجل، وتعامله مع المرأة، مع النساء، إنما ينال الرجال الضرر بتعاملهم، بفعلهم، والعصمة المنجية من كل ذلك هي تقوى الله –سبحانه وتعالى–، فمن اتقى الله وقاه من شرور هذه الفتن، نعم.

---

١ – سورة النور آية : ١٩.

٢ – سورة يوسف آية : ٢٨.

حديث إن الدنيا خضرة حلوة

ولمسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه إن الدنيا خضرة حلوة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، ألا فاتقوا الله واتقوا النساء.

هذا الحديث متناسب مع ما قبله، الرسول ﷺ في هذا الحديث يصور الدنيا في نظر الناس، فهي محببة إلى النفوس، الدنيا المراد بها متع الدنيا وما في هذه الحياة من زخرف ومن زينة، وجماع ذلك المال الذي يتوصل به إلى سائر الحظوظ والمتع.

الدنيا حلوة خضرة، حلوة المذاق، ولهذا يطلب الناس منافع الدنيا، ويتفاخرون ويتكاثرون فيها ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ ﴾ [1] فهي حلوة خضرة، حلوة لذيذة مستلذة، فوصفها بالحلاوة كناية عن لذتها، فهي شهوات، الأموال بأنواعها كما في آية آل عمران ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ﴾ [2] هذه كلها مستطابة ومستلذة للنفوس، تفرح بنيلها وتطلب الاستكثار منها.

وهي أيضا خضرة، هذا كناية عن بهجتها وزينتها، فتجد من أوتي من هذه الحظوظ تجده يتمتع بالنظر إلى ما أوتي من بساتين وحروث وأملاك، يتمتع بما أوتي من الخيل، من بهيمة الأنعام، من الإبل، يتمتع بالنظر إليها متعة، فهو يلذها، فهو يجدها يعني مناظر خلابة، الدنيا حلوة خضرة، وقد جاء في هذا الحديث إن هذا المال حلو خضر، المال نفس الشيء، وهو يشمل أنواع المال من الذهب والفضة وسائر المتمولات، ما يتموله الناس.

وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون مستخلفكم فيها: يعني جعلكم تخلفون من قبلكم، فهذه الدنيا لا تبقى وقفا على جيل معين، بل لا بد أن تنتقل الدنيا، أن تنتقل هذه الأموال وهذه المشتهيات،

---

١ – سورة الحديد آية : ٢٠.

٢ – سورة آل عمران آية : ١٤.

لا بد أن تنتقل من شخص إلى شخص أو إلى أشخاص، ومن جيل إلى جيل، فكل جيل يخلف من قبله، فتنتقل هذه

.....

الأمور انتقالا عاما وخاصا، فتنتقل بموجب الأحكام الكونية والقدرية، ينتقل المال من المورث إلى الوارث، وتنتقل في المجتمع الواحد ينتقل ما فيه من مظاهر الحياة ومن متع الحياة إلى من بعده.

وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون الله جعل العباد خلائف، يخلف بعضهم بعضا، فلا تدوم هذه الدنيا لأحد، لا تدوم، قائمة على التجدد والانقراض، انقراض وتجدد، ينقرض جيل ويتجدد جيل بعده إلى أن يأتي أجل الدنيا، فناظر كيف تعملون، فالله أخرج العباد لهذه الحياة وجعلهم خلائف لينظر أعمالهم موجودة مرئية له –سبحانه وتعالى–، وإلا فهو –سبحانه وتعالى– قبل أن يخلق الدنيا وقبل أن يخلق السماوات والأرض يعلم ما سيعمل العباد، يعلم أعمالهم، لكن يعلم أنهم سيوجدون، ويعلم أنهم سيعملون ما يعملون من خير وشر وطاعة ومعصية، لكن قضى بحكمته أن يخرجهم إلى الوجود لتظهر أعمالهم أيضا واقعا عمليا ظاهرا كما قال –سبحانه وتعالى–: ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾ [1].

فناظر كيف تعملون، إذن الله يبتلي العباد بهذه الدنيا وما فيها من حظوظ ومن شهوات ليختبر حالهم، وتظهر بذلك حقائقهم، يتميز المطيع من العاصي، فناظر كيف تعملون.

ثم قال –عليه الصلاة والسلام–: ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء اللفظ الموجود عندكم "ألا فاتقوا الله"، لكن الموجود في صحيح مسلم "فاتقوا الدنيا"، فقد يكون هذا تصحيفا، وقد تكون رواية، لكن الموجود في صحيح مسلم واللفظ المشهور : فاتقوا الدنيا واتقوا النساء وهذا هو المناسب للسياق، ألا فاتقوا الدنيا، أما تقوى الله فهي المعنى الجامع، الوصية بتقوى الله هي وصيته تعالى للأولين والآخرين، وهي وصية نبيه لأمته، لكن في نصوص ومواضع أخرى، أما هذا الحديث ففيه الأمر باتقاء الدنيا، ألا فاتقوا الدنيا، اتقوا الدنيا: يعني توقوا شر هذه الدنيا، احذروا الاغترار بها، احذروا فتنتها، وذلك بأن تعملوا فيها بطاعة الله، لا يحملنكم حب الدنيا على معصية الله وتعطيل فرائضه، احذروها.

والله –تعالى– قد حذر من فتنة الدنيا في آيات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥ ﴾ [2] وصوّر حقيقة هذه الدنيا وضرب لها الأمثال ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا

---

١ – سورة التوبة آية : ١٠٥.

٢ – سورة فاطر آية : ٥.

.....

كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ [1] الآية ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [2] وفي الآية الأخرى ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [3].

فالإنسان مبتلى بهذه الدنيا، فعليه أن يحذر من الاغترار بها، عليه أن يعمل فيها بطاعة الله، يعمل فيما أوتي منها بطاعة الله، فلا يحمله حب المال وحب الجاه على طلب ذلك بمعصية الله، ولا يحمله حب المال على أن يمنع ما أوجب الله عليه من الحقوق.

ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، وتخصيص النساء بالذكر لعظم الفتنة بهن كما دل عليه الحديث المتقدم، فكأن المعنى: اتقوا فتن الدنيا وشهوات الدنيا كلها، فتنة المال، وفتنة الولد، وفتنة الجاه، واتقوا فتنة النساء؛ لأن فتنة النساء هي أعظم فتنة من هذه الشهوات، هذه الشهوات كلها فتن، مَن انساق فيها مع هواه وشهوته دون أن ينضبط بشرع الله كان ما أوتي منها شرا عليه، ومَن استقام فيها على طاعة الله، ووقف في هذه الدنيا عند حدود الله نجا من شرور هذه الفتن.

وبعد الوصية باتقاء فتنة الدنيا أو فتن الدنيا خص النساء بقوله: ﷺ واتقوا النساء ﷺ وهذا معلل بالحديث المتقدم، فكأن المعنى: اتقوا النساء؛ لأنها أضر الفتن، لأنها أضر الفتن على الرجال، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، نعم والله أعلم، بعده.

---

١ – سورة يونس آية : ٢٤.

٢ – سورة الكهف آية : ٤٥.

٣ – سورة الحديد آية : ٢٠.

حديث فتن كرياح الصيف

وله ﷺ عن حذيفة –رضي الله تعالى عنه– قال: والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي ألا يكون رسول الله ﷺ أسر إليّ في ذلك شيئا لم يحدثه غيري، ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلسا أنا فيه عن الفتن، فقال رسول الله ﷺ وهو يعد الفتن: منهن ثلاثا لا يكدن يذرن شيئا، ومنهن فتن كرياح الصيف، منها صغار ومنها كبار، قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلهم غيري ﷺ .

حذيفة بن اليمان ﷺ الصحابي الجليل معروف بخصوصية، وهي أن الرسول –عليه الصلاة والسلام– يفضي إليه ببعض الأمور، ويسر إليه، كما كان يخبره يعني ببعض المنافقين، فهو يعلم من أحوال بعض الناس ونفاق بعض المنافقين ما لا يعلمه غيره، وكان من شأنه ﷺ أنه يهتم بمعرفة الشر كما في قوله: ﷺ كان الناس يسألون الرسول ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ﷺ فلهذا كان له عناية بمعرفة ما سيكون من الفتن، ولهذا عمر في الحديث الصحيح يسأله عن الفتنة العظمى التي تموج كموج البحر.

وهنا في هذا الخبر يقول: إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين قيام الساعة، وليس ذلك لأن الرسول ﷺ خصني بهذا العلم، فقد حدثنا الرسول –عليه الصلاة والسلام– عن الفتن، كنا معه في مجلس، يعني هو وغيره، معه جماعة، ولكن الذين كانوا معه في هذا المجلس قد ذهبوا وانقرضوا، إذن فهذا هو سر تفرده بهذا العلم، سر تفرده أن الذين سمعوا ذلك قد ذهبوا قبله، فهذا هو سر تفرده بهذا العلم.

فذكر أن الرسول ﷺ حدثهم عن الفتن، وأن منها ثلاث كبريات، ولكن لم يبين لنا، وهناك فتن صغار، وحقا إن الفتن متفاوتة، بعضها أعظم من بعض، والفتن –كما تقدم– يحتمل أن المراد يعني جنس الفتن، فتنة المال، وفتن يعني الجاه والسلطان، وفتن المصائب التي تنزل بالناس من الأوبئة النازلة، يحتمل، لكن كأن السياق والأظهر فيها أنها فتن الفتن التي تكون بين الناس، فتن تكون بين الناس، وهي فتن النزاعات والحروب كما تقدم.

إن أولى تلك الفتن ثورة المنافقين والفاسقين وأصحاب الأهواء على خليفة المسلمين، الخليفة الراشد عثمان ﷺ ثم ما نشأ عنها وما تبعها من الفتن.

.....

فالمقصود أن حذيفة ﷺ لم يعين لنا نوع تلك الفتن، ولم يعرفها، ولم يحدد لها تواريخ، إنما ذكر أن الفتن ستكون فتنا كثيرة، ومنها صغار، ومنها كبار، وأن الرسول –عليه الصلاة والسلام– خص بالذكر منها ثلاثا، وعلى الإنسان أن يقرأ التاريخ، ويقرأ الواقع، ويشهد ويتأمل، ويعتبر ويتفكر في ماضي الزمان، وفي تأريخ الناس، ماذا جرى عليهم من الأمور والمحن والفتن والحروب التي لا يتميز فيها المحق من المبطل، وهذه الحروب العمياء تارة يكون كل من الأطراف مبطلا وظالما، وأحيانا يكون كل من الأطراف يعني مجتهدا، والمجتهد إما أن يكون مخطئا وإما أن يكون مصيبا، وعلى المسلم أن يتجنب هذه الفتن كلها، ويعتزل هذه النزاعات، نعم أعد الحديث، حديث حذيفة.

وله عن ﷺ حذيفة قال: والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة ﷺ .

أعلم الناس: يعني في وقت تحديثه لدلالة آخر الكلام، أعلم الناس يعني في وقت تحديثه بهذا الحديث؛ لأن الذين سمعوا معه ذلك الحديث قد ذهبوا، نعم، بعده.

وما بي ألا يكون رسول الله ﷺ أسرّ إلي في ذلك شيئا لم يحدث به غيري.

يعني هو يقول أنا لا أدعي أن الرسول أسر إلي بشيء من خبر هذه الفتن لم يحدّث به غيري، نعم.

ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلسا أنا فيه عن الفتن ﷺ فقال رسول الله ﷺ وهو يعد الفتن: منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئا ﷺ.

منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئا، كأنها فتن عظيمة تعم، وتستأصل يعني خلقا كثيرا، أو أنها فتن تعم الناس، وينال كل أحد من شرها، منهن ثلاث لا يتركن أو لا يذرن شيئا إلا نلنه بشيء من آثارها وشرها وأضرارها، والله أعلم.

ﷺ ومنهن فتن كرياح الصيف ﷺ.

يعني تأتي سريعة، تأتي سريعة وتذهب، نعم.

منها صغار ومنها كبار، قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلهم غيري.

حديث أخبرني رسول الله بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة

وله عنه ﷺ قال: 📖 أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فما منه شيء إلا قد سألته، إلا أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة 📖 .

هذا الحديث متصل في المعنى بالذي قبله، فهو يروي أن الرسول –عليه الصلاة والسلام– قد أخبره بما هو كائن إلى قيام الساعة، يعني أخبره وغيره، والذي يظهر أن هذا العموم مقيد بمضمون الحديث المتقدم، يعني أخبره بما هو كائن من الفتن، هذا هو الظاهر، ليس المراد أنه أخبره بكل ما يكون يوم القيامة من جميع الأمور، فالذي يرى حمل هذا العموم وهذا الإجمال في هذا الحديث على مضمون الحديث المتقدم، وأن إخبار الرسول ﷺ ليس إخبار إسرار، بل أخبره هو وغيره، كما بين ذلك في الحديث السابق، يقول: وما من شيء إلا وسألته عنه، إلا أني لم أسأله ما الذي يُخرِج أهل المدينة من المدينة، وهذا يقتضي أن الرسول أخبر أن الناس يخرجون من المدينة ويهجرونها، يخرجون منها، فهو لم يسأل ما الذي يخرجهم، فهذا هو ظاهر الحديث.

ولعله يأتي ما يبين هذا الإبهام وهذا الإجمال فيما يتعلق بخروج أهل المدينة، والناس قد خرجوا من المدينة، الصحابة خرجوا في أيام الفتوح، خرجوا منها إلى مختلف الأقطار، يعني بسبب الجهاد في سبيل الله، وخرج منها مَن خرج بعد ذلك من الناس بسبب يعني اتساع البلاد، والناس مجبولون على التنقل، وطلب رفاهية العيش، وقد انتقلت الخلافة من عهد علي ﷺ انتقلت من المدينة، وقد جرت العادة أن الناس يفدون ويتكاثرون حول مركز الولاية ومركز الخلافة، وهو ما يسمى مثلا في هذا الوقت بالعاصمة، هذا أمر محسوس ومعروف، نعم، بعده.

حديث أخبرنا بما كان وما هو كائن فأعلمنا أحفظنا

وله عن أبي زيد -رضي الله تعالى عنه- قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى بنا، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا

الله المستعان، في هذا الحديث أنه -عليه الصلاة والسلام- صلى الفجر، ثم صعد المنبر، فخطب حتى الظهيرة، حتى جاء وقت الظهر، فنزل فصلى الظهر، ثم عاد وخطب إلى أن صلى العصر، حتى جاء العصر فنزل وصلى، ثم عاد وخطب، قال: فأخبرنا بما كان وما هو كائن وهذا لا يلزم منه أنه أخبرهم بكل شيء، فلكل مقام مقال، ألفاظ العمومات تحمل على ما يناسب المقام مثل ما قال العلماء في لفظ كل يقولون: كل في كل مقام بحسبه، عموم كل في كل مقام بحسبه، لكنه يدل على أن الرسول أخبرهم بأمور عظيمة من الماضي والآتي، يعني أخبرهم عن بدء الخلق، قصة بدء الخلق، وعن أمور تتعلق بالأنبياء.

فالكلام فيه إجمال شديد، ولم يصرح الراوي بشيء مما سمعه من الرسول -عليه الصلاة والسلام- مما كان أو يكون، ما صرح لنا بشيء، لكنه أخبرنا بأن الرسول تحدث طويلا، خطب طويلا، وهذا لا بد أنه قد أخبر بأمور كثيرة في هذا الوقت من الفجر إلى المغرب، أقول: ولعل هذا كان في آخر أيامه -عليه الصلاة والسلام- يعني لمزيد البلاغ والبيان، وتبصير الناس بما سيكون ليأخذوا أنفسهم بأسباب النجاة من الأخطار.

يقول الراوي: فأعلمنا أحفظنا، يعني الذين استمعوا متفاوتون في الحفظ، فأعلمنا بما أخبر به -عليه الصلاة والسلام- في هذه المقامات هو أحفظنا، فمن كان أحفظ كان عنده من علم هذه الأخبار ما ليس عند غيره، وقد جرت سنة الله بأن الناس يتفاوتون في الحفظ، فيحضر الناس الخطبة الواحدة والمجلس الواحد، ويسمعون فيه أمورا كثيرة، فمنهم من لا يحفظ شيئا، ومنهم من يحفظ بعضا، فلهذا يقول الراوي: فأعلمنا أحفظنا.

وقد جاء هذا المعنى عن عمر رضي الله عنه وأن الرسول ﷺ خطب الناس وحدثهم حتى دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أخبرهم بما هو كائن حتى دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه، سبحان الله !

ولكن قد ضمن الله –سبحانه وتعالى– حفظ كتابه وسنة نبيه –عليه الصلاة والسلام–، فكل ما للناس ما يتوقف أمر الدين عليه فهو محفوظ، فدين الله باق ومحفوظ، كل ما لا بد للناس منه فهو باق ومحفوظ، ما لا بد

.....

للناس منه في إقامة دينهم فإنه محفوظ بحفظ كتاب الله وسنة رسوله –عليه الصلاة والسلام–، ثم إن هذا الكلام المجمل وهذه الأخبار يمكن أن يكون كثير منها هو ما رواه الصحابة متفرقا، يعني روي لنا متفرقا، يعني ما عندنا خبر واحد يتضمن كل ما قاله الرسول في هذه المقامات، لكن الصحابة رووا لنا يعني أخبارا كثيرة، لكن متفرقة، ممن كان وما يكون، مثل أخبار الرسل –عليهم الصلاة والسلام–، مثل ما أخبر عن أشراط الساعة، عن الدجال، عن يأجوج ومأجوج، عن نزول المسيح، عن أمور كثيرة من أشراط الساعة، وعن أمور القيامة، ما يكون يوم القيامة من الحساب والعرض والميزان والصراط والحوض، كل هذه الأمور المستقبلية، فرواها الناس متفرقة، لم يرووا لنا يعني نصوصا طويلة متصلة، رووها متفرقة.

وهذا يحصل، كما رووا أيضا أحاديث الأحكام متفرقة، الرسول أمر بأوامر كثيرة، فرواها الصحابة، من الأحاديث ما يرويه الجم الغفير من الصحابة، ومنها ما يرويه جماعة، ومنها ما يرويه دون ذلك، ومنها ما يرويه الواحد، المهم أنه حصل البلاغ.

وبعد تدوين السنة –ولله الحمد– أصبحت هذه الأخبار يعني موجودة في هذه الأصول، وفي هذه المراجع، فنجد كثيرا من هذه الأحاديث الصحيحة في هذه الأمهات في الصحاح، وفي مقدمتها الصحيحان البخاري ومسلم، كما نجد فيها أحاديث القيامة، وأخبار القيامة، وأخبار أشراط الساعة، كل هذا لعله أو بعضه تفصيل لما أجمله الصحابي في هذا الحديث.

ويفيد هذا الحديث أن الرسول –عليه الصلاة والسلام– كان أحرص ما يكون على البلاغ والبيان، فلم يزل –عليه الصلاة والسلام– يبلّغ ما أنزل إليه من ربه، وينصح لأمته، في مجالسه معهم، وفي خطب يلقيها كخطبة الجمعة والعيدين، وفي خطبة حجة الوداع، وفي خطب عارضة كما هنا؛ لأن هذه الخطبة المذكورة في هذا الحديث هذه الخطب في ذلك اليوم خطبة عارضة، يعني أراد –عليه الصلاة والسلام– أن يبلغ الناس كثيرا من الأمور مما لعله قد بيّنه من قبل، وقد يكون من ذلك أمور لم يخبرهم فيها إلا في ذلك المقام، والله أعلم، نعم، أعد الحديث السابق.

وله عن أبي زيد ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى بنا، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا .

حسبك، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.

.....

س : أحسن الله إليكم، وهذا سائل فضيلة الشيخ يقول: هل يُفهم من حديث النبي ﷺ ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء أن أثر المرأة على الرجل أشد من أثر الرجل على المرأة؟

ج : نعم، وهو كذلك، صحيح، هذا أمر يعني واقع، فتنة الرجال بالنساء أعظم من فتنة النساء بالرجال، ولهذا يعني الجاري في الواقع الرجل هو الذي يطلب المرأة، هذا هو الأصل والغالب والعام، هو الذي يطلبها، يعني سواء كان بالحلال أو بالحرام، نعم.

س : أحسن الله إليكم، يقول: يطالب بعض طلاب العلم بأن تكون زوجته صحابية، ويؤدي بها إلى أن ينتقدها في تصرفاتها، بل البعض منهم يؤدي بها إلى أن يخرج من بيته كثيرا، ويهمل في تربية أولاده، فهل هذا من ظلمهن؟

ج : نعم، من ظلمهن، يعني مطالبة الرجل لامرأته بالكمال، هذا غلط؛ لأن هذا لا يكاد، لا الرجل ولا المرأة، لا يمكن يعني أن يبلغ الإنسان الكمال بحيث أنه لا يخطئ، بحيث لا يحصل منه نقص ولا تقصير أبدا، هذا طلب مستحيل، ولا سيما من المرأة بالذات؛ لأن المرأة ناقصة كما في الحديث، ناقصة عقل ودين، والرسول –عليه الصلاة والسلام– قال: استوصوا بالنساء خيرا؛ فإنهن عوان عندكم، يعني أسيرات وقال: إن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، يقول: فإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها .

فلا يمكن أن تستقيم الحياة الزوجية إلا بالتسامح من الطرفين، والرجل أولى وأحق بأن يغض الطرف، ويتسامح عن الهنات، وعن التقصير في المطالب المتعلقة بتدبير المنزل، أو المطالب المتعلقة بحال المرأة وعشرتها لزوجها، لا تستقيم الحياة إلا بأن يسود التسامح بين الزوجين ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[1] هذه وصية جامعة.

وقول السائل: إنه يريد أن تكون صحابية، هل الصحابية أيضا تصل إلى درجة الخروج عن الطبيعة البشرية؟ لا، الصحابة والصحابيات كلهم بشر، يقع من بعضهم الخطأ على بعض، بشر، يحصل بينهم بعض ما يكون، أشرف وأفضل البيوت بيوت الرسول –عليه الصلاة والسلام– ومع ذلك يكون هناك بعض الغيرة بين نساء النبي –عليه الصلاة والسلام–، تكون منهن غيرة، ويحصل منهن شيء يعني مما لا ينبغي في مخاطبة الرسول، أو يعني في الأمور العادية الزوجية، كما في الحديث الصحيح، اقرءوه في البخاري، يعني يذكر عمر رضي الله عنه أن حفصة تقول إنها ربما هجرت الواحدة منهن الرسول ﷺ

---

١ – سورة الأعراف آية : ١٩٩.

إلى الليل، تهجره في طوال ذلك اليوم، بمعنى أنها لا تبتدئ الكلام، ليس معناه أنها تهجره، لا تكلمه،

.....

ولا ترد عليه السلام، لا، الرسول لما أغضبه النساء بمطالبته بمزيد شيء من النفقة، هذه الأمور طبيعية بشرية، لما كان بينه منهن شيء من ذلك آلى من نسائه شهرا ﷺ .

فالمقصود أن هذا خيال، من يطلب من امرأته الكمال فهو سارح في ميدان الخيال، ثم إن الواجب على الرجل أن يؤدي الحقوق، ليس للرجل أن يأتي لأهله ولبيته متى شاء وكيف شاء، لا بد أن يرعى زوجته، ليس له أن يسهر كيف شاء، يعني كأنه أعزب، كثير من النساء يشتكين من هذا التعامل، ومن هذه العشرة، وقد يحصل شيء مثل هذا من طلاب علم، ومن ناس يُعرفون أو يشار إليهم بالخير والصلاح، وهذا من الخلل الذي يقع فيه كثير من الشباب، ومن الرجال الصالحين، تجده يعني مصليا وصائما متطوعا، لكنه يكون مقصرا في الحقوق، يكون مقصرا في حق والديه، مقصرا في حق أهله، في حق زوجته وأولاده، فالحذر الحذر، نعم.

س : أحسن الله إليكم، يقول: خرجت بعض الكتب تحدد بالوقت، وتنزل بالأحاديث بأنه سيكون في زمن كذا كذا وكذا، فهل هذا صحيح ؟

ج : هذا لا يصح الجزم بشيء من ذلك، أما إذا قيل لعله ربما كان هذا هو المقصود، أما الجزم بأن هذا هو المراد مما أخبر به –عليه الصلاة والسلام– إلا إذا قامت الأدلة على ما يقول، إلا إذا قامت الأدلة الموجبة للقطع بأن هذا هو المراد، ستأتي أمور يُعلم بالضرورة أن هذا هو ما أخبر به –عليه الصلاة والسلام– كما أخبر –عليه الصلاة والسلام– بأنه 🕮 ستظهر نار في المدينة، أو عند المدينة، ستظهر نار بأرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى 🕮 هذه النار ظهرت، وأطبق العلماء فيما يظهر أطبقوا على أنها هي النار المذكورة في الحديث، ظهرت هذه النار في عام ستمائة وأربع وخمسين، ظهرت في المدينة وطار خبرها، وسطع نورها، ووصل أقطارا بعيدة، وذكر المؤرخون أنه رُئي ضوء هذه النار بالشام، والله أعلم، نعم.

س : أحسن الله إليكم، يقول: يكثر في هذا الزمان قول بعضهم إذا أخطأ غيره أو أخطأ قال: هذا اجتهاده، ويعذر بذلك، فهل لكل مسلم –كائنا من كان– أن يجتهد في أي مسألة ويعذر بذلك؟

ج : ليس لكل أحد أن يجتهد، الإنسان ليس حرا، عليه إن كان يعني لديه المعرفة بالأدلة معرفة وفهما، فنعم، أما إذا كان عاميا أو شبه عامي، فليس له أن يجتهد ويقول هذا رأيي، أو هذا اجتهادي، أو من المبتدئين، يعني كبار العلماء، يعني العلماء وإن تقدموا يبحثون ويسألون، ويسأل بعضهم بعضا، أما أن يستبد الإنسان برأيه، ويستبد بفهمه القاصر، فهذا من الغرور، ومن تلبيس الشيطان، على الإنسان أن يسأل ويتعرف، ويجتهد في

.....

العلم، يجتهد في السؤال، يجتهد في البحث، لا يستبد برأيه وهواه وما يحلو له، وما يعجب به من الآراء والمذاهب، نعم.

س : أحسن الله إليكم، يقول: إذا كثر في هذا الزمان الفتن، فهل يجوز لمن يخشى على نفسه الافتتان أن يدعو الله أن يتوفاه عملا بحديث صاحب القبر الذي يتمرغ عليه؟

ج : لا، حديث صاحب القبر الذي يمر على القبر ويتمرغ عليه ويقول: يا ليتني مكانه، وما به إلا الفتن، أو كما في الحديث، هذا إخبار بواقع، لا يدل على حكم.

س : الخليعة والقنوات الهابطة من الفتن، وما موقف المسلم منها ؟

ج : الله المستعان، إي والله إنها من الفتن، وهي تنشر أنواع الفتن، ومنها فتنة النساء، يعني الإعلام بكل قنواته هو الآن مما يقوم ويرتكز على فتنة النساء، أعظم ما يرتكز عليه الإعلام هو فتنة النساء، ولهذا يقحمون النساء في كل شيء، ترونها في المجلات، في الصحف، صور النساء، وتُنتَقَى الصور الجميلة وتُلَوَّن، وهكذا في الإعلام المرئي والمسموع، المرأة هي المحور والعنصر الأقوى في جميع وسائل الإعلام، مع ما يقذف به من أنواع الفتن الأخرى، الإغراء بالدنيا، بتزيين الدنيا، مع ما أيضا يبثه من الشبهات، شبهات الباطل التي تشكك في حقائق الدين، وفي أحكام الشريعة، وفي مسائل الدين العلمية الاعتقادية والأحكام العملية.

فوسائل الإعلام هي منابر وقنوات لإشاعة أنواع الفتن التي أعظمها أو من أعظمها فتنة النساء، نكتفي.

أحسن الله إليكم وأثابكم، ونفعنا بعلمكم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حديث إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان عليه أن يدل أمته

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال –رحمه الله تعالى–: وله عن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ قال: إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جُعلت عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تُنْكَر، فتجيء فتنة، فيرقق بعضها بعضا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحب أن يُزحزَح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليطعه ما استطاع، فإذا جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر

.

الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

هذا حديث عظيم اشتمل على أمور، فهو عدة أحاديث في حديث واحد، يقول رضي الله عنه عبد الله بن عمرو بن العاص: إن رسول الله ﷺ قال: إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم هذا واجب الرسل، وهذه هي الغاية من إرسالهم، الغاية من إرسال الرسل دلالة الخلق على ما فيه نجاتهم ، وفلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وإنذار الخلق مما فيه شقاؤهم وهلاكهم في الدنيا والآخرة، فهذا حق عليهم، حق أوجبه الله عليهم، وواجبهم هو البلاغ، الدلالة، أما الهداية والاستجابة فذلك إلى الله، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ [1] هذا هو المطلوب منه، البيان، ليبين لهم طريق الخير وطريق الشر، يبين لهم ليدلهم على خير ما يعلمونه، وينذرهم شر ما يعلمونه،

---

١ – سورة إبراهيم آية : ٤.

.....

﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾ [١] ﴿ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ﴾ [٢] ﴿ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [٣] ﴿ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ ﴾ [٤] .

وأكمل الرسل في هذا هو نبينا محمد –عليه الصلاة والسلام–، أكمل الرسل في هذه الدلالة وفي هذا الإنذار هو الرسول ﷺ فقد دل أمته على كل خير، وحذرهم من كل شر، فقد بلّغ البلاغ المبين كما أمره ربه ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾ [٥] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾ ﴾ [٦] .

فما دل عليه ﷺ أمته من الخير هو أعظم وأشمل وأكمل مما دل عليه الأنبياء قبله، وذلك لكمال شريعته وشمولها؛ لأنها الشريعة العامة لجميع البشر، والشريعة الباقية إلى قيام الساعة، فرسالة محمد –عليه الصلاة والسلام– ليست كسائر الرسالات، رسالة عامة، وهذا من خصائصه –عليه الصلاة والسلام–، كان النبي يبعث إلى القوم خاصة، وأما نبينا فبُعث إلى الناس عامة.

ثم قال –عليه الصلاة والسلام–: 📖 وإن أمتكم هذه هي الأمة المحمدية، جُعلت عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تُنكَر 📖 جعلت عافيتها في أولها، العافية : السلامة من الشرور، في عافية البدن والعافية في

---

١ – سورة إبراهيم آية : ٤.
٢ – سورة النحل آية : ٣٥.
٣ – سورة النحل آية : ٣٥.
٤ – سورة الشورى آية : ٤٨.
٥ – سورة المائدة آية : ٦٧.
٦ – سورة الأحزاب آية : ٤٥-٤٩.

.....

الدين، فإذا دعا العبد وقال: أسألك العفو والعافية، فلا ينصرف فكره إلى عافية البدن، بل الجميع، يسأل ربه العافية في دينه وفي بدنه، في دينه ودنياه ، ﴿ جعلت عافيتها في أولها ﴾ في أولها، الآخرية والأولية أمور نسبية، ليس عندنا تحديد لأول هذه الأمة الموعودة بهذه العافية، وكذلك الآخرية، لكن هذا نفهمه مجملا، نفهمه على سبيل الإجمال، فنعلم أن أول هذه الأمة خير من آخرها، فما في أولها من خير واستقامة وصلاح الحال أعظم وأكثر مما في آخرها، والبلاء والشر في آخر هذه الأمة أكثر منه في أولها، هذا ما نستفيده من هذا اللفظ المجمل.

ويمكن أن نفسر أو نقرب قوله ﷺ ﴿ وإن أمتكم هذه جُعلت عافيتها في أولها ﴾ يمكن أن تفسر هذه الأولية بالقرون الفاضلة كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود، وحديث عمران ابن حصين ﷺ أنه –عليه الصلاة والسلام– قال: ﴿ خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ﴾ قال عمران: فلا أدري هل أذكر بعد قرني قرنين أو ثلاثة. فالمحقق ثلاثة، فلعل هذه القرون الفاضلة هي الموعودة بالعافية، هي التي فيها العافية، ونعلم أن هذه ليست عافية مطلقة، ليست عافية مطلقة؛ لأنه وقع في هذه القرون في أواخر عهد الصحابة، وبعد عهد الصحابة وبعدهم حدثت أمور وشرور وفتن، لكن مع ذلك فالخير في هذه القرون أو أعظم مما بعدها، فهذه الخيرية لهذه القرون لعله هو المعبر عنه بالعافية في هذا الحديث، والله أعلم.

ويصيب هذه الأمة في آخرها بلاء، شرور وبلاء وفتن، وفعلا اقرءوا التاريخ، الخير باق، الخير باق، لكن الشأن في نسبة ما يكون من خير، تأملوا، اقرءوا التاريخ تجدون الأمور الهائلة والعجب العجاب من الفتن، الفتن الفكرية بالبدع والمحدثات العظام، والفتن بالحروب والقتال والتطاحن والتناحر، إما نزاعا على سلطة، وإما انتصارا ودعوة لمذاهب بدعية وإلحادية، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فتجيء الفتنة في الحديث يقول ﷺ ﴿ تجيء الفتنة فيرقق بعضها البعض ﴾ الذي يظهر –والله أعلم– لفظ الفتنة هنا كأنه جنس، تجيء الفتن يرقق بعضها البعض، يهون بعضها بعضا، الفتنة إذا جاءت ثم جاءت فتنة أكبر منها، يعني كانت الأولى أهون، وإن جاءت فتنة كبرى ثم جاءت التي بعدها خفيفة، دونها، كانت كذلك، يرقق بعضها بعضا، يعني: يهون بعضها بعضا.

﴿ تجيء الفتنة فيرقق بعضها بعضا، فتجيء الفتنة من تلك الفتن فيقول المؤمن: هذه مهلكتي ﴾ يظن ويتوقع أنه لا ينجو من شرها، لا ينجو من شر هذه الفتنة، المعنى المفهوم أو المعنى العام للفتنة يمكن أن تكون

فتنة حرب وتطاحن، وقد تكون فتنة دعوة ضلال تعم الناس، وتشيع بين الناس، وينجذب إليها كثير من الناس، فيقول المؤمن وهو يخاف على نفسه: هذه مهلكتي، يخاف، يخشى أن يهلك مع من هلك، وتجيء الفتنة، يعني تنكشف

.....

وينجو من شرها المؤمن، فتأتي فتنة أخرى فيقول: هذه هذه، هذه هذه، يعني: هذه مهلكتي، فهذا هو البلاء، هذا هو البلاء والأمر المنكر الذي يكون ويبتلى به آخر هذه الأمة.

قال ﷺ ﴿ فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ﴾ هذا هو طريق النجاة، هذا هو طريق النجاة، ومرتكز هذا الطريق هو الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهذا هو الطريق للنجاة من الفتن، هو الثبات على الحق، القيام بما أوجب الله، من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة ويكون مع الفائزين ﴿ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ ﴾ [1] .

فمن أحب أن يكون مع الفائزين، أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، يعني: فليستقم على دين الله، وليعتصم بحبل الله، أمام هذه الفتن، وفي خضم هذه الفتن، ليستقم على دين الله، ليكون قائما بالحق، ناصرا للحق، منكرا للباطل.

فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، يعني: ليستقم على دين الله قائما بما أوجب الله حتى يأتيه الموت وهو على ذلك، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [2] فلتأته منيته وهو

يؤمن بالله واليوم الآخر، ليستقم على الإيمان حتى إذا جاءه الموت وهو على ذلك، وليؤت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه.

فاشتملت هذه الوصية على القيام بحق الله، وهو ما تُرجم له بالإيمان به وباليوم الآخر، والقيام بحقوق الخلق في معاملة الخلق، عامِلْ الناس بما تحب أن يعاملوك، أدِّ إليهم حقوقهم مما يجب لهم، ومن الكمال أن تؤدي إليهم أيضا ما يستحب لهم، وما أحسن هذا! مَن عامل الناس هذه المعاملة كان عادلا، هذا هو العدل، فالناس في التعامل فيما بينهم.

.....

١ – سورة آل عمران آية : ١٨٥.

٢ – سورة آل عمران آية : ١٠٢.

معاملة الناس بعضهم البعض تدور بين الفضل والعدل والظلم، فمن أدى الحقوق التي عليه للآخرين واستوفى حقوقهم كان عادلا، ومن أدى ما عليه وتسامح في حقوقه كان ذلك منه فضلا، ومن استقصى في حقوقه ومنع ما عليه من حقوق كان ظالما، مثل الذين قال الله فيهم: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ ﴾ [1] في حقه يستوفيه كاملا، أما حقوق الناس فإنه يبخسها ويجحدها، هذا هو الظلم.

وليؤت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، قال ﷺ ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع هو كقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [2] يعني: بقدر استطاعته، وحسب استطاعته، من بايع إماما: يعني على الإمامة والولاية، بايعه إماما ليكون إماما عليه، والبيعة عهد، فأعطاه صفقة يده؛ لأن البيعة جرت العادة أن المبايعة يعبر عنها وتؤدى بالمصافحة باليد توثيق للعقد، كما يحصل هذا في البيع العادي، في بيع السلعة، ولهذا يضرب البائع على يد المشتري والمشتري على يد البائع، لهذا يسمى عقد البيع صفقة.

فأعطاه صفقة يده، توثيق وتحقيق للمبايعة، وأعطاه ثمرة قلبه، يعني الأصل أنه بايعه صادقا، أما من يبايع كاذبا فهذا قد انطوى على الشر، وعلى الخبث، وعلى الخيانة، لكن الذي يبايع صادقا يكون ظاهره كباطنه، فيبايع بيده ويبايع بقلبه، يعني ينوي الوفاء، ينوي الطاعة بالمعروف، ينوي السمع والطاعة بالمعروف.

فليطعه ما استطاع كل الواجبات منوطة بالاستطاعة، والمقصود فليطعه بالمعروف، كما قيدت الطاعة كطاعة الأئمة بذلك في الأحاديث الصحيحة إنما الطاعة في المعروف وكذلك في الحديث الصحيح لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق على المرء المسلم السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة.

إذن هذا الحديث مقيد فيما ليس بمعصية، مخصوص بما ليس بمعصية.

.....

---

١ – سورة المطففين آية : ١-٣.

٢ – سورة التغابن آية : ١٦.

﴿ فليطعه ما استطاع ﴾ فإن جاء آخر بعدما تم الأمر لهذا الإمام، واجتمعت عليه الكلمة، إذا جاء آخر ينازعه ويريد أن يكون له الأمر، فاقتلوا الآخر، أو فاضربوا عنقه، فاضربوا عنقه؛ لأنه يجر بهذه الدعوة وهذه المطالبة، يجر بهذه المنازعة يجر الأمة إلى الفساد العريض؛ لأن الأول لن يطرقه، ولن يتنازل له، ولم يستسلم له مجانا، فلا بد أن تكون الفتنة، هذه المنازعة تجر إلى الفتنة، سفك الدماء وحدوث الفوضى في الأمة، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر.

وفي الحديث الآخر الصحيح ﴿ إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخِر ﴾ الآخر: الثاني لأن هو الذي دخل، بويع للأول انتهى، ثم جاءت جماعة أخرى فبايعت لآخر، لا، فاقتلوا الآخر منهما، الآخر هو الطالب، الآخر هو الذي تنشأ عنه الفتنة، وهو منشأ النزاع، فاقتلوا الآخر منهما، هذا يتطابق مع قوله: ﴿ فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنقه ﴾ .

فهذا حديث –كما ترون– مشتمل على منهج عظيم، منهج، أولا: تتضمن الخبر عن هدي الأنبياء في معاملتهم لأممهم، ونصحهم لأممهم، فالأنبياء هم أنصح الخلق للخلق، وكذلك أتباع الأنبياء، أتباع الأنبياء كذلك هم أنصح الخلق للناس؛ لأنهم مقتدون بأنبياء الله، وسائرون على طريقهم.

وفي هذا الحديث خبر عما يجري لهذه الأمة، وعن حال هذه الأمة وما يجري لأولها وآخرها، وفيه الوصية بما يجب التحقق به ولزومه والثبات عليه في هذه الأحوال وهذه الفتن.

وهذا الحديث كما يظهر أنه حديث واحد متصل، فذِكْر البيعة والطاعة والتزام ببيعة الأول، هذا يشعر بأن الفتن المذكورة في الحديث هي فتن النزاعات على السلطة، والنزاعات على السلطة تجر إلى فتن كثيرة، تجر أيضا إلى فتن فكرية وعقدية وخلقية؛ لأنه إذا حدثت الفوضى أمكن كل واحد يفعل ما يشاء، من المجرمين، من قطاع الطريق من اللصوص، وكذلك أصحاب الأفكار والدعوات، كلٌ يتمكن من مراده؛ لأنه ليس هناك قيادة ولا إمرة توقف هذه العناصر الشريرة عند حدها، ولهذا جاءت الشريعة الحكيمة لوجوب السمع والطاعة ولو كان الوالي ظالما أو عاصيا أو فاسقا؛ لأن قيام الولاية واستقرار الأمور، وإن كان لا يخلو من شر، وقد يكون شرا كبيرا، فهذا الشر محتمل في جانب الشر الذي ينشأ عن الفوضى، والله أعلم.

حديث من كره من أميره شيئا فليصبر عليه

ولهما عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «من كره من أميره شيئا فليصبر عليه؛ فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات فميتته جاهلية» .

يقول ولهما، هذا الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «من رأى من أميره» من رأى: من كره، من كره من أميره شيئا، يعني من كره من أميره ورأى شيئا من معصية الله، كره منه من هو مكروه في الدين، ليست الكراهة الشخصية، من كره من أميره شيئا بأن رأى منه شيئا من معصية الله التي يجب أن يكره، ممن كانت، ممن حصلت كائنا من كان، فليصبر عليه: يعني ليصبر على ولايته، وعلى لزوم طاعته «فليصبر عليه ولا ينزعن يدا من طاعة» لا ينزع يده من طاعة الإمام ويفارقه، ويعتقد أن لا ولاية له عليه، وأنه لا يجب عليه السمع والطاعة له، فليصبر عليه.

هذا مطلوب، الصبر، يصبر حتى ولو ناله في ذاته بأذى من ضرب أو أخذ مال، فهذا ظلم منه، ظلم، ولكن هذا لا يوجب الخروج، لا يوجب المنازعة، لا يبيح الخروج ولا المنازعة ولا رفض الطاعة بالمعروف؛ فإنه من فارق الجماعة، فارق الجماعة، جماعة المسلمين، الجماعة المجتمعة على ذلك الوالي، الأمة جماعة، من فارق الجماعة شبرا فمات فميتة جاهلية، يموت على حال جاهلية؛ لأن أهل الجاهلية لا يخضعون، ولا ينقادون، ولا يسمعون، ولا يطيعون، أهل الجاهلية يعني لا يعترفون بقيادة، ولا يجتمعون على إمام وقيادة واحدة تنظم شئونهم، ولهذا كانت حياة العرب في الجاهلية حياة قبلية، يأكل قويهم ضعيفهم، فإنه يقول في الحديث: «فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات فميتة جاهلية» فميتته جاهلية: يعني ميتة جاهلية، يعني على حال أهل الجاهلية.

نعم، أعد الحديث.

ولهما عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «من كره من أميره شيئا فليصبر عليه؛ فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات، فميتته جاهلية» .

فليصبر عليه: يعني بلزوم طاعته بالمعروف، ولا ينازعه، وفي المنازعة خروج عن الاجتماع، وسبب للفرقة والشقاق، وحدوث النزاع في الأمة، وينشأ عن هذا ما ينشأ من الفساد.

والأحاديث في هذا المعنى مستفيضة، ولهذا كان من أصول أهل السنة، من أصولهم وجوب السمع والطاعة للأئمة، أبرارا كانوا أم فجارا، والنصيحة لهم بمحبة الخير لهم وصلاح حالهم، والدعاء لهم بصلاح الحال، وليس هذا إقرارا بفسقهم أو ظلمهم، ولا غضا للنظر عن ذلك، لكن هذا هو الواقع، هذا هو موجب النصيحة، النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، حتى فساق المسلمين ألا تحب لهم صلاح الحال والهداية؟

.....

فهذا أصل من أصول أهل السنة، من أصول منهج أهل السنة والجماعة، السمع والطاعة للأئمة أبرارا كانوا أم فجارا، وترك منازعتهم، وترك الخروج عليهم، والخروج على الأئمة هو من مذهب أهل البدع، كالخوارج والمعتزلة الذين من أصولهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا أصل من أصول الدين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكنهم يطوون تحته الخروج على الولاة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فلا يجوز الخروج على الأئمة، يعني الخروج على الأئمة إن كان منافسة على السلطان فهذا شر محض، يعني شر ليس فيه جانب خير؛ لأنه لم يقصد به الخير، إنما قصد به الوصول إلى الأغراض إلى السلطان، إلى منافع الولاية، ولكن الكلام فيمن يخرج على الإمام بسبب إنكار المنكر، يريد رفع الظلم، يريد تولية من يكون أصلح وما أشبه ذلك، هذا هو الكلام.

فهذا الذي نقول إنه مع ما يدعى من القصد إلى إنكار المنكر ورفع الظلم، فإنه أيضا لا يجوز؛ لأنه يناقض قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول الدين، وهو حق، ولكن من قواعده ألا يؤدي هذا الإنكار إلى منكر أعظم، فإذا كان المقصود من الإنكار والتغيير هو إزالة المنكر أو تقليل المنكر، فمتى أدى الإنكار إلى منكر أعظم كان الإنكار منكرا، كان الإنكار منكرا؛ لأنه لا يوصل إلى المقصود، ولا يحقق المصلحة، ولا يدفع المفسدة، بل يزيد الفساد، يزيد المفسدة، وقد بُليت هذه الأمة بهذا النوع من الشر بالخروج على الولاة.

ويقول ابن القيم في بعض كلام له: إن الأمة لم تزل في آثار ذلك وفي شرور من آثار ذلك، يقول إلى الآن، يريد إلى وقته، لم تزل الأمة تعاني من شرور، من آثار هذه النزاعات، النزاعات على السلطة، والخروج على الأئمة، واقرءوا التاريخ، ففيه معتبر، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

حديث تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين

ولأبي داود، عن ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه-، عن النبي ﷺ أنه قال: «تدور رَحى الإسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيل من هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم سبعين عاما، قال قلت: أمما بقي؟ قال مما مضى» .

عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين» قد يكون هذا شكا من الراوي، فإن يهلكوا فسبيل من هلك، يعني من هلك فهو مع الهالكين، فسبيله سبيل الهالكين، من هلك بإعراضه عن دين الله وانحرافه فهو في سبيل الهالكين، فسبيل من هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم سبعين عاما، لا إله إلا الله.

الذي يظهر من هذا الحديث أن قوله: تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين، يعني إلى خمس وثلاثين عاما، ودوران الرحى فيها حركة وله ثمرة، الرحى لعل بعضكم ما يعرفها، هي آلة للطحن، آلة للطحن تتكون من حجرين أعلى وأسفل، والأسفل ثابت والأعلى متحرك، يجعل فيها الحب فيكون بين الحجرين، وبدوران الأعلى ينطحن الحب، ويطحن الحجر الأعلى يطحن ذلك الحب حتى يصير دقيقا، فهذا التعبير نوع من التشبيه، استعارة لعز الإسلام وظهوره، وحركته بالجهاد في سبيل الله، هذه صورة تستمر إلى خمس وثلاثين سنة، تدور رحى الإسلام، يعني يكون الإسلام في عز وفي حركة وفي قوة لخمس وثلاثين سنة.

وقوله في آخر الحديث: "مما مضى أم مما بقي" فقال -والظاهر أن الكلام للرسول، فهو من الحديث- فقال: "بل مما مضى"، وهذا لعله -والله أعلم- يعني لعله يفسره الواقع، وهو استمرار الخلافة الراشدة في قوة وفي حركة جهادية إلى خلافة علي ﷺ فكان الجهاد في حياة الرسول، وكان الإسلام في نمو، وفي خلافة الخليفة الراشد مع ما وقع من الردة، لكن كان للمسلمين قوة، ولدولة الإسلام قوة، ولهذا قاومت المرتدين، وردت من شاء الله هدايته، وجُهزت الجيوش لفتح أطراف الجزيرة وما وراءها، وكذلك في خلافة عمر، وفي خلافة عثمان.

وبعد خلافة عثمان يعني فَتَرَت حركة الجهاد، وجاء وحصل ما حصل من الفتن، وأفضل ما حصل في خلافة علي ﷺ قتاله للخوارج، نقول: فهذا أفضل ما يفسر به قوله ﷺ «تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين سنة، فإن يهلكوا فسبيل من هلك» مَن يهلك من الناس مع ما للإسلام من قوة ومن عزة وظهور فسبيله سبيل الهالكين،

.....

﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ [1] وإن يقم لهم دينهم يقم سبعين عاما، هذا نوع قيام هو دون الحال الأولى، دون الحال الذي عُبر عنها بدوران الرحى، يعني الدين قائم، لكن ليس هو في القوة والحركة كحاله في تلكم المدة، الخمس والثلاثين، الخمس والثلاثين الذي بعده إلى السبعين عاما، سبعين عاما، قيل: مما مضى أو مما بقي؟ قال: مما مضى.

وهذه المدة أيضا من جهة التاريخ توافق آخر خلافة ابن الزبير، عبد الله بن الزبير، وفي آخر أمره جرى ما جرى من الفتن والحروب والصراع، حتى لما بويع لعبد الملك جهز الجيوش لبسط النفوذ على بقية البلاد، وغزت جيوش عبد الملك المدينة ومكة، فكان الأمر قبل ذلك يعني خيرا منه بعد ذلك في الجملة، والله أعلم.

ومثل هذه الأحاديث التي تتضمن إخبارات عن أمر المستقبل لا يمكن الجزم بمعناها إلا بدليل، لكن يمكن أن يقال لعله أو أقرب ما يكون أو لعل المراد، لعل المراد كذا وكذا كما تقدم.

وهذا الحديث إذا ضممناه للحديث المتقدم، حديث عبد الله ابن عمر، يعني نجد بينها تشابها، يعني من حيث أن كلما قرب العهد بعهد النبوة كان الخير أفضل وأكمل، وكلما بعد عن عهد النبوة كان النقص أكثر، عهد النبوة هو أصل الخير كله، عهد النبوة هو الأصل في الخير الذي تتمتع به هذه الأمة إلي قيام الساعة، فأفضل العهود عهده ﷺ وعهد خلفائه الراشدين.

أحسن الله إليك، يقول: فضيلة الشيخ، من كان مسلما ويعيش في بلاد الكفار فلمن تكون بيعته ؟

يعني أحوال المسلمين بعدما تمزقت الأمة لهم أحوال، فمن يعيش في بلاد الكفار ليس لهم إمام يتبعه، هو معذور؛ لأنه ليس في جماعة لها إمامة وقيادة، لكن ينبغي إذا كانوا مجتمعين أن يتخذوا لهم أميرا يطيعونه ويتعاونون؛ لأن الإمرة فيها مصالح عظيمة.

أحسن الله إليكم، يقول: هل من يخرج على الإمام العادل أو الظالم يعد من الخوارج الذين جاء الوعيد لهم في الحديث، أم يكونون من البغاة ولا يخرج عن كونه من أهل السنة؟

لا، بل يكون من البغاة، إذا كان لا يعتنق أصول الخوارج كالتكفير بالذنوب، فإنه يكون باغيا.

يقول –أحسن الله إليكم–: نأمل من شيخنا توضيح الأمر فيما حدث في هذه الأيام من التفجيرات، وهل هي من الجهاد المشروع؟ ثم إذا كان الجواب بلا فكيف نستطيع إقناع من يرى أنها من الجهاد ؟

---

١ – سورة الأنفال آية : ٤٢.

.....

الله المستعان، قضية قد عركها الناس بالقيل والقال والكلام والبحث، وتنوعت أقاويل الناس، وأنا أقول: إنها ليست من الجهاد، بل هي أمر منكر، وأما الذين على ما يقال إن الذين فعلوا أو يفعلون مثل هذا أنهم يعني من الشباب المتدينين الغيورين، إذا كان الأمر كما هو مشهور وكما هو يذكر، فهم متأولون، وحكمهم إلى الله، لكن المهم ليس هو الحكم عليهم، فمن مات منهم فقد أفضى إلى ربه وإلى ما قدم، ومن بقي فعليه أن يراجع نفسه، وأن يتوب إلى ربه، ويحذر من التورط في مثل هذا، وتعريض الأمة للشر والفساد العريض.

الجهاد، جهاد الكفار، يعني تجهيز دولة الإسلام لجهاد الكفار هذا يتوقف على النظر وعلى السياسة الحكيمة، والموازنة بين المصالح والمفاسد، وهذه الأعمال يعني من يمارسها من الناس بشتى التأويلات هم أصناف، لكن العمل في ذاته هو منكر، لا يجوز التهوين من شأنه، وحسبكم ماذا حصل بعد ما حدث، ماذا حصل على الناس من القلق والخوف والتشرد لبعض الناس، وربما يؤخذ من لا صلة له بهذا الأمر، إنما يؤخذ لمجرد الاشتباه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أحسن الله إليكم، يقول: في حال كون الإمام المبايع في إحدى الدول لا يقوم بشرع الله، ولكن حصل من شعبه المبايعة له، وهو أبعد ما يكون عن دين الله، وجاء آخر ينازعه وهو مسلم قائم بشرع الله، فما الحكم حينئذ ؟

إذا أمكن، يعني إذا كان الكافر، يعني المسألة مفروضة في والٍ كافر، هكذا مضمون السؤال، المسألة مفروضة في أن الوالي كافر كفرا بواحا، فإذا كان الوالي كافرا كفرا بواحا، وتهيأت القدرة على الخروج عليه، فإنه يجب الخروج عليه، أو على الأقل يجوز الخروج عليه، يجوز الخروج عليه، لكن أيضا لا بد من توفر القدرة حتى لا تكون النتيجة سلبية، وتكون النتيجة سحق هؤلاء الجماعة الذين أرادوا الإطاحة بهذا الكافر وإبعاده وإقصائه، لا بد من أن تكون الأمور مبنية على النظر الصحيح.

أحسن الله إليكم، وأثابكم ورفع درجاتكم، وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أثر عبد الله بن سلام إن لله سيفا مغمودا عنكم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال –رحمه الله تعالى–: وللترمذي عن ابن أخي عبد الله بن سلام قال: لما أريد عثمان جاء عبد الله بن سلام، فقال له عثمان ﷺ ما جاء بك؟ قال: جئت في نصرتك، قال: اخرج إلى الناس فاطردهم عني، فإنك خارج خير لي من داخل. قال: فخرج عبد الله بن سلام إلى الناس فقال: أيها الناس، إنه كان اسمي في الجاهلية فلان، فسماني رسول الله ﷺ عبد الله، ونزلت في آيات في كتاب الله نزل فيّ: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ [1] الآية، ونزل فيّ: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [2] إن لله سيفا مغمودا عنكم، وإن الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه نبيكم، فالله الله في هذا الرجل أن تقتلوه، فوالله إن قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة، وليسلن سيف الله المغمود عنكم، فلا يغمد إلى يوم القيامة، فقالوا: اقتلوا اليهودي واقتلوا عثمان قال الترمذي: حديث حسن، حديث حسن غريب.

الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

لا إله إلا الله، من المصائب العظمى والكوارث الذي حدثت في هذه الأمة ثورة أهل الأهواء، ثورة أهل الأهواء والمنافقين على الخليفة الراشد عثمان –رضي الله عنه–؛ حيث تقلبوا عليه، وتجمعوا من النواحي، وتجمعوا حول داره، يريدون أن يقتحموها عليه ويقتلوه في المدينة، فمكث أياما وهو محاصر في داره –رضي الله عنه وأرضاه–، وهذه هي البلوى العظيمة التي أخبره بها النبي –عليه الصلاة والسلام– في قوله لأبي موسى عندما كان بوابا على باب ذلك الحائط، فلما جاء عثمان استأذن له، وقال: هذا عثمان بالباب،

---

١ – سورة الأحقاف آية : ١٠.

٢ – سورة الرعد آية : ٤٣.

.....

وقال ائذن له، وبشره بالجنة على بلوى تصيبه، فقال عثمان: الله المستعان ﷺ .

وفي هذه الأيام أو في أحد هذه الأيام جاء عبد الله بن سلام، الصحابي الجليل الذي هو من أهل الكتاب وأسلم، جاء ودخل على عثمان، فقال: ما جاء بك؟ فقال: جئت في نصرتك، يعني جئت لأنصرك، قال: اخرج إلى الناس واطردهم عني، اطردهم، والذي يظهر أنه يريد يطردهم بالكلام، بالوعظ، بالتذكير؛ فإنه ﷺ منع أن يقاتل أحد أحدًا دونه، منع أن يُقتل أحد في نصرته، فقال: اخرج واطرد الناس؛ فإنك خارج خير لي منك داخل.

في بعض الراويات "فإنك خارجا"، أي: حال كونك خارجا، أو في الخارج، خير لي منك في الداخل، أو حال كونك داخلا، فخرج عبد الله بن سلام، وخاطب هذه الجموع ، خاطبهم وذكر لهم شيئا من فضله ﷺ يريد من ذلك لم يقل هذا ويتكلم به فخرا، إنما يريد أن يعرفوا فضله، فيقبلوا توجيهه ونصحه وموعظته، فقال: إنه كان اسمي فلانا، لم يذكر في هذه الرواية لفظ الاسم الذي كان يسمى به، وليس هذا بمهم، يقول: وسماني رسول الله ﷺ عبد الله، فصار عبد الله بن سلام، هذا هو المهم، قال: ونزلت في آيات من القرآن، وذكر الآيتين: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ ﴾ [1] ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ [2] هو عبد الله بن سلام، هذا هو المشهور في التفسير، على مثله: يعني على مثل القرآن ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ ﴾ [3] أي على مثل القرآن، وهو التوراة، أو ما في التوراة من أحكام مطابقة لما في القرآن، فإن شرائع الأنبياء متفقة في الأصول وإن اختلفت في كيفيات الشرائع وفي بعض الشرائع.

---

١ – سورة الأحقاف آية : ١٠.

٢ – سورة الأحقاف آية : ١٠.

٣ – سورة الأحقاف آية : ١٠.

.....

وكذلك الآية الأخرى ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [1] فُسِّرت أيضا بعبد الله بن سلام، وفسرت بجنس أهل الكتاب، ثم ذكر ﷺ إنكم في هذه البلدة المباركة التي كانت مهاجرا ومنزلا لنبيكم، لمحمد ﷺ وهي نعمة عظيمة، وكانت أيضا مأوى للملائكة الكرام ممن ينزل بالوحي، ومن الملائكة الذين يأوون إلى مجالس الصالحين ومجالس العلم.

ذكر لهم أن الملائكة قد جاورتكم في بلدتكم هذه؛ لما حصل فيها من الخير والعلم، آثار النبوة، ذكر لهم أن لله سيفا مغمدا أو مغمودا، السيف المغمد المعروف أنه الموضوع في غمده، والمسلول هو المخرج من غمده، مسلول، سَلَّ السيف أي: أخرجه من غمده، وأغمده: جعله في قرابه وفي غمده، قال: فالله الله، يعني اتقوا الله أن تقتلوا هذا الرجل، اتقوا الله أن تقتلوا هذا الرجل.

فهذا هو مطلب عثمان ﷺ مطلبه أن يطرد الناس عنه بالوعظ والتذكير والتخويف، وقال له فيما قال: إنه إن سل سيف الله فإنه لا يُرفع إلى يوم القيامة، وهذا جاء هذا المعنى في حديث مشهور، وإذا وقع عليهم السيف وقع السيف في هذه الأمة لم يرفع إلى يوم القيامة، بل تتابع الفتن والحروب كما يشهد به التأريخ والواقع، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة.

ولكن ماذا قال هؤلاء الضلال الجهال وهؤلاء المغرضون المتبعون لأهوائهم؟ ماذا قالوا لعبد الله بن سلام بعد هذا التذكير وهذه الموعظة وهذه النصيحة؟ قالوا: اقتلوا اليهودي واقتلوا الرجل، اقتلوا اليهودي، هذا يهودي، هذا هو الجواب، فماذا عساه أن يفعل عبد الله بن سلام؟ ليس أمامه إلا أن يمضي في طريقه ويتركه، أدى ما عليه ﷺ بهذه النصيحة، ونصر عثمان ﷺ بما استطاع من قول، بما استطاع من قول، أما الفعل فهذا ما لا يرضى به عثمان ﷺ فقد طلب نصرته جمع من الصحابة، أرادوا أن يدافعوا عنه بالقوة، فنهى أن يُسفك في حمايته ومن أجله قطرة دم. أعد الحديث نسمعه مرة أخرى.

---

١ – سورة الرعد آية : ٤٣.

حديث فتنة الرجل في أهله وولده وداره

وللترمذي، عن ابن أخي عبد الله بن سلام قال: لما أُريد عثمان جاءه عبد الله بن سلام، – يعني لما أراده الثوار، لما أرادوه، وأرادوا قتله، وأحاطوا بداره . –نعم – فقال له عثمان ﷺ ما جاء بك؟ قال: جئت في نصرتك، قال: اخرج إلى الناس فاطردهم عني؛ فإنك خارج خير لي من داخل، قال: فخرج عبد الله بن سلام إلى الناس فقال: أيها الناس، إنه كان اسمي في الجاهلية فلان، فسماني رسول الله ﷺ عبد الله، ونزلت فيّ آيات من كتاب الله، نزل فيّ: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ ﴾ [1] الآية، ونزل فيّ: ﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [2] إن لله سيفا مغمودا عنكم، وإن الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه نبيكم ﷺ فالله الله في هذا الرجل أن تقتلوه، فوالله إن قتلتموه لتطرُدُن جيرانَكم الملائكة، وليُسلّن سيف الله المغمود عنكم فلا يغمد إلى يوم القيامة، فقالوا: اقتلوا اليهودي واقتلوا عثمان قال الترمذي: حسن غريب. – بعده – .

ولهما أن عمر ﷺ قال : أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قال حذيفة: فقلت: أنا، فقال: إنك لجريء، فقال: كيف؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فتنة الرجل في أهله وولده وجاره، تكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال عمر: ليس هذا أريد، إنما أريد التي تموج موج البحر، قال: مالَك ولها يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها بابا مغلقا، قال: أيفتح الباب أم يكسر؟ قال: بل يكسر، قال: ذاك أجدر ألا يغلق، فقلت لحذيفة: أكان عمر يعلم من الباب؟ قال: كما يعلم أن دون غدٍ الليلة، إني حدثته حديثا

---

١ – سورة الأحقاف آية : ١٠.

٢ – سورة الرعد آية : ٤٣.

ليس بالأغاليط، قال: فهِبنا أن نسأله من الباب، فقلنا لمسروق: سله، فسأله، فقال: عمر ﷺ انتهى.

يقول ولهما: أي للبخاري ومسلم هذا الحديث، والراوي للحديث في هذه القصة عن حذيفة هو شقيق بن عبد الله يقول: ﷺ بينما كنا جلوس مع عمر فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قال حذيفة: فقلت: أنا، فقال: إنك لجريء، كيف؟ ﷺ وقوله: "إنك لجريء" يظهر أنه مدح، مدح له بالمعرفة والحفظ، فقال حذيفة ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﷺ فتنة الرجل في أهله وولده وجاره، تكفرها الصلاة، والصدقة، والصيام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﷺ يعني: تكفرها الأعمال الصالحة التي هذه أبرزها الصلاة، والصدقة، والصيام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس هذا على سبيل الحصر، بل الأعمال الصالحة من جزائها أنها تكفر السيئات ﷺ العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ﷺ .

يقول: فتنة الرجل في أهله وماله وجاره، تكفرها، يعني ذنوبه المتعلقة بأهله وولده وجاره، الذنوب عبر عنها بالفتنة، ذنوبه في أهله من تقصير في حقوق، التقصير في الحقوق، هذه تكفرها الصلاة والصدقة والصيام، ومعلوم أنها هذه الذنوب المكفرة إنها من نوع الصغائر، صغائر الذنوب، يعني من الأمور التي لا بد أن يتعرض لها الإنسان، ليست هي المظالم، المظالم التي هي حقوق الخلق لا تكفرها الأعمال الصالحة، حقوق الخلق لا بد منها، لكن الأمور التي تحصل بسبب المعاشرة والمخالطة لا بد أن يحصل شيء من الأخطاء والذنوب الصغيرة.

فهذه الذنوب تكفرها الأعمال الصالحة كغيرها من صغائر الذنوب كما في الحديث الصحيح ﷺ الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر ﷺ حذيفة ذكر هذه الفتنة، فقال عمر: ليس هذا أريد، يعني: لا أريد هذه الفتنة، وفي بعض الراويات: "ليس عن هذا أسألك، إنما أريد أو إنما أسألك عن الفتنة التي تموج موج البحر"، فتنة عظمى، ليست من هذا النوع الذي تذكر، الذي يتعرض له كثير أو أكثر الناس، إنما أريد الفتنة التي تموج موج البحر، أي كموج البحر، الموج يتلاطم.

قال حذيفة ﷺ إن بينك وبينها يا أمير المؤمنين بابا مغلقا، هذه الفتنة لم تأت، بينك وبينها باب، إن بينك وبينها بابا مغلقا، فقال: أيكسر الباب أم يفتح؟ قال: بل يكسر. إذن لا يغلق، الباب إذا انكسر لا يغلق، محتاج إلى إصلاح وترميم، إذن لا يغلق، فالفتن إنما جاءت –كما تقدم– بعد ما مات عمر بدأت البذور، بذور الفتنة، ولم تكن يعني بقتل عمر لم تكن هناك فتنة، جمع الله كلمة المسلمين، فقد جعل عمر ﷺ الأمر شورى في الستة الذين قال عنهم: إنه مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فاتفقت كلمتهم، واتفقت كلمة المسلمين على تولية عثمان، فاستقام الأمر،

واستقر الأمر، ولم تحدث فتن، لكن بدأت البذور، نفس قتل المجوسي لعمر هذه بداية ولو بعد أمد، بدأت البذور،

.....

بدأت البدايات، ولو كانت الفتنة جاءت متأخرة بعد السنين.

يقول الراوي عن حذيفة إننا قلنا له: هل كان يعرف عمر ﷺ من الباب؟ قال: نعم، إنه يعرف كما يعلم أن دون غدٍ الليلة، فعمر ﷺ كأنه عرف الأمر، ويقول كأنه فهم من لحن حذيفة؛ لأنه يقول إني حدثت حديثا ليس بالأغاليط، والأغاليط جمع أغلوطة، وهو ما يمكن المغالطة فيه، ويمكن فيه الغلط، حديثا ليس بالأغاليط، بل هو حديث بيّن ظاهر.

فالذي يظهر لي أن عمر ﷺ فهم ذلك، فهم أنه هو الباب من سياق كلام حذيفة ﷺ وقول الراوي: فهبنا أن نسأله من الباب، فقلنا لمسروق بن الأجدع: سله من الباب؟ فقال: عمر، القائل هو شقيق كما تقدم، فعلم بهذا أن الفتن أنواع، الذنوب أنواع، تقدم لكم أن لفظ الفتنة أصله هو إدخال الذهب في النار لتمييزه، وصار يطلق على كل اختبار، اختبار في الفتنة، ويطلق أيضا على العذاب، يطلق على أسباب العذاب، الشرك، والفتنة أشد من القتل، ويطلق ويطلق، ويطلق على الذنوب التي يتعرض لها الإنسان بسبب ابتلائه بمحبوباته من الأهل والمال ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ ﴾ [1] فتنة: يعني ابتلاء ﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ ﴾ [2] يعني ابتلاء، هذا الابتلاء ينشأ عنه ما ينشأ من الذنوب، وهي التي عبر عنها حذيفة بفتنة الرجل في أهله وولده وجاره، أما نفس الابتلاء فليس هو بذنوب، ابتلاء الإنسان بالمال والأهل والولد والأصحاب والجيران، هذا ابتلاء قدره الله -سبحانه وتعالى-، ولكن المنكر الذي يحتاج إلى التكفير هي الذنوب التي تنشأ عن ذلك الابتلاء. نعم، اقرأ الحديث مرة أخرى.

ولهما أن عمر ﷺ قال : أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قال حذيفة: فقلت: أنا، فقال: إنك لجريء، فقال: كيف؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فتنة الرجل في أهله وولده وداره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال عمر: ليس هذا أريد، إنما أريد التي تموج موج البحر، قال: مالَك ولها يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها بابا مغلقا، قال: أيفتح الباب أم يكسر؟ قال: بل يكسر.

---

١ - سورة التغابن آية : ١٥.

٢ - سورة الأنبياء آية : ٣٥.

.....

يعني مالك ولها، إن بينك وبينها، يعني لا خوف عليك منها، ستكون في غير عهدك، لا تكون إلا بعدك، أنت دونها، إن بينك وبينها بابا مغلقا، الفتن إنما كانت بعده، أما في عهده فلم يكن إلا الخير والجهاد في سبيل الله، والفتوح العظيمة، وانتشار الإسلام، وهما ما دلت عليه رؤيا النبي ﷺ عندما رأى أنه كان على قليب وعليها دلو، فنزع منها ما شاء الله، ثم أخذها أبو بكر، فنزع دلوا أو دلوين، ثم استحالت غربا، فأخذها عمر، فاستحالت غربا يقول: 🕋 فلم أر عبقريا يفري فريه، حتى ضرب الناس بعطن 🕋 نعم.

حديث فتنة عمياء صماء عليها دعاة على أبواب جهنم

"قال: أيفتح الباب أم يكسر؟ قال: بل يُكسر، قال: ذاك أجدر ألا يغلق، فقلت لحذيفة: أكان عمر يعلم مَن الباب؟ قال: كما يعلم أن دون غدٍ الليلة، إني حدثته حديثا ليس بالأغاليط، قال: فهِبنا أن نسأله من الباب، فقلنا لمسروق: سله فسأله، فقال: عمر ."

–نعم. بعده: –

ولأبي داود عن نصر بن عاصم الليثي قال (د) أتينا اليشكري في رهط من بني ليث، قال: من القوم؟ فقلنا: بنو ليث، أتينا نسألك عن حديث حذيفة. قال: أقبلنا مع أبي موسى قافلين وغلت الدواب بالكوفة قال: فسألت أبا موسى أنا وصاحب لي فأذن لنا فقدمنا الكوفة، فقلت لصاحبي: إني داخل المسجد إذا قامت السوق خرجت إليك، فدخلت المسجد فإذا فيه حلقة كأنما قطعت رءوسهم، يستمعون لحديث رجل قال: فقمت عليهم. قال: فجاء رجل فقام إلى جنبي قال فقلت: من هذا؟ قال: أبصْري أنت؟ قلت: نعم. قد عرفت ولو كنت كوفيا لم تسأل عن هذا، فدنوت منه فسمعت حذيفة يقول: كان الناس يسألون رسول الله–صلى الله عليه وسلم– عن الخير وكنت أسأله عن الشر، وعرفت أن الخير لا يسبقني، قال قلت: يا رسول الله، أبعد هذا الخير شر؟ قال: نعم. قال: يا حذيفة، تعلم كتاب الله واتبع ما فيه، قلت: يا رسول الله، أبعد هذا الخير شر؟ قال: فتنة وشر. قلت: يا رسول الله، أبعد هذا الشر خير؟ قال: يا حذيفة، تعلم كتاب الله واتبع ما فيه ثلاث مرات، قلت: يا رسول الله، أبعد هذا الشر خير؟ قال: هدنة على دخن وجماعة على أقذاء أو فيهم. قلت: يا رسول الله، أبعد هذا الخير شر؟ قال: يا حذيفة، تعلم كتاب الله– ﷻ – واعلم ما فيه ثلاث مرات. قلت: يا رسول الله، هل بعد الخير شر؟ قال: فتنة عمياء صماء عليها دعاة على أبواب جهنم، فإن مت يا حذيفة وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحدا منهم (د) .

هذا الحديث كما سيأتي بعد هذا أن معناه وأصله في الصحيحين، ففي هذه الرواية يذكر أن حذيفة–رضي الله عنه– يقول عن نفسه: إن الناس كانوا يسألون رسول الله عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، و أنه سأل رسول الله–صلى الله عليه وسلم– هل بعد هذا الخير الذي هو فيه من شر،

.....

قال: نعم فتنة وشر وأوصاه بكتاب الله يا حذيفة، تعلم كتاب الله، تعلم كتاب الله، كلما سأله وذكر له ما سيكون يقول له: تعلم كتاب الله، تعلم يعني تفهم ما فيه، أو اعلم ما في كتاب الله، تعلم بمعنى اعلم، والمعنى الأول هو الأولى تفقه في كتاب الله وافهم كتاب الله؛ لأن كتاب الله فيه العصمة من هذه الشرور، ومن هذه الفتن، فلم يزل يوصيه بكتاب الله.

وهذا الحديث كالحديث الآتي، في الرواية المتفق عليها، فيه أن الأحوال تتغير من خير إلى شر، ومن شر إلى خير، وتتعاقب هذه الأمور على الناس وأزهى العهود في الخير أكملها خيرا هو عهد النبوة كما تقدم تدور رحى الإسلام، عهد النبوة وعهد الخلافة الراشدة تدور رحى الإسلام بخمس وثلاثين سنة فهذا عهد الخير ثم تجيء فتنة وشر، وقد جاءت الفتنة وجاء الشر، وأظهر ذلك ما حصل ونشأ وتفرع عن قتل عثمان–رضي الله عنه– تفجرت الشرور، ووقعت الفرقة بين المسلمين، ووقعت الفتنة، ووقع القتال بتأويل وبغير تأويل.

وذكر أنه بعد هذا الخير وبعد هذا الشر أيضا يكون فيه خير، ولكن على دخن ليس خيرا صافيا وخالصا كالأول، لا إذ القلوب فيها دخن، والدخن يعني ويفسر بما يكون في القلوب من حقد ومن فساد ومن أهواء، يعني ليس هناك الصفاء الذي كان عليه الناس في العهد الأول.

ثم بعد هذا الخير تأتي فتن أخرى وشرور قال فيها: إنه تأتي فتن عمياء وصماء يعني فتنة عظيمة، يضل فيها الناس ولا تكون عندهم البصيرة للتمييز بين الحق والباطل، فتنة عمياء فيها التباس، وأهلها لا يبصرون الحق، القائمون بهذه الفتنة عمي لا يبصرون الحق القائمون بهذه الفتنة لا يبصرون الحق عمي ولا يستمعون لناصح فالعمى والصمم لأهل تلك الفتنة فهي عمياء صماء.

قال: فما تأمرني؟ قال: أن تعتزلهم ولو أن تعض يدركك الموت وأنت على جذل، عاض على جذل كما يفسره، ولو أنت عاض على أصل شجرة، الجذل قريب معناه ولفظه من الجذع.

فأمره النبي– عليه الصلاة والسلام – أن يعتزل أهل هذه الفتن وهذا هو الواجب في جميع الفتن التي يلتبس فيها الأمر ويخفى فيها المحق من المبطل، يجب على الناصح لنفسه أن يعتزل كل الفرق وكل الأطراف.

وذكر أيضا مما يصعب هذه الفتنة الدعاة إليها، الدعاة إلى القتال، إلى الصراع، على غير هدى ولا بصيرة ولا غرض صحيح، كلها دعوى للباطل، دعاة على شفير جهنم، من يجيبهم يصير إلى ما دعوا إليه، يصير إلى

ذلك الشر كما في اللفظ الآخر الذي سيأتي 🕮 من أجابهم قذفوه فيها 🕮 دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها وألقوا به فيها، نعم بعده.

حديث كنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني

ولهما عن أبي إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة يقول: كان الناس يسألون رسول الله–صلى الله عليه وسلم– عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد الخير شر؟ قال: نعم. فقلت: فهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن، قال قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هدبي تعرف منهم وتنكر، فقلت هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم فتنة عمياء دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها. فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: نعم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، فقلت: يا رسول الله، وما تأمرني إن أدركت ذلك، قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل الشجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك .

هذا الحديث مناسب للحديث المتقدم وقريب منه وشبيه به، وإن كان بينهما بعض الاختلافات اللفظية، حذيفة–رضي الله عنه– يذكر عن نفسه أن الناس كان يسألون رسول الله–صلى الله عليه وسلم– عن الخير، عن فضائل الأعمال، عن الأعمال الصالحة، وعن القرب، يقول: وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، ليس المراد أنه يسأله عن الشر، يعني عن المحرمات لا، يسأله عما سيكون من الشرور والأحداث والأمور المستقبلية يقتضيه السياق عن الأمور المستقبلية عن الأحداث التي ستكون، وتكون سببا للضلال والانحراف عن الجادة.

يقول: مخافة أن يدركني، يقول قلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، نعم كان الناس في جاهلية وضلال لا علم ولا هدى وشر، شرك ومعاص وحروب، وأنواع من المعاصي منها قتل الأولاد، فجاءنا الله بهذا الخير على يده–عليه الصلاة والسلام– وهو العلم والإيمان والقرآن والأعمال الصالحة، التي دعا إليها الرسول–صلى الله عليه وسلم– وبلغها وعلمها وعمل بها المسلمون، فهل بعد هذا الخير الذي نحن فيه هل بعده من شر؟! قال: نعم، فقلت: فهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن قوم يهدون بغير هدبي ويستنون بغير سنتي تعرف منهم وتنكر، فذكر أنه يكون شر بعد الخير الذي كان الناس عليه في عهد النبوة وفي عهد الخلافة الراشدة

.....

ولا سيما خلافة الخلفاء الخليفتين الأولين أبي بكر وعمر، وعثمان كذلك ولكن مع وجود بدايات الشر كما تقدم.

فيه دخن يعني الخير الثاني ليس خيرا خالصا هناك كدر هناك شرور ليس ذلك الخير صافيا وخالصا كالخير الأول نعم.

قلت: وما دخنه؟ قال قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، فقلت هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم. فتنة عمياء دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوا فيها .

هذا هو الأمر الثالث بعد ذلك الخير المدخون، فيه دخن قال قلت وهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، فتنة عمياء. هذا مطابق للحديث المتقدم فتنة عمياء وصماء وفسر هذه الفتنة بالدعاة، ودعاة الفتنة هم موقدوها هم الذين يوقدون الفتنة يحرضون الناس على الشر على القتال، يدعون الناس دعاة على أبواب جهنم، وكما قلنا: إن الغالب في مثل هذه الفتن هي فتن القتال، القتال الذي لا يقوم على غرض صحيح ومقصود شرعي، بل هي أغراض جاهلية وأغراض دنيوية يقتتل عليها الناس دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه، كل فريق يدعو إلى الانضمام إليه له دعاة يدعون إليه فجمهور الناس مما لا بصيرة له يلحقون بهذه الطوائف وهذه الفرق، ويكونون وقودا لهذه الحروب العمياء.

وقوله: على أبواب جهنم، أبواب جهنم هي السبل والمداخل إلى جهنم وهي المعاصي والذنوب من أنواع الكفر والكبائر، ولا شك أن الدخول والمشاركة الحروب الجاهلية الحروب العمياء من أسباب العذاب إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فدعاة هذه الفتنة من أجابهم وانخدع بدعوتهم قذفوه في أتون الفتنة، وعرضوه لعذاب النار، من أجابهم إليها قذفوه فيها لا يبالون.

قال قلت: يا رسول الله، صفهم لنا. قال: قوم من جلدتنا يعني من قومنا ومن أهل لغتنا يتكلمون بألسنتنا من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قيل: إنه يؤخذ من هذا أنهم من العرب وأن هذه الفتنة المشار إليها تكون من العرب أو تكون بين العرب وهذا هو الواقع في هذه الفتن التي حدثت في أول الإسلام كان معظم من يدخل في تلك الحروب العمياء معظمهم من العرب ومن يدعو إليها هم من العرب قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.

قال حذيفة–رضي الله عنه– قلت: فما تأمرني؟ ماذا أصنع عند هذه الفتنة؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، تعتزل الفرق المتصارعة والمختلفة وتلزم جماعة المسلمين وإمامهم، تلزم جماعة المسلمين بالطاعة في بالمعروف بطاعة إمامهم، إمام المسلمين بالمعروف، وبالتعاون مع جماعة المسلمين على الخير، كما هو الواجب على المسلمين دائما، إنما يكون مع الجماعة لتحقيق التعاون على البر والتقوى، قال قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ يعني قد منحازة بقيادة يعني عادلة،

.....

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يأتيك الموت.

وهذا الحديث أولا يدل على يعني منهج حذيفة–رضي الله عنه– واهتمامه بمعرفة الشر لاتقائه لاتقاء الشر، وهذا من الحزم، فينبغي للمسلم أن يحرص على معرفة الأخطار والشرور المتوقعة أو الشرور القائمة ليتقيها ويحذرها، كما أن عليه أن يعرف شرع الله ليحدد موقفه ويقوم بواجبه عند حدوث هذه الفتن وهذه الشرور، وفيه الدلالة على وجوب لزوم جماعة المسلمين وطاعة ولي الأمر بالمعروف وفيه الدلالة على أن دعاة الباطل هم دعاة إلى جهنم دعاة الباطل يدعون إلى النار، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ﴾ يدعو إلى الجنة وذلك بالأخذ بأسبابها من الإيمان والعمل الصالح والكفار يدعون إلى النار، والشيطان يدعو إلى النار: ﴿ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [1] .

وهكذا جنود الشيطان من الإنس شياطين الجن والإنس كلهم دعوتهم واحدة يدعون إلى النار، وقال مؤمن آل فرعون: ﴿ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۞ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ۞ ﴾ [2] فدعاة الباطل دعاة إلى الدخول في الحروب الجاهلية والدعاة إلى المذاهب الباطلة والأفعال المنكرة هم دعاة إلى النار، وهم بما يقومون به هم على أبواب من أبواب النار، فالأسباب المفضية إلى النار هي أبواب ولعله مما يستشهد به بهذا المعنى ما جاء في فضل رمضان، وأنه إذا دخل رمضان أنه ﴿ إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار ﴾ أبواب النار هي المعاصي والذنوب التي تفضي بسالكيها تفضي بأهلها إلى النار ما لم يتوبوا.

كما أفاد آخر الحديث أفاد أن الواجب على المسلم إن لم تكن هناك قيادة يجتمع عليها الناس، فالواجب الانعزال واعتزال تلك الفرق، وهذا عندما تكون الأمور فوضى، وإن شئتم شبهوها ببعض البلاد التي اختلت فيها الولاية ولم يبق إلا يعني الناس فرق قبائل وأحياء وقرى، كل جماعة لهم قيادة وبعضهم يغير على بعض وبعضهم يقتل بعضا

---

١ – سورة فاطر آية : ٦.

٢ – سورة غافر آية : ٤١-٤٢.

فوضى، ولعله مما يشبه هذا حال أهل العراق ليس لهم المسيطر عليهم إلا إلى حد ما هم الكفرة الأمريكان

.....

باحتلال البلاد، لكن الواقع ليس لهم قيادة، فالآن كل يستطيع أن يفعل ما يشاء من النهب والسلب والقتال والحرب بحق أو بغير حق، فالواجب حينئذ إذا لم تتبين أو لم تتضح الراية فالواجب اعتزال الفرق كل الفرق.

قال: ولو أن تعض على أصل شجرة يعني، ولو تلزم شجرة وكنى بالعض عن اللزوم كقوله–صلى الله عليه وسلم– وعضوا عليها بالنواجذ السنة يعني الزموا السنة وهنا قال: وأن تعض على أصل شجرة حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك نعم نكتفي بهذا القدر.

س : أحسن الله إليكم هذا أحد الأخوة –جزاه الله خيرا– نبه يقول: في قول حذيفة–رضي الله عنه– عرفت أن الخير يسبقني قال في رواية هذا الحديث عند الإمام أحمد في المسند وعرفت أن الخير لن يسبقني؟

ج : لن يسبقني هذا هو يعني الخير لن يفوتني الخير سأعرفه.

س : أحسن الله إليكم يقول: بعض الأخوة يقولون لماذا خرج بعض الناس على عثمان وهل كفروا بذلك؟

ج : خرجوا بشبهات الذين خرجوا على عثمان أنواع: أصحاب أهواء ومنافقون وموقدو الفتنة كما هو مشهور في التاريخ وهو عبد الله بن سبأ اليهودي هو الذي يسعى بين الناس لإغارة صدورهم على عثمان–رضي الله عنه– من شبهاتهم أنه ولى أقرباءه وأنه كان منهم من ولاته شيء من الاستبداد والأثرة شبهات، أما عثمان عند أهل السنة خليفة راشد مجتهد في تدبيره وإدارته وتصرفاته–رضي الله عنه– مجتهد فتصرفه دائر بين الأجر والأجرين، أما كونهم كفروا بذلك لا نقول: إنهم كفروا بذلك يعني مجرد الخروج على الإمام ليس هذا وحده موجبا للكفر لكنه جريمة كبرى وذنب عظيم تتولد عنها شرور كثيرة فمن يكون سببا فيه فعليه وزره وعليه مثل أوزار الذين اتبعوه في ذلك وقلدوه في ذلك وكان سببا في إضلالهم نعم.

س : أحسن الله إليكم يقول: لماذا لم يقاتل الصحابة دفاعا عن عثمان؟

ج : هذا مشهور في التاريخ وفي السيرة، وأنا أشرت إليه بأن عثمان لم يسمح لأحد بأن يقاتل في سبيل حمايته، أن يقتل أحد بسببه ومن أجله، نعم.

س : أحسن الله إليكم يقول: فضيلة الشيخ، هل ما جاء في حديث حذيفة–رضي الله عنه– قد حصل وانتهى أم في زمن ماض، أو أن هذا مستمر إلى وقتنا هذا؟

ج : لا إله إلا الله، الله أعلم قلت لكم إن مثل هذه الأحاديث لا يمكن القطع بشيء يعني كل ما هنالك يقال احتمال لعله كذا أو الأقرب كذا، فالخير الأول هو عهد النبوة، ويلتحق به أول عهد الخلفاء الراشدين والشر

.....

الذي حدث يعني منهم من فسره بعد بما حصل مقتل عثمان هذا هو الشر الأول، والخير الذي بعده منهم من فسره بعهد معاوية–رضي الله عنه– عندما اجتمع له الأمر في عام الجماعة عام أربعين من الهجرة، وأن هذا يعني حصل خير وانفكت الفتن بهذا الاجتماع، وبعضهم فسر الخير الثاني خلافة عمر بن عبد العزيز، وهذا كله محتمل ولا يمكن القطع بشيء من ذلك، وبعد ذلك الخير جاءت شرور وفتن، والخير والشر دول في الزمان في الأيام، وفي البلاد كما يشهد به التاريخ يعني تقوم الفتنة ثم يخلفها خير وتراجع، حصلت فتنة القول بخلق القرآن، في عهد المأمون والمعتصم والواثق فتنة عظيمة ابتلي بها الناس، ودعا إليها دعاتها وامتحن الله العلماء ثم رفع الله هذه الفتنة بولاية المتوكل والإنسان يقرأ التاريخ، لكن ما ذكر في حديث حذيفة كأنه والله أعلم الأقرب أن المراد به أن ما جرى في القرن الأول والثاني تقريبا، والله أعلم بالصواب.

نكرر أنه لا يمكن الجزم بتعيين المراد مما تتضمنه هذه الأخبار، إلا ببرهان نعم.

س : أحسن الله إليكم يقول: ما الحكم في فعل امرأة تحفظ القرآن الكريم، وقبل البدء بالدرس تطلب من الطالبات الاستغفار لمدة عشر دقائق؟

ج : هذه بدعة، نعم هذه وصيتهن التوبة والاستغفار دون تقيد بوقت، بل إذا جاء وقت الدرس تبدأ بالدرس فورا، ولا تجعل للبداية يعني أسلوبا معينا أو مقدمة معينة، يعني بنوع من أنواع العبادة تبدأ بالدرس فهذا الصنيع الذي جاء في السؤال الالتزام به بدعة نعم.

س : أحسن الله إليكم يقول: يقول بعض الناس الله لا يفتنا إلا في طاعته؟

ج : الناس يقولون الله لا يفتنا عند العامة من يطلق هذه العبارة عنده الفتنة بالشيء هي التعلق به وهذه معنى صحيح، مفتون بكذا يعني مولع ومتعلق، فمن يقول هذه العبارة يريد معنى صحيحا نسأل الله ألا يجعل قلوبنا تتعلق تعلقا شديدا إلا بطاعتك لكن التعبير عن التعلق بالفتنة هذا تعبير عامي فلا يقال لمن حبب إليه العمل الصالح هذا مفتون ما يقول لمن تعلق بطاعة الله وحببت إليه واجتهد فيها، وقلبه معلق الرجل أحد السبعة 🖒 ورجل قلبه معلق بالمساجد 🖒 من كان محبا بالمساجد لا نقول إنه مفتون ولكن من تعلق قلبه بالباطل نقول مفتون هكذا، فالتعبير عامي ومقصود القائل صحيح والتعبير خطأ نعم.

س : أحسن الله إليكم يقول: كيف عرف حذيفة أن عمر هو المقصود بالباب؟

ج : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ما أجد له إلا أنه عرف هذا من خبر الرسول–عليه الصلاة والسلام– فالرسول يفضي ببعض الأمور، ويخبر حذيفة ببعض الأمور، كما كان يسر إليه بأسماء بعض المنافقين، فلا يبعد أنه

.....

تلقى هذا عن الرسول–عليه الصلاة والسلام– كما تقدم أن الرسول–صلى الله عليه وسلم– حدثه عن الفتن وأنه ما من فتنة تكون إلى قيام الساعة إلا أخبرهم عنها–صلى الله عليه وسلم– فلا بد أن حذيفة عرف هذا بتلق عن النبي–صلى الله عليه وسلم– وعمر عرف ذلك من فحوى كلام حذيفة، أنه كان يعرف أنه هو الباب.

س : أحسن الله إليكم يقول: ما رأيكم بالتسمي بعبد الإله؟

ج : عبد الإله لا بأس به فالله هو الإله لكن الأولى والأفضل التسمي بعبد الله لأن الله أصله الإله فالأولى أن يستغنى عن التسمية بعبد الإله بالتسمية بعبد الله فهذا هو اللفظ الذي هو علم على الرب– سبحانه وتعالى– الله ولكن لا مانع ولا بأس فالإله الحق هو الله سبحانه وتعالى.

س : أحسن الله إليكم يقول: كيف أقي نفسي من فتنة النساء؟

ج : كيف تقي نفسك من فتنة النساء ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ [1] لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ، لا يحل لامرأة أن تسافر.... تجنب مواقع الفتنة، لا تذهب للأسواق التي فيها المتبرجات، لا تجلس عند شاشة التلفاز، التي تعرض فيها المناظر المنكرة، الله أعطاك عقلا تميز به، وأعطاك علما تميز به أيضا بين الحلال والحرام، فاتقاء الأخطار يكون بالأسباب الواقية، نعم.

أحسن الله إليكم وأثابكم ونفعنا بعلمكم، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

١ – سورة النور آية : ٣٠.

يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين قال- رحمه الله تعالى-: وفي رواية: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين، في جثمان إنس، قال قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذه رواية أو طرف من حديث حذيفة-رضي الله عنه- في الصحيحين وهذه الرواية لمسلم، حتى الشيخ ما قال فيها إنها لمسلم، قال وفي رواية يقول يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ – يعني ولاة وأمراء- يَهْدُونَ بغيرِ هديي يَسْتَنُّونَ بغير سُنَّتِي هذا فيه ذم لهم؛ لأنهم ليسوا على استقامة في هديهم وفي سيرتهم سواء كان في أنفسهم أو في تدبيرهم للأمة، في سيرتهم الذاتية أو في تدبير للأمة يهدون بغير هديي ويستنون بغير سنتي نعم. وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس لا إله إلا الله كأن هؤلاء الأئمة مع ما وصفوا من الانحراف وعدم الالتزام بالسنة وعدم الاستقامة، كأن أيضا فيهم يعني صنف هم أشرار، سيقوم فيهم رجال، يعني من هؤلاء الأئمة رجال أو يقوم معهم رجال وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين الشياطين هم الأشرار من الإنس والجن الأشرار أعداء الأنبياء ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [1] قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ معناه أنها تحب الشر والفساد وتدعو إليه، وهم في جثمان إنس، جثمان الإنسان هو جسده يعني بواطنه، وإن كانوا إنسا وإن كانوا من الناس، هم من الناس، وأجسامهم أجسام الناس، لكن بواطنهم خبيثة، وهذا غاية في تصوير ما هم عليه من الخبث والشر قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ، أعوذ بالله وإن كانت صورهم وأبدانهم كغيرهم

---

١ – سورة الأنعام آية : ١١٢.

.....

من الناس، كما قال– سبحانه وتعالى– في المنافقين: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ۝٣ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٤ ﴾ [1] فالمنافقون يصدق عليهم ذلك الوصف لأنهم شياطين في بواطنهم ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٤ ﴾ [2] .

قال حذيفة–رضي الله عنه–: فما تأمرني يا رسول الله عند ذلك عند وجودي ذلك العهد وعند ظهور ذلك الصنف من الولاة، قال: تسمع وتطيع –سبحان الله لا إله إلا الله الدين ما بالرأي الدين هو شرع الله والإيمان هو التسليم لشرع الله يعني فما تأمرني قال تسمع وتطيع يعني الرأي السطحي حاربهم ولا تسمع ولا تطيع ونابذهم هذا هو الرأي السطحي القاصر الذي لا يقوم على هدى، الشريعة تنزيل من حكيم، لا بد من التسليم.

الملائكة لما علموا أن الله سيخلق آدم ويخلق بشرا في هذه الأرض وعلموا بإعلام من الله أنه سيكون من البشرية أمور وفساد في الأرض وسفك للدماء: ﴿ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ ﴾ [3] كأنهم يقولون نحن قائمون بالعبودية وبالتسبيح وما تحبه يا ربنا فلماذا تجعل في الأرض من يفسد ويسفك الدماء قال ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٣٠ ﴾ [4] .

---

١ – سورة المنافقون آية : ٣-٤.

٢ – سورة البقرة آية : ١٤.

٣ – سورة البقرة آية : ٣٠.

٤ – سورة البقرة آية : ٣٠.

هكذا نقول إذا قال قائل لماذا أسمع وأطيع لماذا يؤمر الناس ويؤمر الإنسان بالسمع والطاعة لهؤلاء الأئمة الذين هذه صفتهم لا يستنون ولا يهتدون بهدي الرسول–صلى الله عليه وسلم– وفيهم من هذه صفته قلوبهم

.....

قلوب الشياطين الواجب هنا التسليم والتفويض قال: ﴿ تسمع وتطيع ﴾ – لا إله إلا الله–، ﴿ وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك ﴾ الصبر الآن ما وقف الأمر عند حد ما يخصهم ما يخص أولئك الولاة من فجور من معاص من أثرة لا، وصل الأمر إلى ظلم بضرب بأخذ مال هذا كله لا يسوغ ولا يبيح الخروج ونزع اليد من الطاعة ورفض البيعة.

اصبر ﴿ وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك ﴾ وهذا بخلاف من اعتدى عليه من هو من سائر الناس يدافعه، كما جاء في الحديث الصحيح: ﴿ أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: فلا تعطه مالك. قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: قاتله. قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: فأنت شهيد. قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: هو في النار. ﴾ أو كما جاء في الحديث، أما إذا كان مثل هذا من الوالي فلا يعني ظلم الإمام لا يبيح الخروج عليه بل يجب الصبر، ما يبيح الخروج هو ظالم وحقك مأخوذ منه ليس هذا لكرامة هذا المعين لا، هذا ظلم وهذا الصبر من أجل تحقيق المصلحة الكبرى من أجل أنه أخذ شيئا من مالك أو حصل منه ظلم في بدنك بضرب ونحوه يعني تسعى فيما يعود على الأمة بالفساد العارية .

يمكن أن نشبه هذا بشيء هو دونه بكثير لو أن أبا تجنى على ولده وضربه بغير حق فيسوغ للولد أن يضرب أباه وينتقم من والده هو ظالم، الأب ظلمه لكن هذا لا يسوغ وهذا لا أذكره على أن الصورة متماثلة لا الأمر أكبر من ذلك قال: ﴿ تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك ﴾ الله المستعان نعم بعده.

حديث إن كان لله خليفة في الأرض فضرب ظهرك

ولمسلم قال: إن كان لله خليفة في الأرض، فضرب ظهرك وأخذ مالك فأطعه، وإلا فمت وأنت عاض بجذل شجرة، قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم يخرج الدجال معه نهر ونار، فمن وقع في ناره وجب أجره وحط وزره، ومن وقع في نهره وجب وزره وحط أجره، قال قلت: ثم ماذا؟ قال: هي قيام الساعة .

الحديث هذا قال فيه من حقق هذا الكتاب: إنه ليس في مسلم، بل هو في أبي داود، وهو كذلك عن حذيفة؛ لأن السياق كلها أحاديث، كلها راجعة للأول، كل هذه الأحاديث في الفتن هذه الثلاثة والأربعة المتوالية كلها لحذيفة-رضي الله عنه- إن كان في الأرض خليفة يعني إن كان في الأرض خليفة ووالٍ يقوم بأمور المسلمين بتدبير شئونهم، إن كان لله في الأرض خليفة فضرب ظهرك وأخذ مالك فأطعه هذا بمعنى الحديث المتقدم، هذا هو هو.

فَضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ فَأَطِعْهُ ليس المقصود أطعه في أخذ المال، هذا لست فيه بالخيار ليس المقصود أطعه في أخذه لمالك أو ضربك، لأن هذا سيكون بالقسر والقوة، لكن المقصود فأطعه في سائر الأمور بالمعروف فأطعه ولا تنزع يدك من طاعته، فهذا الحديث مما يؤكد الحديث المتقدم.

وهذا الحكم وكما تقدم أن هذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة، أعني السمع والطاعة للأئمة أبرارا كانوا أو فجارا وإن كان منهم ما كان من فسق في أنفسهم أو ظلم، وكل هذا لا يوجب المنازعة ولا يوجب رفض البيعة ولا يوجب نزع اليد من الطاعة، بل يجب السمع والطاعة بالمعروف، وإن كان منهم أيضا تجاوز بالظلم بأخذ مال أو ضرب، فذلك على أنفسهم ويحاسبون عليه يوم القيامة، كما في الحديث الآخر: أدوا الحق الذي لهم وسلوا الله الذي لكم وَسَلُوا اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ فالله- سبحانه وتعالى- لا بد أن ينصف المظلوم من الظالم، من والٍ وإمام أو غيره، لكن الشأن أن هذا الظلم لا يبيح الخروج والمنازعة.

ومثل هذه الأحاديث في السمع والطاعة، والصبر على جور الأئمة، هذه لا يؤمن بها الخوارج ولا المعتزلة الذين يرون أن الخروج على الأئمة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه لا يؤمنون بها، لأنها تخالف أصولهم كما هي حالهم في النصوص التي تخالف أصولهم، فكل من له مذهب وتبناه وتأصل عنده فإنه يقف من النصوص المتعارضة لهذا المذهب، إما الرد إن أمكن، وإما التأويل، وإما التفويض هذا شأن أهل البدع وأهل الأهواء، وما لا يستطيعون دفعه ورده يضيقون به ويلتمسون له ضروب التحريف الذي يسمونه تأويلا.

.....

وهكذا مثلا في هذا العصر الذين يتبنون أو يهوون الخروج على الولاة، يجدون في صدورهم من هذه الأحاديث حرجا، فإما أن يكذبوا بها، وإما أن يتأولوها كما هو شأن أشباههم فيجب على المسلم أن يحكم شرع الله، وإن خالف هواه ويجب أن يكون راضيا بحكم الله ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [1] وإنما يؤتى الإنسان من ضعف إيمانه بالله ورسوله وبحكمة الله في تشريعه وهذا كله لا يمنع –وجوب السمع والطاعة وتحريم الخروج ووجوب النصيحة–كل هذا ما يمنع من المناصحة وإنكار المنكر بالطرق التي توصل إلى المطلوب ويرجى نفعها ويؤمن ضررها.

قال في هذا الحديث الذي أمامكم قال " وَإِلَّا " هذا راجع لقوله: إن كان لله خليفة في الأرض قوله وألا تعود للأول إِنْ لم يكن في الأرض خليفة وَإِلَّا فَمُتْ ولو أن تعَض بِجِذْلِ شَجَرَةٍ إِنْ لم يكن في الأرض خليفة هذا يشبه ما تقدم فاعتزل تلك الفرق ولو أن تعض بأصل شَجَرَةٍ، فمت متمسكا بالحق ثابتا بالحق معتزلا لأهل الباطل، وفرق الباطل من أهل البدع ومن أهل النزاعات ولو أن تعض على أصل شجرة وإلا فمت، ولو أن تعض على أصل شجرة، تلزمها وتقيم تحتها حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك كما تقدم.

يقول قلت ثم ماذا قال: " فالدجال " يعني بعد ذلك يأتي في آخر الزمان الدجال وخروج الدجال هو من أمارات الساعة الكبرى، يخرج الدجال في آخر الزمان قبل نزول المسيح ابن مريم–عليه الصلاة والسلام– مسيح الهدى، فإذا نزل مسيح الهدى عيسى ابن مريم فإنه يقتل مسيح الضلالة الذي هو الدجال، والمسيح الدجال الأحاديث فيه متواترة ومستفيضة، –سبحان الله– ومن عظيم الأمر مما يدل على عظم خطره أن الله شرع على لسان نبيه–صلى الله عليه وسلم– أن نستعيذ بالله من شره في كل صلاة، إذ هو من الأمور الأربع، كما في الحديث الصحيح: إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال في كل صلاة يقول المسلم، ومن فتنة المسيح الدجال فتنة عظيمة أو الدجال فشر غائب منتظر .

ففتنته أعظم فتنة، وذلك أنه يظهر بخوارق باهرة محيرة، من أعظمها أنه يعمد إلى إنسان فيشقه نصفين، ثم يقول له قم فيقوم، لكن من لطف الله بعباده ومن نصح النبي–صلى الله عليه وسلم– لأمته أنه نعت لهم الدجال

---

١ – سورة النساء آية : ٦٥.

.....

ووصفه لهم كأنهم يرونه رؤية عين، ذكر أنه أعور وأنه مكتوب بين عينيه كافر يقرأها كل مسلم يقرأ أو لم يكن يقرأ.

ومن حديثه هنا أن الدجال يخرج ومعه نهر ونار، الله أعلم بكيفية ذلك، لكن يجب الإيمان بكل ما أخبر به الله ورسوله من أمور الغيب، مما يكون قبل يوم القيامة أو بعد يوم القيامة، معه نهر ونار فمن استجاب له وقع، ألقاه في نهره ومن لم يستجب له ألقاه في ناره، قال في الحديث: 🕮 فمن وقع في ناره وجب أجره وحط وزره 🕮 لأنه لم يؤمن به ولم يتبعه فالدجال يجعله ويلقيه في ناره، فيجب أجره على الله ويغفر الله له ذنوبه بصبره، ومن استجاب له وألقاه في نهره وجب الوزر وجب وزره حق عليه الإثم وحط أجره، حبط عمله.

وجاء في بعض أحاديث الدجال أن الواقع النار والنهر أو واقع ناره وجنته يعني وقعهما وباطنهما وحقيقتهما بخلاف ظاهرهما، يعني فناره جنة وجنته نار، لكن الظاهر أن من لا يستجيب له يلقى في ناره، هذا من لا بصيرة له ولا إيمان يغتر فيتبعه ويستجيب له طمعا في أن يفوز بتلك المنفعة بأن يلقى في ناره أو في جنته، وأما من مَنَّ الله عليه بالإيمان والبصيرة فإنه لا يبالي ولهذا في الحديث الصحيح أن هذا الرجل الذي يقتله الدجال يدعوه ليؤمن به فيأبى عليه فيقتله يشقه نصفين ثم يقول له قم، فيقوم فيقول أتؤمن بي لأنه يدعي الربوبية فيقول أنت المسيح الدجال ما ازددت فيك إلا بصيرة، يعني حين قتله ثم حيا بإذن الله هذا زاد المؤمن بصيرة عرف.

فالرسول–صلى الله عليه وسلم– نعت الدجال وذكر أحواله يعني أمورا كثيرة تتعلق به فينبغي الرجوع إلى كتب السنة في هذا وقراءتها لمعرفة أحوال هذه الفتنة العظمى فمن أدركها كان على بصيرة ومن لم يدركها كان حظه من ذلك الإيمان بالله والعمل بشرع الله.

قال في آخر الحديث ثم ماذا؟ قال: " الساعة " بعد نزول المسيح وخروج الدجال وخروج هذه الأمارات بعدها تقوم القيامة، أعد الحديث ....

ولمسلم: 🕮 إن كان لله خليفة في الأرض فضرب ظهرك وأخذ مالك فأطعه وإلا فمت وأنت عاض بجذل شجرة قلت ثم ماذا قال ثم يخرج الدجال معه نهر ونار فمن وقع في ناره وجب أجره وحط وزره ومن وقع في نهره وجب وزره وحط أجره قال قلت ثم ماذا؟ قال هي قيام الساعة 🕮 .

–بعده– .

من أمارات الساعة

حديث بعثت أنا والساعة كهاتين

من أمارات الساعة ولمسلم عن أنس–رضي الله عنه– قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم– بعثت أنا والساعة كهاتين قال وضم السبابة والوسطى .

يقول من أمارات الساعة، أمارات جمع أمارة وهي العلامة، يشهد له الحديث الصحيح حديث جبريل قال: فأخبرني بها عن أمارتها يعبر عنها بأشراطها كما في القرآن ﴿ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [1] أي علاماتها الساعة المراد بها القيامة: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [2] فالساعة التي هي القيامة طوى الله علمه ميقاتها عن جميع الخلق: ﴿ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [3] فلا يعلم ميعادها ولا وقت قيامها ملك مقرب ولا نبي مرسل، فهي إحدى الخمس أو مفاتيح الغيب التي استأثر الله بعلمها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [4] .

لكن أماراتها نعم قد جاء الخبر عنها بل عن كثير من أمارات الساعة ذكر النبي–صلى الله عليه وسلم– لجبريل بعضها: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان وجاءت

---

١ – سورة محمد آية : ١٨.

٢ – سورة الروم آية : ١٢–١٤.

٣ – سورة الأعراف آية : ١٨٧.

٤ – سورة لقمان آية : ٣٤.

.....

الأحاديث هي من أمارات الساعة، فكل ما أخبر به الرسول–صلى الله عليه وسلم– مما يكون قبل القيامة، فإن أهل العلم يعدونها من أشراط الساعة، يعدون ذلك من أشراط الساعة، ومن علامات الساعة: لا تقوم الساعة حتى يكون كذا لا تقوم الساعة، تكون كذا كل هذا من أشراط الساعة.

وأول أشراط الساعة على الإطلاق أولها على الإطلاق هو مبعث محمد–عليه الصلاة والسلام– بعثته هي العلامة الأولى على اقتراب الساعة: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ ﴾ [1] لأنه خاتم النبيين فلا نبي بعده وهذا يعني أن عمر الدنيا قد أوشك، سلسلة الأنبياء قد انتهت بالحلقة الأخيرة وهي رسالة محمد–صلى الله عليه وسلم– يشهد لهذا ويدل له هذا الحديث الذي عندنا، عن أنس–رضي الله عنه– أن النبي–صلى الله عليه وسلم– قال: 🖒 بعثت أنا والساعة كهاتين 🖒 أو 🖒 بعثت أنا والساعة كهاتين 🖒 يروى بالفتح والضم فبالرفع تكون الواو عاطفة وبالنصب تكون الواو للمعية 🖒 بعثت أنا والساعة 🖒 بعث الله النبي–صلى الله عليه وسلم– والساعة، مع الساعة، قريبة، مع قرب الساعة، ويصور النبي–عليه الصلاة والسلام– قرب الساعة ويقول كهاتين ويضم أصبعيه السبابة والتي تليها الوسطى، 🖒 بعثت أنا والساعة كهاتين 🖒 وضم السبابة إلى الأخرى، أما قوله: 🖒 وضم السبابة إلى الأخرى 🖒 من كلام الراوي هو الذي حكى لنا كيف أشار النبي بأصبعيه كهاتين، فأشار بأصبعيه السبابة والتي تليها.

هذا القرب يا ترى أن التقارب بالطول والقصر أم التقارب بالمجاورة المشهور عند شراح الحديث أن المشار بالتقارب بين الأصبعين من حيث الطول والقصر، وعندي أن الأمر محتمل كهاتين فهي إشارة إلى قرب القيامة، من بعثة النبي–عليه الصلاة والسلام– والله تعالى ينوه ويذكر قرب الساعة في مواضع: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾ [2] ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبٗا ۝٦٣ ﴾ [3] ﴿ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧ ﴾ [4] سبحان الله – والقرب والبعد من الأمور النسبية التي تختلف باختلاف الأمور فالشيء الذي يقال فيه إنه قريب هذا

---

١ – سورة القمر آية : ١.

٢ – سورة القمر آية : ١.

٣ – سورة الأحزاب آية : ٦٣.

٤ – سورة المعارج آية : ٦-٧.

.....

يختلف، فقرب الساعة المذكور في القرآن وفي السنة هذا لا يعلم الخلق له حدا ومقدارا، ولا يجوز ولا يصح أن نتخيل له مقدارا لأن هذا مما استأثر الله بعلمه.

الله أعلم يمكن أنه يخطر ببال الناس منذ خمسمائة أو ستمائة أو سبعمائة أو ثمانمائة أن الساعة موشكة بعد خمسين ستين مائة سنة أو مائتين أو ما أشبه ذلك، يعني قد يخطر بالبال شيء من هذه الخواطر، لكن الأمر وراء ما يخطر بالبال يمكن نتخيل أن الآن الباقي أقل من الماضي من بعثة الرسول–صلى الله عليه وسلم– لكن هذا كله خاطر، ما يصح التعويل عليه فالذين يحدثون من بعض الخراصين أن قيام القيامة يحتمل أو يقدرون له مدة ولو على وجه التقريب هؤلاء أفاكون مفترون، لا يجوز الإصغاء إليهم ولا النظر في استدلالاتهم أبدا 🖙 بعثت أنا والساعة كهاتين 🖙 .

وصح أنه–عليه الصلاة والسلام– أنه قال: 🖙 أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي 🖙 يعني الحشر يكون بعد مبعثه–عليه الصلاة والسلام– هذا من جنس 🖙 بعثت أنا والساعة كهاتين 🖙 يحشر الناس وأنا الحاشر يعني ما بعد مبعث النبي–صلى الله عليه وسلم– إلا قيام القيامة، سبحان الذي تفرد بعلم الغيب.

المقصود أن مبعث الرسول–عليه الصلاة والسلام– هو أول أشراط الساعة، هو أولها وهو الذي–صلى الله عليه وسلم– أخبرنا بأمارات الساعة فيما أنزله الله عليه من الكتاب والحكمة، وفي القرآن يعني ذكر لبعض أشراط الساعة كالدابة، ونزول المسيح: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا ﴾ [1] وطلوع الشمس من مغربها: ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨ ﴾ [2] هذه ثلاث من أمارات الساعة الكبرى قد أشير إليها في القرآن ودلت عليها أحاديث كثيرة صحيحة عن النبي–صلى الله عليه وسلم– لا إله إلا الله – نعم حديث آخر.

---

١ – سورة الزخرف آية : ٦١.

٢ – سورة الأنعام آية : ١٥٨.

حديث لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان

وللبخاري عن أبي هريرة–رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون، قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض، حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه عليه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي به وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمن الناس أجمعون فذلك حين ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ [1] ولتقومن الساعة، وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي منه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها ﴾ .

هذا الحديث قد اشتمل على جملة كثيرة من أشراط الساعة ونقف مع المسألة الأولى وهي قوله–صلى الله عليه وسلم–: ﴿ لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة ﴾ .

يقول المحقق من حقق هذا الكتاب الذي في مسلم: دعواهما واحدة، والمعنى قريب.

ويتبادر –والله أعلم بالصواب– أنه المراد ما جرى بين علي ﷺ ومن معه ومعاوية ومن معه، كما في صفين، حتى تتقاتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة، وفعلا كان بينهما مقتلة عظيمة في صفين.

ذكر أهل التاريخ أنه قتل في هذه الواقعة سبعين ألفا فيما بين العسكريين.

---

١ – سورة الأنعام آية : ١٥٨.

ويشهد بهذا –والله أعلم– الحديث المتفق على صحته في فضل الحسن، وأنه– صلى الله عليه وسلم– قال: 🕮 إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين 🕮 بين فئتين عظيمتين من المسلمين،

.....

وفعلا دعوتهما واحدة كلهم مسلمون كلهم على الحق، وإن كان أهل السنة والجماعة يقولون: إن عليا–رضي الله عنه– هو الأحق، هو الأحق بالأمر، وأن جيش معاوية إنهم بغاة على علي–رضي الله عنه–، ويستدلون على هذا بالحديث الصحيح: ﴿ تقتل عمارا الفئة الباغية ﴾ فرضي الله عن الجميع.

ومن أصول أهل السنة الإمساك عما شجر بين الصحابة وعدم الخوض فيه.

ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ . فهذا قريب أن يكون المراد بقوله: ﴿ لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة ﴾ .

دعواهما أو دعوتهما واحدة، أقرب ما يكون المراد هو ذلك، هو ما جرى بين العسكرين، بين أهل الشام وأهل العراق.

فهذه من الأحداث التي تكون قبل القيامة، تكون حدثت وأخبر بها الرسول، وكل ما أخبر به الرسول مما وقع فإنه علم من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام، وبهذا نعلم أن أعلام نبوته تتجدد حينا بعد حين، فكلما ظهر أمر مما أخبر به كان ذلك علم من أعلام نبوته ﷺ وهذه الأشراط ما ذكر في هذا الحديث أو غيره يختلف الناس في العلم به، إما في العلم بخبر النبي–صلى الله عليه وسلم– عنه، أو في العلم بالواقع.

كثير من أشراط الساعة لا يعلمها الناس لعدم سماعهم لسنة الرسول– صلى الله عليه وسلم– وقد يعرف من يعرف ما جاء في السنة، ولكن لا يعرف الواقع فلا يدري عن هذا الأمر وقع أو لم يقع؟ ما جاء في السنة، إذن فمن أشراط الساعة ما علمنا وقوعه.

ومن أشراط الساعة ما نعلم أنه لم يقع، ومنها ما قد يكون ما لم نجزم بأنه وقع أو لم يقع، والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد. كفى هذا فالحديث طويل، ونريد أن نقف.

أحسن الله إليكم، يقول: فضيلة الشيخ، يقول بعضهم: إن الواجب على الرعية أن تطالب بحقوقها وتأخذ مالها من الراعي، ولو بالقوة، واستشهد على ذلك بما جاء أن قال بعضهم لعمر: إن فعلت قومناك بأسيافنا.

هذا القول المروي لا ندري عن ثبوته أولا: أثبتوه هذا، يقال له: أولا الإثبات. الأمر الثاني: أن سنة الرسول مقدمة على قول كل أحد، وأنا أظن هذا الأثر باطل، هذا لا يكون، كيف يقول أحد هذا الكلام لعمر الخليفة الراشد العادل، كيف يجترئ أحد أن يقول: نقومه بسيوفنا، كيف يقومونه؟ يقتلونه يعني، أترون الذين تجنوا على عثمان زاعمين أنه قد تصرف تصرفات غير لائقة أن هذا تقويم، هكذا يكون التقويم، لا هذا

.....

عين الفساد والإفساد، فنسأل من يطرح هذا السؤال، نتحداه، نقول: أولا أثبته، وإن ثبت فالجواب ما علمتم، قول الرسول–صلى الله عليه وسلم– وسنته الظاهرة مقدمة على قول كل أحد. نعم.

أحسن الله إليكم يقول: هل تقبل التوبة بعد خروج الدجال، أم هي مقيدة بخروج الشمس من مغربها؟ لا، مقيدة بخروج الشمس من مغربها. نعم.

أحسن الله إليكم يقول: ابتلي رجل بسحر، وحال هذا السحر بينه وبين عمله، وبينه وبين طلب العلم، وأنسي كثيرا منه، حتى طالت مدة علاجه، ويخالجه التثبيط، ويخاف من اليأس، علما بأنه كثير الدعاء ومجتنبا بفضل الله للمحرمات، فما نصيحتكم له؟ وجزاكم الله خيرا.

نصيحتي له بأن يصبر، هذا بلاء كمرض عادي من الأمراض المعتادة المعروفة العوارض تحول بين الإنسان وبين كثير من المصالح الدينية والدنيوية، ويرجى له أن الله يكتب له ما كان يعمل يوم كان صحيحا، على حد قوله ﷺ 📼 إذا مرض العبد أو سافر كتب الله له ما كان يعمل صحيحا مقيما 📼 فعليه بالصبر وعليه بالدعاء، ولعل ما ابتلي به يكون سببا لرفع درجاته وحط أوزاره. نعم.

أحسن الله إليكم فضيلة الشيخ: نشهد الله على حبك فيه، كيف أفرق بين الشك في الدين وبين الخطرات والوساوس، وكيف أعالجها؟ لا حول ولا قوة إلا بالله.

الخواطر يعني أمور ترد على البال ولا يكون لها مكان، كم يخطر ببال الإنسان أمور هو يرفضها تماما رفضا تاما في أمور يعني يمكن، ومما يتصل بأحواله وأحوال الناس، فهذه الخواطر السيئة لا تضر إلا إذا الإنسان استجاب لها وصدقها، ورد على بال الإنسان التكذيب بالبعث، فكر أن البعث ما هو ساير، هذا خاطر، فإنه صدقه أو أوجب له ترددا أي أصبح راح إيمانه الأول، هذا وقع في +، أما إذا فكر لا وقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وعلم أن هذا باطل أو في ما هو فوق ذلك ما جاء في الأحاديث: يأتي أحدكم الشيطان ويقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول له: من خلق الله؟

جاء هذا أحاديث–تعرفونها– مشهور في الصحيحين وغيرهما، فإذا كان هذا الخاطر ورد على البال: من خلق؟ ولكن يعني وجد الإنسان في نفسه كراهة لهذا وبغض ونفرة، فإن هذا لا يضره، وقد أرشد النبي– صلى الله عليه وسلم– إلى العلاج: 📼 إذا وجد أحدكم ذلك فليستعذ بالله ولينته 📼 وفي حديث يقول: آمنت بالله ورسله، فهذه أنواع من العلاج يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، الجأ إلى الله ليحميك ويعصمك من هذا الخاطر السيئ، 📼 وجاء رجل إلى النبي– صلى الله عليه وسلم– فقال: إني أجد في نفسي ما لو أخر من السماء أحب إلي من أن أتكلم به 📼 بغضا لهذا الفكر.

.....

والآن يسأل بعض الناس ولا سيما بعض النساء يحصل لها وساوس، وبسبب الجهل تظن أن هذا يضرها، تجد أفكارا من هذا النوع فيما يتصل بالخالق أو بأصول الدين، فيطغى عليها هذا التفكير، وهي تدرك أن هذا باطل باطل، لكنها تخشى أنها بهذا تكفر أو يخشى من ابتلي بهذا من الرجال أنه يكفر، كما جاء هذا الرجل، فيقال له: أبدا.

هذا ولله الحمد، هذا البغض وهذه النفرة وهذا القلق من هذا الوسواس هذه نعمة، هذه علامة الصحة، فيه مقاومة، يعني القلب والإيمان، من الناس يكون إيمانه فيه مقاومة، فيه مضاد.

كما يعبر ابن القيم يقول في وصف القلب المشرق، يقول: سماء إيمانه محروسة. يعني بشهب الحق ما يقترب شيطان إلا ويأتيه شهاب من العلم والإيمان فيعود خاسئا ولله الحمد والمنة من فضل الله.

الخطر في أنك تصدق يتحول يقينك شكا. خلاص والله ما أدري.

أما ما دام المبدأ الأصلي عندك صحيح فالخواطر عابرة، المؤمن يعرف أن هذا باطل، وأنا أمثل لبعض الناس، يعني: لو خطر ببالك يا إنسان ألقى الشيطان إليك أنك أنت إن أمك زانية، حتى تصبح بها التفكير أن تشك يمكن أنك ولد زنا، العاقل على طول يرفض هذا ويتعوذ بالله من الشيطان، فكر سيئ خاصة مع فكرت تقول: يمكن أمي زانية، وعلى إنسان يسأل ربه الثبات على دينه، يقول: اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك نعم.

أحسن الله إليكم وأثابكم ونفعنا بعلمكم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله، وصلى الله وسلم على نبيه ورسوله محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

كنا بدأنا بما اشتمل عليه حديث أبي هريرة في صحيح البخاري عن جملة مما يكون قبل قيام الساعة، مما يعده العلماء من أشراط الساعة من ذلك أنه لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة، دعواهما واحدة وسبق التعليق على ذلك.

وحتى يبعث كذابون ثلاثون كلهم يزعمون أنه رسول هذا أيضا خبر عن غيب، لا تقوم الساعة حتى يبعث البعث، كون البعث والإرسال في القرآن وفي السنة، البعث أو الإرسال مضاف إلى الله نوعان:

بعث كوني، وبعث شرعي، وكذلك الإرسال، الإرسال هو: إرسال الله تعالى الرسل بالدين الحق والعلوم النافعة بما أوحى إليهم سبحانه وتعالى.

.....

والبعث الكوني: هو النوع التسليط ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ [1] هذا نسميه بعث أو إرسال كوني، هكذا أيضا ما جاء في هذا الأمر ﴿ لا تقوم الساعة حتى يبعث ﴾ يعني حتى يظهر ويوجد، وذلك بتقدير الله كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه رسول، يعني: رسول من عند الله، يدعى ذلك كذابا، وهؤلاء متفرقون في سائر الزمان، يمكن ظهر بعضهم ويظهر آخرون، والكذابون كثير من ادعى النبوة لعل الذين ظهروا أكثر من ثلاثين بكثير، وفي المستقبل منتظر أن يظهر كذابون، لكن قال العلماء: لعل المراد الذين لهم يكون لهم أتباع، ولهم ظهور مثل مسيلمة الكذاب، ومثل الأسود العنسي، قالوا: ولعل آخرهم الدجال الأعور؛ لأنه أول الأمر يدعي النبوة ثم يدعي الربوبية، حتى يظهر كذابون ثلاثون، دجالون كذابون دجال كذاب متقارب يعني متقارب الدجال كذاب.

يقول: وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل، يقبض العلم جاء في الحديث الصحيح أن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينزعه من صدور الرجال، ولكن يقبض العلم بموت العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رءوسا جهالا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا.

هذه من أشراط الساعة، قبض العلماء ولم يزل قبض العلماء من عهد الصحابة لم يزل قبض العلماء؛ لأن العلماء كغيرهم، فالرسل لا يخلدون ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [2] فبموت العلماء يقل العلم، لكنه لا يقبض قبضا نهائيا إلا في آخر الزمان عند قرب قيام الساعة قربا تاما، كما جاء في الآثار أنه يسرى على هذا القرآن.

القرآن يسري عليه فلا يبقى منه حرف، يسري عليه، فيرفع من المصاحف والصدور، لكن عندما ينتهي أجل هذه الدنيا، لا يبقى إلا أن تقوم الساعة.

وتكثر الزلازل، أيضا هذه من الأحداث التي أخبر عنها ﷺ أنها تكثر الزلازل، وفعلا الزلازل لم تزل، وفي هذا العصر لا نزال نسمع الأخبار عن الزلازل في الشرق والغرب، ومن ذلك الكسوف الذي جاء ذكره في الحديث الشريف، من ضمن أشراط الساعة الكبرى ثلاث: كسوف، خسف في المشرق، وخسف في المغرب، وخسف في جزيرة العرب.

---

١ – سورة مريم آية : ٨٣.

٢ – سورة الأنبياء آية : ٣٤.

.....

الخسوف إنما تتبع وتحصل نتيجة الزلازل، وتكثر الزلازل وكما قلنا: إن مثل هذه الأخبار عن الغيبيات لا يتأتى الجزم بالتعيين؛ لأن هذا مما أو هو المعني بخبر الرسول-صلى الله عليه وسلم-، لكن هذا يؤخذ على سبيل الإجمال.

نعم.

يقول: ويتقارب الزمان وتظهر الفتن؛ أما تقارب الزمان فكثر كلام الشارحين فيه، أقول: من أقرب ما قيل في معنى تقارب الزمان هذا يعني قصر الزمن بسبب الغفلة، وتمضي الأيام والليالي والشهور سريعا بسبب الغفلة، وبسبب النعمة.

هذا من أقرب ومن أحسن ما قيل في تفسير تقارب الزمان، تتسارع الليالي والأيام، وهذا الأمر يذكره بعض أهل العلم في قرون سابقة يذكرون هذا الشعور، الشعور بقصر الأيام والليالي وبسرعتها، وهكذا الناس الآن يشعرون بهذه الحالة، وبعض أهل العلم في هذا العصر يقول: لعل والله أعلم أن تقارب الزمن عبر به عن تقارب المكان، وتقارب المكان يتضمن تقارب الزمان، وذلك بما تهيأ للناس من وسائل اتصال ومواصلات، وسائل اتصال ومواصلات؛ فما كان يقطع في شهر يقطع في ساعة الآن بالطيران، ما كان يقطع في شهر يقطع في ساعة، اختصار زمن، في تواصل الاتصالات الصوتية أيضا تختصر الزمن، فبعض أهل العلم من المعاصرين يقول: لعله والله الأعلم مما يدخل في تقارب الزمان، وتكثر الفتن.

أما قوله في الحديث: وتكثر الفتن، هذه كلمة عامة، وكثيرا ما تطلق الفتن على الحروب التي لا يعلم وجهها العمياء التي لا يتميز بها المحق من المبطل مما ينبغي اعتزاله، وقد تكون الفتن هنا أعم من ذلك، تكثر الفتن بأنواعها المختلفة؛ فتن الحروب، فتن الشهوات، فتن الشبهات، ربما نعم.

تكثر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل، يكثر القتل وهو القتل بتفسير النبي عليه الصلاة والسلام، فإنه جاء في بعض الروايات، قيل له: ما الهرج، قال: القتل القتل، والقتل كلمة عامة، تشمل القتل بالحروب وبغير الحروب، القتل بفعل، يعني المجرمين، الاعتداءات الفردية أو الجماعية، وهذا أمر أيضا يتكرر عبر السنين، القتل كثر منذ وقع السيف على هذه الأمة بقتل الخليفة الراشد. ولم تزل الفتن والحروب والقتل هنا وهنا، وأنتم الآن تسمعون أكثر ما يجيء في الأخبار الآن، الأخبار ماذا؟

أخبار القتل والحوادث، هذا هو الغالب على الأخبار، هذا هو الذي الآن توليه وسائل الإعلام اهتماما، وسائل الإعلام إنما تولي اهتمامها حوادث القتل. نعم والهرج وهو القتل.

.....

وحتى يكثر المال ويفيض أيضا كثرة المال ما زال يتقرر مثل هذا، لكن الحقيقة المال أما كثرة المال وفيضان المال هذا لم يزل يحصل بين حين وآخر. فيه بعض البلاد هذا لا يعني أنه في كل البلاد ما يلزم أن يكون في كل البلاد حتى يهم الرجل من يأخذ صدقته، وقد يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد من يقبلها، هذا فيما يظهر لي أنه لم يحدث؛ لأن المعروف أنه لم يزل لم يذكر مثل هذا.

يهم من يأخذ يعني المعروف، والسائد أنه لم يصل الأمر بالناس الأمر بالناس مع ما يحصل من بسط لدرجة أنهم لا يقبلون الصدقة ولا يقبلون الزكاة، فالزكاة الآن في الازدياد، يأخذها من يأخذها بحق وبغير حق، يأخذها الغني يأخذها من لا يستحقها.

فقد يكون هذا في وقت متأخر لم يأت، وأنهم لا يقبلون هذا بسبب فيضان المال، يكون كل مستغن بما عنده، ويعني ويحمله كذلك على عدم الأخذ، إما أنه الاكتفاء ووجود التعفف عند الناس أو لوجود أمور رهيبة ومخيفة تجعل الناس يزهدون في أخذ المال بسبب سوء الأحوال، فإن كثرة الفتن وكثرة المصائب تجعل الناس يزهدون في هذه الدنيا.

نعم وحتى يكثر المال ويفيض حتى يهم رب المال حتى يهم؛ يهم فعل مضارع من أهمه، أهمه الأمر. إذن "وحتى يهم " وهذا أفصح وأرجح ما جاءت عليه الرواية من أهم الرباعي.

وحتى يهم رب المال من يأخذ صدقته أهمه الأمر يعني جعله يهتم ويخاف الرجل من ألا يجد من يأخذ، يخاف من ألا يجد من يأخذ صدقته. نعم.

وحتى يعرضه على من يعرضه عليه، فيقول من يعرض عليه الصدقة: لا أرى بالي فيه، لا حاجة لي به

يفيض المال، فيخرج الإنسان بصدقته بزكاة أو غيرها فيهم من سيأخذ؟ وحتى يعرضه على معين: خذ، فيقول له: خذ، فيقول له من عرض عليه: لا أرى بالي فيه، إما أن يكون الحامل له على ذلك هو الزهد، وإما ما يعيشونه من الفتن التي تضعف تعلق الإنسان بالمال، ولكن عند سياق الحديث يقتضي أن الباعث والحامل على ذلك هو فيضان المال، وهذا عجيب، والمعروف أن الإنسان ما يشبع.

هذا هو الأصل في ابن آدم ما يشبع من المال، فسياق الحديث يقتضي ارتباط الامتناع من أخذ الصدقة بالفيضان وبكثرة المال حتى يهم رب المال من يأخذ صدقته، وحتى يعرضه فيقول من يعرض عليه: لا غرض لي فيه. نعم.

.....

﴿ حتى يتطاول الناس في البنيان ﴾ وهذه من الأمارات التي وردت في حديث جبريل؛ قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: ﴿ أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة يتطاولون في البنيان ﴾ والتطاول في البنيان يعني التنافس وهو في البناء.

الحفاة العراة العالة سكان البادية ورعاة الشاة–الغنم– يتطاولون في البنيان، وهذا أشبه ما يكون أنه يصدق بالتحضر، تحضر البوادي، وسكن البوادي للمدن والقرى. نعم.

﴿ وحتى يمر الرجل على قبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه وحتى تطلع الشمس من مغربها ﴾

في بعض الروايات وما به إلا البلاء يتمنى الموت يقول: يا ليتني مكان صاحب القبر ما به إلا البلاء. البلاء العظيم، الفتن العظيمة تجعل الإنسان يتمنى الموت، ﴿ وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتني مكانه ﴾ .

يعني ليس من بعد الرغبة في الآخرة وإيثار الموت على هذه الحياة دينا وتقوى لا بل يعني قلقا من الحياة، الإنسان إذا ابتلي ببلاء عظيم؛ ولهذا قال ﷺ ﴿ لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنيا فيقول: اللهم أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كان الوفاة خيرا لي ﴾ .

إذا فقوله: ﴿ حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه ﴾ هذا فيه تمن للموت، ولا يدل ذلك على جوازه؛ لأنه إخبار بواقع، والإخبار بالواقع لا يدل على الحكم، إخبار كما قال ﷺ ﴿ لتتبعن سنن من كان قبلكم ﴾ هذا خبر عما سيكون، ليس إقرارا لهذا الاتباع، بل هو إخبار أن هذا كائن.

قال: ﴿ وحتى تطلع الشمس من مغربها ﴾ فإذا طلعت آمن من عليها، أي من على وجه الأرض، آمن من على وجه الأرض، فذلك قوله: ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ﴾ [1] فهذا الحديث يفسر الآية.

---

١ – سورة الأنعام آية : ١٥٨.

الحديث مفسر للآية والمراد بقوله: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَتِ رَبِّكَ﴾ [1] أن المراد طلوع الشمس من مغربها؛ فإذا طلعت آمن من عليها فذلك يوم لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا فإذا

١ – سورة الأنعام آية : ١٥٨.

.....

طلعت الشمس انقطعت التوبة كما في الحديث الآخر: ﷺ لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها ﷺ .

لأن الناس يصيرون مثل حال المعاينة، وإذا الإنسان انتهى إلى حال المعاينة انغلق دونه باب التوبة كقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَاۖ ﴾ [1] فإذا طلعت الشمس آمن الناس، ولكن لا ينفعهم ما أحدثوه من إيمان أو أحدثوه من عمل صالح، فيبقى كل على ما كان، فمن كان قبل طلوع الشمس من مغربها مؤمنا ومستقيما فهو على حاله ينفعه إيمانه وعمله بعد ذلك، أما من كان كافرا ثم آمن لا ينفعه إيمانه، ولو كان عاصيا ثم تاب لا تنفعه توبته.

ﷺ وحتى تطلع الشمس من مغربها؛ فإذا طلعت آمن من عليها، فذلك ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ ﴾ [2] ﷺ نعم.

ﷺ ولا تقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما ﷺ هذه جملة فيها ذكر لأحوال الناس.

الجمل الأخيرة فيها ذكر لأحوال الناس عند قيام الساعة.

وأن القيامة تقوم – تقوم الساعة أي تقوم القيامة والناس في دنياهم، يعني لا يسبق قيام القيامة انقراض الناس شيئا فشيئا، حتى لا يبقى على وجه الأرض.

لا لا الدنيا تكون قائمة والناس في دنياهم سائرون في تجاراتهم، في حروثهم، ولتقومن الساعة والرجلان يتمادان الثوب يتبايعانه، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، يهلكان يصعقان أو يفران، انتهى انتهت التجارة ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾ [3] تطيش.

---

١ – سورة غافر آية : ٨٤-٨٥.

٢ – سورة الأنعام آية : ١٥٨.

٣ – سورة الحج آية : ١-٢.

.....

ولتقومن والرجل يليط حوضه، يليط حوضه ليسقي به، فلا يسقى في هذا الحوض أيضا؛ إما أن يصعق، وإما أن يفر على وجهه مما حدث في هذا العالم من اضطراب أرض تتزلزل ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ ﴾ [1] ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ ﴾ [2] .

وحتى يرفع الرجل أكلته اللقمة يرفعها إلى فيه فلا يأكلها، هذا بيان لحال الناس عند قيام الساعة؛ قيام الساعة يبدأ بالنفخ في الصور، نفخ الصعق والفزع، نفخة الصعق والفزع على الخلاف هل هما نفختان أو هي نفخة واحدة.

المهم أنه ينفخ في الصور فيفزع الناس، بل يفزع من في السماوات والأرض، يفزعون ويذعرون ثم يصعقون صعق موت.

يصعقون صعق الموت، ليس هو صعقة الغشية كصعق موسى عليه السلام لما تجلى ربه للجبل فخر موسى صعقا، صعق موت.

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨ ﴾ [3] وهي نفخة البعث.

إذا قيام الساعة يبدأ بالصعق بالنفخ في الصور نفخة الصعق والفزع، فالناس في دنياهم ينفخ في الصور، فإذا نفخ في الصور نفخة الصعق والفزع هنالك يفزع الناس فيهيب الناس على وجوههم ثم يموتون فتقوم الساعة والناس في دنياهم؛ هؤلاء في بيعهم وشرائهم، وهؤلاء في مواشيهم وإبلهم لسقيها، وهذا على طعامه يأكل الطعام.

---

١ – سورة الزلزلة آية : ١-٢.

٢ – سورة الواقعة آية : ١-٥.

٣ – سورة الزمر آية : ٦٨.

.....

وفي رواية أخرى ﷺ ولا تقومن الساعة –معنى الحديث– والرجل في يده الفسيلة ليغرسها ﷺ عنده أمر طويل، الفسيلة الصغيرة من النخل يأخذها الرجل ليغرسها فتقوم الساعة وهو بصدد غرس تلك الفسيلة، وهذه أمثلة.

إذن تقوم الساعة وهذا يلعب ويلهو، يمكن نقول: تقوم الساعة وهذا يلعب كرة، تقوم الساعة وهذا يفجر، يزني، تقوم الساعة وهذا يشرب الخمر.

فهذه أمثلة لبعض أحوال الناس في دنياهم، وأن الساعة تقوم والناس أحياء، وهؤلاء الشرار والناس كما في الحديث المعروف: ﷺ إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ﷺ هؤلاء الذين ذكر أن الساعة تقوم وهم على هذه الأحوال هؤلاء شرار الناس؛ لأن الساعة لا تقوم وفي الأرض من يقول: الله الله.

فإن الله يقبض إليه من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فيبقى شرار الناس فيقبلون على عبادة الأوثان، فالمقصود بأن الساعة تقوم على الناس وهم شرار الناس، تقوم عليهم الساعة فيصعقون ويهلكون مع من هلك، وبعد ذلك تقوم القيامة الكبرى يعني: يقوم الناس من قبورهم من مات من أول عمر الدنيا، ومن مات في ذلك الصعق يقومون ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝٥٠ ﴾ [1] انتهى الحديث. نعم.

هذا أيضا مثالا نسيته ﷺ وحتى ينصرف الرجل بلبن لقحته ﷺ يحلب الناقة، اللقحة أو اللِّقحة هي الناقة ذات اللبن؛ فينصرف الرجل بلبن لقحته لا يشربها كقصة صاحب الأكلة؛ يرفع الرجل الأكلة–اللقمة– إلى فيه فلا يأكلها، وهذا الرجل بلبن لقحته فلا يشربها، خلاص انتهت الحياة بالنفخ في الصور نفخة الصعق، يصعق الناس كلهم. نعم.

---

١ – سورة الواقعة آية : ٤٩–٥٠.

حديث لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة

ولمسلم عن أبي هريرة–رضي الله عنه– أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم– قال: ﴿ لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة، وكانت صنما تعبدها دوس في الجاهلية بتبالة ﴾ .

هذا الحديث عن أبي هريرة ﷺ وهو من دوس يقول: إن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– قال: ﴿ لا تقوم الساعة حتى تضطر أليات نساء دوس عند ذي الخلصة ﴾ ذو الخلصة صنم لهذه القبيلة بدوس لجماعة أبي هريرة، وقد من الله على دوس.

كما دعا النبي–صلى الله عليه وسلم– في دعائه: ﴿ اللهم اهد دوسا وائتني بهم ﴾ فهدى الله دوسا، ودمروا صنمهم، ولكن هذا خبر عن الرسول، أنه سيعود في آخر الزمان، ويذكر بعض الناس أن مكان هذا الصنم لا يزال معروفا، وقد يقصده بعض الجهال على غرة وعلى خفاء وهو في مناطق، والمعروف تقريبا في اليمن، ولكن ليست اليمن الاصطلاحية الآن التي يطلق عليها اسم اليمن باعتبار الحدود السياسية لا. اليمن كل مكان جنب عن مكة فهو يمن.

فالجبال –جبال الحجاز والسروال– كلها يمن باعتبار التقسيم الجغرافي يعني القديم. فدوس قبيلة يمنية لها موضع في أرضهم وفي مناطقهم.

﴿ تضطرب أليات ﴾ هذا كناية عن طوافهن وتزاحمهن على ذلك الصنم، والله أعلم تخصيص النساء هنا يشعر بأن هذا يغلب عليهن، من يقصده من النساء أكثر. إن الجهل على النساء أغلب والانخداع منهن أكثر، انخداع النساء بالخرافات والدعوات الباطلة أكثر من الرجال، فلعل هذا هو السر في تخصيص النساء بالذكر، وإلا فقبيلة دوس كانت تعظم ذي الخلصة رجالها ونساؤها كلهم يعظمون صنمهم ويقصدونه ويتقربون إليه على عادة أهل الجاهلية، وقد يكون هذا العود قد يكون إخبارا عن أن هذه القبيلة تعود إلى الشرك وإبادة الأصنام سواء عادت، سواء يعني عاد الصنم بهذا الاسم أو بغيره، فقد يكون هذا كناية عن عودهم إلى الشرك، سواء كان لهم صنم بهذا الاسم ذي الخلصة أو لم يكن لهم، فهذا محتمل أن يعيدوه باسمه، ويحتمل أن يعيدوه وإن لم يكن باسمه، كما عاد العرب وعبدوا الأصنام القديمة؛ أصنام قوم نوح ود وسواع ويغوث بنفس تلك السماء، نفس الأصنام التي صنعها قوم نوح وردمت في الأرض واستخرجها عمرو بن لحي أول من غير دين إبراهيم، ودعا العرب إلى عبادتها بأسمائها. نعم.

حديث لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى

وروي عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يقول: ﷺ لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى، فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [1] أن ذلك تام، قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم ﷺ .

هذا الحديث له شبه بالذي قبله في أن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- سمعت الرسول- صلى الله عليه وسلم- قال: ﷺ لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى ﷺ حتى يعود الناس للشرك إلى عبادة الأصنام سواء كانت بأسمائها القديمة أو بغير أسماء حتى يعود الناس إلى الشرك. فعائشة- رضي الله عنها- تقول: إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [2] أن ذلك تام يعني أن هذا الدين باق على الدوام، فقال رسول الله ﷺ ﷺ لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى فقلت: يا رسول الله: إن ذلك تام، فقال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ﷺ يقول: إنه يكون من ذلك الظهور الموعود ما شاء الله.

ثم يبعث الله ريحا طيبة فلا تدع من في قلبه مثقال ذرة أو مثقال حبة من إيمان إلا قبضته حتى توفاه، وهذا التفسير من الرسول- صلى الله عليه وسلم- للآية، ولقوله: ﷺ لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى ﷺ هذا التفسير ينبئنا أن المراد بقوله ﷺ لا يذهب الليل والنهار أي لا تذهب الليالي والأيام وتنقضي هذه الدنيا حتى تعبد اللات والعزى، فقوله: ﷺ إن ذلك كائن أو يكون من ذلك ما يشاء الله، ثم

---

١ - سورة التوبة آية : ٣٣.

٢ - سورة التوبة آية : ٣٣.

يبعث الله ريحا لا تدع من في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا وتوفاه ﷺ يقتضي أن ما أخبر به من عبادة اللات والعزى إنما يكون

.....

بعد ذلك فما دام الإيمان موجودا، ما دام المؤمنون موجودين فلم يأت موعد هذا الخبر فيكون معنى قول: ﴿ لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى ﴾ أي حتى يطبق الناس كلهم على عبادة الأصنام، يطبقون على الشرك فلا يبقى في الأرض أحد.

أما ما دام في الأرض مؤمنون، فدين الله قائم، وهذا يفسر لنا قول ﷺ ﴿ لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة ﴾ وفي لفظ: ﴿ حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى ﴾ وأن الغاية المذكورة في الحديث هي هبوب هذه الريح التي تتوفى المؤمنين، تتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان.

وحينئذ فلا يبقى في الأرض إلا شرار الناس، وعليهم تقوم الساعة. نعم.

﴿ فيبقى من لا خير فيهم فيرجعون إلى دين آبائهم ﴾ هذا هو التفسير، فلا يبقى بعد قبض أرواح المؤمنين من في قلبه أقل إيمان، فلا يبقى إلا شرار الناس، أردأ الناس، فيكونون على عبادة الأوثان، فهذا هو الوقت الذي قال فيه الرسول ﷺ ﴿ لا تذهب الليالي والأيام أو لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى ﴾ والله أعلم.

حديث لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: ﴿ لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى ﴾ .

هذا الحديث لعله مرت بنا إشارة إليه، وأن ما تضمنه من الأحداث التي قد وقعت. لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى، هذه النار قد خرجت في عام ٦٥٤ للهجرة النبوية وطار خبرها واشتهرت، وشاهدها الناس عن بعد، حتى شاهدها من شاهدها من أهل الشام، وبصرى بلد بالشام، قال بعضهم: هي التي تعرف بالحوران أخيرا، فهي مما وقع من أشراط الساعة، وهذا الأمر ما يكاد أن يقطع والله أعلم حسب ما ذكره العلماء والمؤرخون يكاد أن يقطع أنها المعنية بهذا الحديث.

هذه النار التي خرجت في تلك السنة هي المعنية في هذا الحديث، فهي من أظهر الأمور المطابقة لظاهر الخبر والله أعلم. كفى على هذا الحديث.

س: أحسن الله إليكم فضيلة الشيخ هذا سائل يقول: ألم يذكر في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز أنه وجد من لا يقبل الصدقة؟

ج: لا أدري. نعم.

س: يقول: هل أمارات وأشراط الساعة تحدث في جزيرة العرب أم تكون في أماكن متفرقة؟

ج: منها ما يكون في جزيرة العرب، ومنها ما يكون في أماكن متفرقة كما أشير إليه في الخسوف، خسف في المشرق، وخسف في المغرب، وخسف بجزيرة العرب، يعني أنواع أشراط الساعة تكون في جزيرة العرب وفي غيرها.

س: يقول: هل صح من أشراط الساعة تكلم الحديد وقرب البعيد؟

ج: بهذا اللفظ لا يوجد، هذه كلمة دارجة على لسان الناس العوام، ولا أظنهم قالوها إلا بعدما ظهرت هذه المخترعات جاءت ربما تخيل بعض الناس هذا اللفظ، أنا لا أذكر أنه ورد، لكن الذي يظهر لي هو هذا، أنه جرت على ألسنة بعض الناس استنتاجا من الواقع، وسيأتي في حديث قريب حديث ﴿ أن لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ﴾ سيأتي الكلام عليه.

س: يقول: إن إخبار النبي-صلى الله عليه وسلم- بعبادة الأوثان وقع قبل دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب؟

ج: لا، هو وقع، عبادة الأوثان موجودة قبل ظهور الشيخ رحمه الله وبعده والآن.

.....

أما الأوثان التي تعبدها الأمم الوثنية هذا دين موروث، الوثنية موروثة، الأصنام بأنواعها يعني فرق المشركين والطوائف المشركة لا حصر لها، والوثنية الداخلة على المسلمين أيضا موجودة ممثلة بالأضرحة كما عند الرافضة وضلال الصوفية، لكن المعنى الذي أخبر عنه الرسول- صلى الله عليه وسلم- من عبادة اللات والعزى، قلت لكم: إن عائشة سألت والرسول فسر، عائشة سألت والرسول فسر، وأنه عنى بقوله: لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى أن المراد ما يحدث من إطباق الناس على عبادة الأصنام بعد قبض أرواح كل المؤمنين حتى لا يبقى في الأرض من يقول الله الله.

س: أحسن الله إليكم، يقول: مر بنا في حديث مضى أن الإنسان يعتزل جميع الطوائف، يقول: فهل يعني هذا أن يعتزل من كان على جادة السلف الصالح وأهل السنة؟

ج: لا، هذا الكلام المراد الفرق المختلفة المتنازعة؛ لأن المسألة مسألة جماعة وقيادة، جماعة مجتمعة على قيادة، فالناس إما أن يكونوا فرقا، وإما أن تكون لهم جماعة وقيادة، فالزم جماعة المسلمين وإمامهم، لكن إذا لم يكن لهم جماعة بل هم جماعات متفرقة متنازعة متصارعة، هذه يجب اعتزالها لا تكن مع هذه ولا مع هذه، والمفروض أنها فرق كلها ليست على حق كلها ليست على حق، إما أن تكون كلها فرق ضلال، وإما أن تكون كلها فرق نزاعات على الدنيا وصراعات منها النزاعات التي تكون بين الناس على السلطة أو على مطامع أخرى.

أما إذا كانت هناك جماعة تلتزم بالمنهج الحق لا بد أن تكون معهم سواء كنت معهم في المكان في بلدهم أو لم تكن في بلدهم، فالمؤمن مع المؤمنين مع أهل السنة والجماعة، وإن كان بعيدا هو معهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [1] كونوا مع الصادقين، كونوا معهم بالانضمام إليهم في بلدهم معهم، ليس إذا حصل للطائفة المنصورة أن تتجمع، وأن يكون لها دولة فهذا طيب لكن إذا لم يتأت فهي الطائفة المنصورة حتى لو كانت متفرقة في البلاد هم شيء واحد وطائفة واحدة.

---

١ - سورة التوبة آية : ١١٩.

.....

فقول السائل حتى لو كان على طريق السلف هذا ما هو صحيح، بل عليك أن تكون مع من على طريقة السلف معهم في المذهب والمعتقد والمنهج ومعهم إذا كان لهم كيان أن تكون معهم للقيام بالمهام الاجتماعية، بالمهام الشرعية التي لا تتحقق إلا بوجود المجتمع ووجود جماعة ووجود قيادة. نعم.

س: أحسن الله إليكم، يقول: علمنا أن الساعة تقوم إذا طلعت الشمس من مغربها، يقول: وهذا الوقت يكون بعد الفجر، وفي الغالب هذا الوقت لا يكون وقت تجارة ولا وقت أكل، وضحوا لنا المراد؟

ج: من قال لك: إن الساعة تقوم إذا طلعت الشمس من مغربها، قلنا: هذا يا إخوان؟ عندكم؟ لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، ولا تقوم الساعة حتى كذا وكذا، يعني: ما تقوم الساعة، لكن ليس فيه إذا طلعت الشمس قامت الساعة، هل عندك يا سائل ما فيه من الغالب أنه تطلع الشمس من مغربها وتبقى الحياة ما شاء الله بعد ذلك. نعم.

س: أحسن الله إليكم، يقول: كيف نجمع بين الحديث الذي مر بنا بالنسبة لأليات نساء دوس وبين قول النبي ﷺ أيس الشيطان أن يعبده المصلون في جزيرة العرب؟ .

ج: هذا سؤال منصوص ومطروح، والجواب عنه من كلام أهل العلم، والجواب أن قوله ﷺ أيس الشيطان أن يعبد قيل: إن هذا أنه يأس ولا يلزم من يأس الشيطان ألا يكون ما قد يأس منه، وهذا كثير، قد ييأس الإنسان من شيء لا يكون، فلا يكون، فلا يلزم من يأس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب أن ذلك لا يكون فقد يكون يأس بناء على ما ظهر من ظهور الإسلام، وأوجب له أن ييأس أن يعبد في جزيرة العرب، ثم يتحقق خلاف ما ظن.

هذا أحد الجوابين، والجواب الثاني ألا يعبد في جزيرة العرب، يعني: ألا يطبق الناس على عبادته، ويكون هذا خاصا بما قبل هبوب تلك الرياح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين، وعلى هذا فالجواب الأول أكثر انضباطا. الجواب الأول ما يرد عليه شيء إطلاقا، أما الجواب الثاني فلا بد من التقييد. نعم.

أحسن الله إليكم، وأثابكم ورفع درجاتكم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حديث ستخرج نار من حضرموت قبل القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال رحمه الله تعالى: وللترمذي عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ ستخرج نار من حضرموت قبل القيامة، قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام وقال: حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر.

الحمد لله وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وبعد، هذا الحديث تضمن الخبر عن نار تخرج من حضرموت قبل يوم القيامة، ذكر المحقق لهذا الكتاب قال: في للترمذي تحشر الناس، والحديث الذي في الصحيح في ذكر أشراط الساعة الكبرى، ومنها نار تخرج من قعر عدن؛ عدن هذه هي في ناحية حضرموت كما في الروايات الأخرى: تحشر الناس تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا.

يظهر من هذا الحديث أن النار المذكورة في هذا الحديث هي النار المذكورة في الحديث الآخر، وهنا قال: قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام.

هذا فيه دلالة على فضل الشام، وأنه يكون موئلا للإسلام والمسلمين، وهذا لا يلزم أن يكون على الدوام كما جاء في أحاديث فضل اليمن، وأن الإيمان يماني والحكمة يمانية.

هذا ليس المقصود منه أن الشام أو اليمن أو بلد كذا أنه يكون كذلك دائما وأبدا، بل سنة الله في العباد والبلاد هي التغير والتحول كما يشهد التاريخ.

وقد كان الشام مركزا للعلماء والصلحاء كما كان في عهد معاوية رضي الله عنه وفي عهد عمر بن عبد العزيز كان هو الخليفة وكان في الشام وتجيء العهود فيها يكثر الخير في الشام، فهذا الحديث وأحاديث تدل على فضل الشام، لكن يجب أن تفهم على هذا الوجه، وما دام الأمر على العلم والإيمان فأين كان فليؤم وليقصد، فأي أرض يظهر فيها الإسلام وتظهر فيها السنة فينبغي للمسلمين أن يقصدوها للهجرة تارة، وللعلم تحصيل العلم تارة أخرى، كما حصل ولله الحمد في هذه البلاد بعد دعوة الإمام المجدد رحمه الله حصل فيها خير كثير أكرمها الله وأكرم أهلها بذلك، فكانت مقصدا للصالحين وأهل العلم والإيمان والتوحيد. نعم.

حديث لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم

وللترمذي وحسنه عن حذيفة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم وتجتلدوا بأسيافكم، ويرث دنياكم شراركم .

لا حول ولا قوة إلا بالله، هذا الحديث فيه الخبر عما ذكر فيه: والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم، وتجتلدوا بأسيافكم –يقتل بعضكم بعضا– ويرث دنياكم شراركم هذا الحديث هو مفسر للأحاديث الأخرى التي عن الفتن، وعن وضع السيف وعن الفتنة التي تموج موج البحر كما تقدم.

وأشبه أو أول ما يعتبر تفسيرا لهذا الحديث قتل عثمان ﷺ فقد قتل أصحاب الأهواء من هذه الأمة، أصحاب الأهواء والمنافقون من هذه الأمة قتلوا الخليفة الراشد، فصدق عليهم أنهم قتلوا إمامهم هو أفضل من قتل من الولاة والخلفاء، يعني بفعل الأمة، أما قتل عمر نوع آخر أنهم قتلوا إمامهم، الأمة ما قتلت عمر ﷺ قتله مجوسي شرير خبيث.

نقم على عمر ، دينا ودنيا ، فقتله ليكرم الله عمر بالشهادة ﷺ أما عثمان فتجمع عليه المئات من الناس أو الألوف من الناس ، وتألبوا وتجمعوا وأحاطوا به وحاصروه لا يخرج من داره .

وتجتلدوا بأسيافكم قتال وفعلا حدث ما حدث من الاقتتال ، فاجتلد الناس ، وحصل ما حصل من القتال بتأويل من الأخيار ، وبهوًى من الآخرين من الأشرار ، كما حدث في الموقعتين العظميين : وقعة الجمل ووقعة صفين ، وتجتلد ، فهذه الأمور هي أول وأولى ما تفسر به ، ولا يمتنع أن هذه الصورة تتكرر ، وفعلا إنها تتكرر من حيث يعني ما يجري من القتال في النزاعات على السلطة ، يجري بين المتنازعين على السلطة أمور ، وأقول : اقرءوا التاريخ تجدوا فيه عبرا ، لا إله إلا الله ، لله الحكمة البالغة ، سبحان الذي له الملك ، وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، كل ما يجري في هذا الوجود فهو بقدر الله القائم على الحكمة والعدل والرحمة ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1] الآيات ، قال ويرث دنياكم شراركم هذا يفسره واقع كثير من الولاة والحكام الذين غلب عليهم الشر والهوى والفساد

---

١ – سورة البقرة آية : ٣٠.

والإفساد ، قال وحذيفة هو الراوي لمثل لهذه الأحاديث أحاديث الفتن ، فهي كلها يفسر بعضها بعضا ، ويكمل بعضها بعضا نعم.

حديث لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس

وله عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس وحتى يكلم الرجلَ عذبةُ سوطه وشراكُ نعله ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده وقال صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن فضل وهو ثقة مأمون.

هذا الحديث صحّحه الترمذي وغيره وهو يتضمن الإخبار عن أمور خارقة للعادة ، والله تعالى على كل شيء قدير فهو القادر على كل شيء ، قال الله تعالى : ﴿ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [1]

ففي هذا الحديث يقسم النبي عليه الصلاة والسلام بقسمه الذي كثيرا ما يقسم به والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباعُ الإنسَ ، السباع الحيوانات المفترسة كالأسد والذئب والنمر وما أشبهها ، حتى يكلم السباع الإنس ، وظاهر الحديث أن السباع تكلم الإنس باللسان المفهوم الذي يفهمه الإنس ، يُنطق الله السباع فتخاطب الإنسان ، ولا يلزم أن يكون هذا أمرًا عاما في السباع ، وأنها تتحول كالإنسان كلها تتكلم ، المهم أن يحدث هذا الشيء فقط جنسه .

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ الخبر عن مثل هذا فيما مضى كما ثبت عن النبي ﷺ قال بينما رجل على بقرة فالتفت إليه وقالت : لم أخلق لهذا إنما خلقت للحرث ما خلقت للركوب ، صحيح البقرة لم تخلق للركوب إنما للحرث ، لكن أنا لا يعنيني أنه لا يجوز ركوبها إذا كانت تطيق ، فقالت الصحابة سبحان الله ، سبحان الله دهشوا من هذا ، فقال عليه الصلاة والسلام : إني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وقال الراوي : إنه لم يكن في المجلس أبو بكر وعمر.

وأخبر أيضا وذكر أيضا أن راعيا كان يرعى غنما فعدى الذئب فأخذ شاة ، فطرده الراعي فقال فتكلم السبع وقال : من لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري ، أو كما جاء في الحديث ، فالمقصود أن هذا الجنس إنطاق السباع وخطاب الإنسان قد كان جنسه فيما مضى ، ويكون جنسه فيما يأتي ، والله تعالى على كل شيء قدير.

---

١ – سورة فصلت آية : ٢١.

.....

وقال في هذا الحديث : وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه عذبة طرف السوط أو السير الذي في طرف السوط ، وشراك نعله شراك النعل وهو السير الذي يكون من فوق القدم ، وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه ، الظاهر في الحديث أن الله ينطق السوط وينطق شراك النعل فيكلم صاحبه يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ويحدث الرجلَ فخذُه بما كان من أهله .

أمور علينا أن نؤمن بها على مراد الرسول ﷺ الله أعلم كيف يكون هذا وكيف يتم ؟ ويمكن أنه بعد ظهور هذه المخترعات الهائلة الغريبة في المواصلات كما في المسجلات الدقيقة ، المسجلات الدقيقة التي يسجل فيها الكلام الكثير ، يبدو للإنسان أن هذا الواقع ربما كان تأويلا لمثل هذا الحديث لكن من غير جزم ، يعني لا نقطع بأن المقصود من هذا الحديث هو ما وقع الآن من نطق هذه الجمادات بطريقة بعملية التسجيل ، قد تكون والله أعلم عُبر عن هذا بأن هذه الجمادات يمكن أن يكون فيها ما ينطق ويكلم الإنسان ، والآن هذا الجوال في أيديكم الآن ، الجوال في أيدي الناس جماد كأنه قطعة حديدية أو خشب أو نحو في يده وهو يتكلم باعتبار أنه يعني وسيلة لإيصال الكلام ؛ لأنه هو نفسه يتكلم ، هل ما يتحقق فيه معنى التكلم ، لكن فيها في نوع يعني يصلح لأن يتجوز فيه الجوال يكلم ؛ ولهذا الناس الآن أصبح الواحد إذا سمعته يتكلم وهو وحده يعني خلاص لا يستغرب ، كنا إذا سمعنا الإنسان يتكلم نفهم أنهم اثنين ، الآن لا هما اثنان لكن أحدهما أمامك قريب ، والآخر في مكان ما بعيد كان أو قريب فسبحان الله العظيم نعم.

حديث لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض

ولمسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ﴿ لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض ، وحتى يخرج زكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه ، وحتى تعود العرب مروجًا وأنهارًا ﴾ .

ولمسلم عن أبي هريرة لا إله إلا الله ، هذا الحديث اشتمل على قضيتين : القضية الأولى قد تقدم ذكرها في غير حديث ﴿ لا تقوم الساعة حتى يفيض المال فيخرج الرجل زكاته فلا يجد أحدا يقبلها ﴾ تقدم في الحديث الآخر الذي فيه ذكر الجملة من أشراط الساعة ومن حوادث الزمان أن من ذلك أنه يفيض المال ويكثر حتى يهم الرجل أو رب المال من يأخذ صدقته ، هذا حديث فالأحاديث متطابقة في الدلالة على هذا المعنى ، لكن المعنى الجديد قوله : ﴿ وحتى تعود جزيرة العرب مروجا وأنهارا ﴾ مروج يعني رياض وبساتين غناء ومزارع وأنهار جارية ، بعد أن كانت جزيرة العرب الغالب عليها أنها صحراء قاحلة فيها مفاوز لا ماء بها ، مفاوز ومهلكة .

بعض شراح هذا الحديث قال : ربما أن المراد أن الناس ينشغلون عنها بالحروب والقتال فينقطع فيها رعي المواشي فتصير مروج وأنهار ؛ لأنها يعني قد أعرض الناس عنها ، فتنبت فيها الأعشاب والأشجار فلا يعرج عليها الناس ، الله أعلم أولوها بهذا التأويل الذي فيه بعد ، هجر الناس وترك الناس لرعي المواشي في الرياض المعشبة ، يعني في الربيع هذا ليس أمرًا يعني غريبا ، وهذا حصل ويحصل أحيانا ، قد تقل المواشي ويجيء الربيع وتبقى الرياض مهجورة لا ليس فيها من يرعى نبتة ، لكن ما حدث الآن حدث في هذه الجزيرة أن فجرت فيها العيون بما يسر الله من وسائل التنقيب تنقيب الماء من مصادر عميقة من الأعماق ، حتى فار الماء في بعض المواضع ، فاض وصار يخرج تلقائيا بدون المضخات ، والآن في كل نواحي الجزيرة أو في معظم نواحي الجزيرة بيأتي الدهنة التي مغمورة ومغطاة بالرمال ولا مطمع للماء فيها الآن نقب عن الماء وخرجت مياه غزيرة وعذبة ، فلا يبعد أن يكون هذا تفسيرا والله أعلم ، وكما قلت : لا نقطع بشيء لأن الأخبار عن الأمور المغيبة لا يتأتى الجزم بتفسيرها من خلال الواقع ، إنما نقول : لا يبعد هذا .

فالآن أصبحت هذه الجزيرة التي كانت قاحلة ، الآن فيها المزارع الهائلة التي لا تقاس بالذراع أو تقاس بالذراع المحدودة : مائة ذراع مائتين ذراع ، لا بالكيلووات بالأميال ، حتى إن الإنسان إذا كان –كما تشاهدون – إذا كان راكبا في الطائرة في بعض المناطق يشاهد الأرض كلها يعني مغطاة بالخضرة : نخيل

.....

بساتين أشجار زروع ، وهذه المضخات بخلاف السواني القديمة ، السواني تستخرج الماء بالدلى كل ما بين ربع ساعة أو عشر دقائق تخرج مقدار من الماء بما يسمى الغروب غروب نعم هي اسمها غروب دلال كبيرة عظيمة ، أما الآن فبهذه المضخات مياه هي أنهار فلا يبعد أن يكون هذا الواقع ، وما قد يقع بعد ذلك الله أعلم لا يبعد أن يكون تفسيرا لقوله ﷺ وحتى تعود جزيرة العرب مروجا وأنهارا وبعض المعاصرين يقول : إن قوله حتى تعود يدل على أن الجزيرة كانت في غابر الزمان في الزمان القديم كانت كذلك ، وأن هذا عود ؛ لأن تعود يعني كأنها إلى ما كانت عليه ، وهذا ليس بلازم ، فإن عاد قد يراد به بمعنى صار ، حتى تصير مروجا وأنهارا ، والله أعلم بمراده ومراد رسوله . نعم.

حديث إن بين يدي الساعة التسليم على الخاصة

وذكر ابن عبد البر من حديث ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال : إن بين يدي الساعة التسليم على الخاصة ، فشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة ، وقطع الأرحام ، وفشو القلم ، وظهور شهادة الزور ، وكتمان شهادة الحق .

هذا الحديث بشواهده يصح ما دل عليه ؛ لأن له شواهد يقول : إن بين يدي الساعة التسليمَ على الخاصة نعم هذه واحدة ، التسليم على الخاصة يعني تخصيص بعض الجمع بالسلام ، تأتي إلى الجمع فتقول : السلام عليك يا فلان فتهمل الباقين ، والسنة تقول السلام عليكم على المجموعة ، فهذه من الأمور التي تحدث ، وهي من سوء الأخلاق في الناس التسليم على الخاصة .

فسر بهذا بالتسليم على بعض القوم تخصيصه بالسلام دون الآخرين ، وعندي أنه أيضا لا يبعد أن يدخل فيه التسليم على المعارف ، ولهذا جاء في الحديث وتسلم على من عرفت ومن لم تعرف ومن الواقع أيضا المخالفة لهذا ، وهو تخصيص السلام بالمعروف ، هذا يلقى من يعرف ويقول السلام عليكم ، فإذا لقي من لا يعرف لا يسلم عليهم ، والسنة أن تسلم على من لقيت من المسلمين من عرفت ومن لم تعرف ، فتخصيص المعروف تخصيصه بالسلام هذا من نوع التسليم على الخاصة ، يعني تخص بسلامك بعض الناس دون بعض ، لا تسلم على عمومهم ، والنصوص الواردة في السلام فيها الترغيب في العموم أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم التسليم على الخاصة هذه واحدة مما يحدث في الناس بعد العهد الأول عهد النبوة وعهد الخلافة الراشدة عهد الخير والصلاح ، نعم.

ثانيا: فشو التجارة يقول فشو التجارة حتى تعين المرأة الرجل ، فشو التجارة ، التجارة هي البيع والشراء ، وتنمية المال بهذا الطريق تفشو وتكثر ، ويكثر الناس الذين يعني على ما يقال التسبب ، حتى يشمل ذلك النساء ، بصفة ظاهرة الشيء الذي كان الغالب عليه أن التجارات في أيدي الرجال ، وهم الذين يمارسون البيع والشراء وتنمية الأموال ، قليل من النساء من يكون لها مال تتجر به ، وإن اتجرت فبواسطة يعني وليها ، هذا هو الغالب على الناس واقرءوا التاريخ تجدون أن الأمر كذلك ، وفي أرضنا هذه كان الناس كذلك ، والله أعلم ، لعله حدث هذا المعنى في القرون الماضية في بعض البلاد ، ولكنه نجده الآن ماثلا للعيان ، لقد فشت التجارة ، فالتجارة أعظم الآن طرق الكسب ، التجارة أعظم طرق الكسب ، التجارة بالسلع وأنواعها المختلفة الثمينة كالسيارات والآليات والمعدات والأراضي ، وأنواع تجارات هائلة كان الناس في هذه البلاد التجار يعدون بالأصابع فلان وفلان يدينون ، كان

.....

يدينون يعني عندهم مال فايض يدينون الناس يبايعونهم بطريقة السلف ، والآن كثر التجار ، وكان التجار أيضا الذين يعدون بالأصابع كانت أموالهم محدودة جدا لعلهم يعدون من الصعاليك في هذا الوقت ، نعم إنهم من الصعاليك بالقياس إلى الواقع الآن ، وأيضا شمل ذلك النساء ، أليس من النساء الآن ماذا يسمونهم رجال أعمال النساء . يسمونهم رجال أعمال ؟ يقولون : نساء أعمال ، ولا رجال أعمال ، ولا ما أدري . صار في النساء كذلك نساء لهن رؤوس أموال ، ولهن ممارسات تجارية كبيرة ، ويُدرن أعمالهن بأنفسهن أكثر من أن المرأة تعين زوجها ، هذه فقيرة ، هذه الثانية.

ثالثا: قطع الأرحام أما قطيعة الأرحام فاشية بين الناس قديما وحديثا ، نسأل الله السلامة والعافية ، وهي من المعاصي التي تفشو في الناس قطيعة الأرحام من كبائر الذنوب ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣ ﴾ [1] نعم.

ومن الأحداث مما اشتمل عليه هذا الحديث ، وله شواهد معناها أن الحديث رواه الإمام أحمد وغيره فشو القلم والقلم يعبر به عن الكتابة ليس المراد فشو القلم يعني مجرد آلة قلم ، لكن هما متلازمان إذا فشت الكتابة فشى القلم ، كان في عهد النبوة في الصدر الأول كان الكتّاب قلة حتى أن بعض الأسارى : أسارى بدر لما حكم عليهم بالمفاداة ، بعضهم كانت مفادته بأن يعلّم كذا من الصبيان المدينة الكتابة هذا في العهد الأول ، وبعد ذلك حصل اتساع في الكتابة وفشى القلم وكثر الكتاب في الناس ، فالكتابة تتبع يمكن الحضارة .

والله تعالى قد امتن على العباد بتعليم القلم ﴿ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ ﴾ [2] علم الكتابة علم له شأن ؛ لأن الكتابة هي الوسيلة يعني وسيلة لأمور كثيرة ، واقرءوا ما ذكره ابن القيم على قوله تعالى : ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ ﴾ [3] ذكر

---

١ – سورة محمد آية : ٢٢-٢٣.

٢ – سورة العلق آية : ٤.

٣ – سورة القلم آية : ١.

ما عبر عنه بأنواع الأقلام : قلم كذا وقلم الوحي ، وقلم التاريخ ، وقلم القضاة ، وقلم الشهود ، وقلم الحكام عدّد فيها ، وإذا أردنا ننظر أيضا لواقعنا ، نجد أن هذا العصر يعني يمكن أن أقطع بأنه يعني أعظم ما فشى فيه

.....

القلم بالقياس إلى ما مضى ، الكتابة الآن أوسع ما تكون يعني انتشارا في العالم من خلال التعليم ، فصار الرجال والنساء والصغار والكبار كله يعني يكتبون ، وكان الناس في بلدنا هذه كان كثير من الناس تأتيه الرسالة فلا يحسن يذهب يبحث عمن يقرؤها له ، وإذا أراد أن يكتب الرسالة يبحث عن كاتب يكتب له الرسالة.

وفشو القلم الآن في عصرنا هذا – القلم بمعنى الكتابة – لم يقتصر على الكتابة بالآلة التي تحمل باليد ، أصبحت وسائل الكتابة متنوعة بما يسمى القلم ، وبما يؤدي ما يؤدى بالقلم لكن أضعافا مضاعفة كالآلات الطابعة ، وعندكم الآن يعني عندكم الآلات الطابعة تلقائية في الكمبيوتر والإنترنت إلى آخره .

فشو القلم أي فشو ، يعني أنا أقطع بأنه لم يفشو القلم والكتابة فيما مضى كفشوه الآن مقطوع به نعم.

. وشهادة الزور . شهادة الزور مثل قطيعة الرحم ، ويؤيد هذا الحديث الذي في الصحيح حديث عمران بن حصين ﷺ خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون ﷺ شهادة الزور تفشوا في الناس ، وهذا فعلا كلما تقدم الزمان كثرت المعاصي والشرور نعم .

وكتمان شهادة الحق نعم وهذه مثل هذا ، كلها : قطيعة الأرحام وشهادة الزور وكتمان الشهادة كلها من المعاصي التي تفتن الناس ؛ لأنها كلها مرتبطة بالأمانة والإيمان ، فكلما ضعف الإيمان ضعفت الأمانة ، فوقع الناس في مثل هذه الكبائر : كبائر الذنوب ، شهادة الزور من كبائر الذنوب ، وكذلك كتمان الشهادة نعم انتهى الحديث ؟ انتهى يا شيخ . نعم الذي بعده.

حديث لا تقوم الساعة حتى يرفع العلم

ولابن المبارك عن ابن فضالة عن الحسن ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ لا تقوم الساعة حتى يرفع العلم ، ويفيض المال ، ويظهر القلم وتكثر التجارة قال الحسن : لقد أتى علينا زمان إنما يقال تاجر بني فلان ، وكاتب بني فلان ، ما يكون في الحي إلا التاجر الواحد أو الكاتب الواحد.

هذا الحديث كما ترون مرسل ، لكن له شواهد بعضها بعض ما اشتمل عليه له شواهد في الصحيح لا تقوم الساعة حتى يرفع العلم ويثبت الجهل ويظهر الزنى وتشرب الخمر فهذا الحديث قد اشتمل على أمور منها ما يشهد له ما في الصحيح ، يعني كمسألة رفع العلم ، ومنها ما له شواهد أخرى تعضده كما تقدم فشو التجارة وفشو القلم ، هذا كما تقدم في الحديث السابق حديث ابن مسعود ، فهذا أيضا شاهد له في مسألة فشو التجارة، وفشو القلم . نعم.

حديث إن من أشراط الساعة أن يقل العلم

وللبخاري عن معاوية ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن من أشراط الساعة أن يقل العلم ، ويظهر الجهل ، ويظهر الزنا ، ويكثر النساء ويقل الرجال حتى تكون لخمسين امرأة القيم الواحد .

نعم الحديث أوله ؟ معاوية لا ، وله وللبخاري ، لكن ذكر المحققون للكتاب أن الحديث ليس عن معاوية بل عن أنس ﷺ ولفظه كما هو ، وقد اشتمل على الخبر عن عدة أمور : إحداها رفع العلم كما تقدم لا تقوم الساعة حتى يرفع العلم ويظهر الجهل يعني أمران متلازمان ؛ إذا رفع العلم ظهر الجهل ، ويظهر الزنا يظهر الزنا الأصل أن الزنا يكون مستورا ، كما قال ابن القيم : إنه قد تواطأ على ستره الشرع والقدر ، الأصل أن يكون خفيا ومستورا ، لكن هذا الحديث يدل على أن الزنا يظهر ويروج ويشتهر ويستهان به .

وقد يكون ظهوره هذا والله أعلم قد ينتهي في بعض صوره إلى أن يُمَارس أمام الأبصار أمام الناظرين ، قد يصل إلى هذا في بعض الحالات ، أما في مجتمعات الكفار فهذا ليس بمستغرب ؛ لأن مجتمعات الكفار ولا سيما يعني المجتمعات التي يقال لها المتحضرة هذا من الأمور التي لا يقيمون لها وزنا ، فهم مرتكسون في الرذيلة إلى أبعد الحدود ، يستبيحون الزنا واللواط ، هذا كله ليس بعيب عندهم ، فهم في باب الدنيا في القمة : حضارة ، وفي باب الأخلاق هم قد ارتكزوا في الحضيض وتسفلوا .

وكل ما عندنا في المجتمعات الإسلامية من الشر وما فشى في مجتمعات المسلمين من هذه الأنواع هو من آثار الاتصال بهم والتواصل معهم ، والوفادة ووفادتهم إلى مجتمعاتنا ، وكذلك وفادتنا إليهم يظهر الزنا ويمكن أن يكون ظهور الزنا بظهور مظاهره ، يعني إنه ما يلزم أن يصل ، والذي يظهر لي أن هذا إخبار عما يحدث في الأمة الإسلامية يظهر الزنا في الناس في المسلمين ، وكذلك أقول : إنه لم يظهر الزنا فيما مضى كظهوره اليوم ، بما تهيأ من الوسائل المروجة للزنا ، كما تقدم إن أضر فتنة على الرجال المرأة وقد استغلت واتخذت أداة لاصطياد الرجال وترويج الشر والفساد ، وهو هذا كله بالزنا ، كله يرتبط بالزنا ، فالأحاديث يفسر بعضها بعضا ، ظهور الزنا هذا من ثمرات فتنة المرأة .

.....

أقول : إن الزنا لم يظهر فيما مضى قد يكون ظهر في بعض المجتمعات مجتمعات المسلمين وصار هناك مثلا أسواق للبغاء وشيء من هذا القبيل ، يمكن عرفت بعض النساء بالفجور ، وبعض الرجال موجودون ، لكن الآن الأمر قد تفاقم واشتدت الفتنة ، فالآن وسائل الزنا ومظاهره يعني أصبحت يعني أمرًا مألوفًا في النفس ، هذا الاختلاط الآن الذي عليه التركيز ، الاختلاط هو بوابة فشو الزنا ، الاختلاط بين الجنسين بلا حدود ، اختلاط بلا حدود ، لا حجاب مع تبرج ، وما ينشأ عن ذلك من الخلوة ومن الذهاب والإياب بلا رقيب ولا حسيب ، هذا كله بوابات الزنا .

وأفضل البلاد في الجملة بلادنا هذه ، يعني هي أسلمها وأطهرها ، أما البلاد التي استولى عليها النصارى فهم لم يخرجوا منها حتى أسسوا فيها لأخلاقهم وخبائثهم وشرورهم ، وأسسوا فيها بؤر الفجور ، ولكن بلادنا هذه نفس الشيء هي الآن مغزوة ، ويكاد لها ويكيد لها المنافقون والمتبعون للشهوات والكفار من الخارج ، يراد لها أن تأخذ طريق الآخرين وترتكس في الرذيلة وجهودهم قائمة وماشية ، الآن المهم ظهور الزنا ، ويكفي هذا القدر في الحديث عن هذا .

بقي من المسائل 🕮 ويكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد 🕮 حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد ، الله أعلم ، وأكرر أيضا يعني ما يلزم أن يكون ما حدث الآن هو التفسير المطابق لخبر الرسول عليه الصلاة والسلام ، لكن نقول : إن هذا يعني قريب أن يكون من تفسير خبر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وإلا فقد يبلغ الأمر أشد مما حدث .

أما قوله : 🕮 وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد 🕮 القيم يعولهم ، يعني يمكن الزوج لبعضهن وولي على الأخريات ، القيم الواحد يقوم على خمسين امرأة ، يقل الرجال ويكثر النساء ، الله أعلم هل حدث شيء من ذلك في بعض البلاد وفي بعض الأعصار يمكن الله أعلم ، لكن ما سبب ذلك ؟ من الشراح من قال : إن الرجال يقلون بسبب القتل ؛ لأنهم يتعرضون للقتل والموت أكثر من النساء ؛ لأنهم هم الذين يباشرون الحروب وهم الذين يباشرون الأخطار ويتعرضون للأخطار ، فهذه من أسباب قلتهم ، فربما يكثر هذا الأمر في الرجال حتى يقل الرجال ويكثر النساء كثرة ظاهرة .

ومن الشراح من قال : إنه ربما كان ذلك راجعًا إلى النسل ، وأنه يكثر يعني تكثر المواليد من النساء من الإناث ، ويقل المواليد من الذكور ، والواقع أنه كلاهما سبب لقلة الرجال وكثرة النساء ، والله أعلم بما يكون ،

ولا شك أن قلة الرجال وكثرة النساء لها آثار سلبية في الدين والدنيا ؛ لأن الرجال أقوم من النساء بأمر الدين والدنيا ، والله أعلم ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ﷺ .

حديث ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل بالصدقة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، قال رحمه الله تعالى : ولمسلم عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال : ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحد يأخذها منه ، ويرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة من قلة الرجال وكثرة النساء .

الحمد لله ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وعلى آله وصحبه ، مضمون هذا الحديث قد تقدم في غير حديث ، وهو موضوع خروج الرجل في الصدقة من ماله ، وأنه يهمه من يأخذ صدقته وأن المال يفيض حتى يخرج الرجل بصدقة ماله ويعرضها فلا يجد من يقبلها ، وكذلك مسألة كثرة النساء وقلة الرجال حتى يكون لأربعين امرأة أو كما في الحديث المتقدم خمسين امرأة القيم الواحد ، وهذه أمور غيبية قد يكون من هذه الأمور ، قد يقع شيء منها ولكن لا يعلم ، الآن قد يقع بعض هذه الأخبار الغيبية فلا يعلمها إلا من بلغته أو شاهدها أو عاصرها وشاهدها ، وكما قلته مرات يعني من أشراط الساعة ما نعلم اليقين أنه قد وقع وانتهى ومنه ما وقع ويتكرر جنسه ، ومنه ما نعلم يقينا أنه لم يقع ، ومنها ما لا ندري لا بد ممن ملاحظة هذا ، نعم.

حديث إن الله لا ينزع العلم أن أعطاكموه انتزاعا

وللبخاري عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعا ... يقول المحقق لهذا الكتاب : بعد ما أعطاكموه في البخاري : بعد أعطاكموه إن الله لا ينزع العلم بعد ما أعطاكموه هذا أوضح للفهم نعم. إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعا ، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم ، ويبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون .

وهذا أيضا قد مر معنا معناه ، وجاء في أحاديث عدة ، هذه أخبار لرفع العلم ، والمراد العلم علم الشريعة العلم الذي هو طريقه الوحي ، العلم الذي طريقه الوحي الموروث عن محمد ﷺ إن الله لا ينزع العلم بعد ما أعطاكموه انتزاعا ولكن يقبض العلماء بعلمهم يعني وعلمهم معهم فيقبض ، يرفع العلم بقبض العلماء كما في بعض ألفاظ هذا الحديث ، ولكن يقبض العلم بموت العلماء فإذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهال فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا وهذا لا يتحقق أو لا يكون على الإطلاق إلا في آخر الزمان .

أما الآن فهو إن نزع العلم من بلد فلا يلزم منه نزعه في بلد أخرى لا بد ، هذا الدين باق ، وعلم الشريعة باق محفوظ وحفظه بوجود حملة ، ليس وجوده بمجرد وجوده في الصحف لا ، لكن كما يشهد الواقع يقل نور النبوة ، يتقلص نور النبوة في بعض البلاد ويظهر في البلاد الأخرى ، أو يوجد من يحمل هذا العلم لكن بحيث يكونون متفرقين في أقطار الأرض ، فمنذ بعث الله محمد ﷺ إلى أن يأتي أمر الله وهذا الدين محفوظ بحفظ الكتاب والسنة ، وذلك بأن يقيض الله له حملة يحملون هذا الميراث ويحملونه ويعملون به ويبلغونه ، سبحان الله العظيم يشهد لهذا الحديث المشهور في السنن: إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها التجديد بحمل العلم وتبليغ العلم والعمل به ، وهذا أيضا مشهود ، وهذا التجديد قد يقوم به فرد ويهتدي على يده وينتفع به ما شاء الله من العباد ، وقد يقوم بالتجديد ويتحقق هذا التجديد بعمل جماعة مجتمعة في منطقة أو جماعة متفرقة يجمعهم عصر واحد ، والله أعلم ، نعم.

حديث من أشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد الإمامة

ولأبي داود عن سلامة بنت الحر أخت خرشة بن الحر الفزاري مرفوعا قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : 🕮 إن من أشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد الإمامة فلا يجدون إمامًا يصلي بهم 🕮 .

هذا الحديث في أن من أشراط الساعة أن يتدافع الناس في المسجد ، يتدافعون فلا يجدون من يصلي بهم : إما يتدافعوا بمعنى أن كل واحد يدفع عن نفسه، كل يعني يدفع عن نفسه ما يطلب منه من الإمامة ، صلي يا فلان يقول لا ، فيدفع الإمامة عن نفسه ، أو يتدافعون بمعنى أن كل واحد كما يقال يدف الثاني يقدم تقدم تقدم يا فلان ، فيدفعه إلى مكان الإمامة ؛ وذلك لقلة من يكون أهلا للإمامة أو لعدم من يكون أهلا للإمامة بأن كلهم لا يحسنون القرآن ولا يحسنون الإمامة ، وهذا ينبئ عن قلة العلم وتقلص العلم ، وهذا حصل ويحصل ، هذا يحصل كثيرا .

وهناك نوع من التدافع مع وجود الأهلية يكون الحامل عليه هو التخفف من مسئولية الإمامة أو أعباء الإمامة ، يعني كل واحد يريد يمشي حاله ، والإمامة منصب فاضل عن الرسول ﷺ كان هو الإمام ، وهكذا كان الولاة من بعده ، في عهد الخلفاء الراشدين في عهد بني أمية كان يعني الإمام كان ولي الأمر الإمام الأعظم هو الإمام في الصلاة، وكما يقول شيخ الإسلام : أمير الحرب في الجهاد هو الإمام في الصلاة .

فينبغي لمن كان يعني أهلا للإمامة بحفظه أقرأ من غيره ، وأعلم من غيره ، ينبغي أن يتقدم ولا يتأخر حتى يتقدم عاميّ قاصر العلم والحفظ للقرآن فهذا من الخطأ 🕮 يؤم القوم أقرءوهم لكتاب الله وإن كانوا بالقراءة سواء فأعلمهم بالسنة 🕮 وهذا يحتمل أن يكون معناه أنه أحق بالإمامة ، متى كان أحق فهذا حق عليه إذا طلب منه ذلك ، بل ينبغي لمن كان أهلا للإمامة بعلمه وحفظه للقرآن أن لا يترك عاميا جاهلا قاصرا ، أو من ظاهره الفسق يظهر منه مخالفات أن لا يتركه يتقدم بل يمنعه من التقدم ويتقدم هو لا بأس ، لا بأس أن يتقدم هو حتى ولو لم يطلب منه ذلك ، هذا يقع ، يعني تأتي مواقف تقتضي من طالب العلم أنه لا يترك الفرصة لعامي جاهل يترك الفرصة له يتقدم ثم يحصل ما يحصل من التقصير والإساءة في الصلاة يمكن أن يقرأ قراءة غير مجزئة أو غير تامة ، ويمكن يؤدي الصلاة على وجه أيضا لا يؤمن منه وقوع الخلل في الصلاة بسبب عدم الطمأنينة ، هذا يجري كثيرا ، فينبغي لمن كان أهلا لما آتاه الله من علم بالقرآن وعلم بالسنة يعني يتقدم ولا يترك الفرصة للجهال والقاصرين ، نعم.

حديث سيأتي على الناس زمان سنوات خداعات

وروى يزيد بن هارون أنبأنا عبد الملك بن قدامة عن المقبري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : 🕮 سيأتي على الناس زمان سنوات خداعات : يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضة . قيل يا رسول الله وما الرويبضة ؟ قال : الرجل التافه ينطق في أمر العامة 🕮 .

أيضا هذا الحديث فيه الإخبار عن أنه سيأتي على الناس زمان سنوات تفسد فيها الأخلاق ، أخلاق الناس : يكذب الصادق ، يخون الأمين ، يؤتمن الخائن ، يصدق الكاذب ، هذا منطق معكوس ، يصدق الكاذب ويكذب الصادق : يعني تكون الأحكام تدور مع الأهواء ، وهذا كالتفسير والله أعلم لقوله في هذا الزمان : سنين أو سنوات خداعة ، وصف الخداع هو وصف لأهل هذه السنين ، وصف للناس كما نقول : هذا الزمان كذب ، زمان كذب ، وخيانة وظلم ، فيضاف وصف الناس تارة إلى المكان وتارة إلى الزمان ؛ لأن مَحال الزمان والمكان محال لأفعال الناس ، محال للناس وأعمالهم وأقوالهم .

ويقول أيضا في الحديث : 🕮 وتنطق الرويبضة 🕮 رويبضة لفظ مصغر رابضة الرويبض ، فهذا تصغير للتحقير ، الرويبضة وهو الرجل الفاسق ، فسر فسره في الحديث : الرجل التافه الحقير القاصر العاجز الناقص ، يتكلم في أمر الأمة في أمر العامة ، وهذا من فساد أحوال الزمان أن يصدر ويتدخل في الأمور في قضايا الأمة الناقصون والقاصرون والجهال والتافهون ، القضايا العامة هذه من شأن ذوي الحِجَى ذوي العقول ، وذوي المدارك والآراء السديدة وأهل البصائر .

فهذه من صور وأحوال فساد الزمان ، وهذه الأمور مدركة ومشاهدة وحاصلة فيما مضى وفي الحاضر وفيما يأتي ، وهذه الأحاديث تشبه الأحاديث التي جاء فيها ذكر القرون المفضلة وأنه بعد تلك القرون تفسد الأحوال : في التعامل ، في الشهادات ، في الأيمان ، في باب الصدق والكذب ، تكثر الخيانات والكذب ، ويرتفع الوضيع الحقير ، ويهان مثلا أشراف الناس والفضلاء : فضلاء الناس ، كل هذه من مظاهر فساد الأحوال ، نعم.

حديث أن تلد الأمة ربتها

رواه مسلم. وفي حديث جبريل 🕮 أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان 🕮 .

هذا طرف من حديث جبريل مشهور الذي رواه مسلم ، والشيخ أخذ منه ما يشهد للمقام ، وهو ما تضمنه من ذكر بعض أمارات الساعة 🕮 قال جبريل للنبي عليه الصلاة والسلام : أخبرني بالساعة قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال : أخبرني عن أمارتها . فذكر له أمارتين أن تلد الأمة ربتها 🕮 في لفظ ربها يعني سيدها ، وكيف ذلك ؟ لأهل العلم كلام كثير في تفسيره ، قيل : أن تلد الأمة ربتها يعني أن يتسرها سيدها فتلد منه فيصير ولدها سيدا لها ؛ لأن الولد قائم مقام والده ، فتكون هذه الأمة وهي أمه هو سيدها ، هو حر وهي مملوكة ، ولكن في الحقيقة هذا ما ليس بظاهر عندي ؛ لأن هذا حاصل في حياة الرسول نفسه ، يعني ليس من الأمور التي جاءت متأخرة ولا تتوقف على كثرة الرقيق ، كما حصل بسبب الفتوح .

لكن عندي أظهر ما قيل أنه يكثر الرقيق وينتشر ويتبايع الناس يعني أمهات الأولاد حتى ينتهي الأمر ربما ينتهي الأمر إلى أن يشتري الولد أمه ، وهو لا يدري ، يكون سيدها وهو لا يشعر ، ولدتْه وبيعتْ وراحتْ وعادتْ واشتراها أو ربما اشتراها وتزوجها أيضا ، هذا أقرب لتصور حقيقة أن تلد الأمة ربتها ، أن تلد من يكون سيدًا لها مالكا لها لرقبتها ، والله أعلم .

وأن تروا الحفاة العراة العالة : حفاة لا نعال لهم ، حفاة عراة : ليس عليهم الكسوة المعتادة ، عالة : فقراء ، رعاء الشاة : جمع راعي ، هؤلاء بعد هذه الحياة حياة البداوة والفقر يتطاولون في البنيان ، يتباهون في البناء يتطاولون في البنيان ، وهذا المعنى قد حصل في ما مضى ، وحصل في عصرنا هذا ، يعني جنسه حصل ، كل ما تهيأت أسباب التحضر ، تحضر البادية تحضروا فيسكنون المدن ويسكنون القرى بعدما كانوا عليه من الفقر وأحوال البداوة يصيرون إلى هذه الحال ، بعد أن كانوا لا يسكنون بيتا لا يسكنون بيت المدر إنما يسكنون بيوت الشعر ، يؤول أمرهم إلى أن يتطاولوا ويتنافسوا في بناء القصور ، نعم والله أعلم.

حديث إذا فعلتم خمسة عشرة خصلة حل بها البلاء

وللترمذي عن علي ﷺ قال رسول الله ﷺ إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء قيل : وما هي يا رسول الله ؟ قال : إذا كان المغنم دولا ، والأمانة مغنما ، والزكاة مغرما ، وأطاع الرجل زوجته وعق أمه ، وبر صديقه وجفا أباه ، وارتفعت الأصوات في المساجد ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأُكرم الرجل مخافة شره ، وشربت الخمور ، ولبس الحرير ، واتخذت القينات والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وقذفا ومسخا وقال غريب وفي إسناده فرج بن فضالة ، ضُعِّف من قبل حفظه ، وفي إسناده من ؟ فرج بن فضالة ، ضعف من قبل حفظه وأخرجه من حديث أبي هريرة ﷺ وقال : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

هذا الحديث على ما فيه من التضعيف الذي أشار إليه الترمذي ، ففي كثير مما تضمنه شواهد في الصحيح مضى بعضها وبعضها سيأتي ، إذا كان المغنم عندك دِولا أو دُولا ، الغريبة تكون دُولا وفي بعض الألفاظ الفيء ، والفيء يشمل الغنائم ، ويشمل الفيء بمعناه الخاص ؛ لأن الغنائم هو ما استولى عليه المسلمون من أموال الكفار بالقوة ، والفيء بالمعنى الخاص : ما ظفر به المسلمون بغير قتال كما في آيات سورة الحشر ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾ [1] يعني : يتداولونه ويستولون عليه ويُحرم منه أهله والأحق به إذا كان الفيء دولا ، أو إذا كان المغنم دولا ، نعم إذا كان المغنم دولا .

والأمانة مغنما تكون الأمانة غنيمة ، من استودع وديعة استحلها غنيمة باردة بالخيانة ، تكون الأمانة كالغنيمة لدى الخائن ، والأمانة مغنما والزكاة مغرما يعدها من تؤخذ منه غرما ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا ﴾ [2] يتخذه مغرما يعده مغرما ، لا يؤدي الزكاة إيمانا واحتسابا وعبادة لله وطاعة يرجو

---

١ – سورة الحشر آية : ٧.

٢ – سورة التوبة آية : ٩٨.

ثوابها وذخرها عند الله ، بل يؤديها كارها كحال المنافقين ، تؤخذ منه قسرا ، فيعدها مثل الضريبة مثل الضرائب التي

.....

تؤخذ من الناس بغير حق ، هذه بعض الخصال ، إذا كانت هذه الخصال وما بعدها ، فإنه تبتلى الأمة بما تبتلى به ، نعم.

الرابعة 🕮 وأطاع الرجل زوجته وعق أمه 🕮 هذه معدودة عندكم واحدة أو اثنتين ، اثنتين يا شيخ ، الله أعلم هذه من الإشكال ، في الحقيقة عقوق الأم حرام مطلقا سواء أطاع الرجل امرأته أو لم يطع ، وطاعة الرجل لامرأته ليس مذمومًا على الإطلاق ، إذا أطاعها فيما أباح الله ، فلا ضير عليه ، فتكون إذن هما خصلتان مذمومتان وبينهما مفارقة : أطاع الرجل امرأته يعني فيما حرم الله ، أطاعها في المعصية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ ﴾ [1] قد تمنعهم من القيام بواجب ، وقد تحمله على فعل معصية فيما يتعلق به أو فيما يتعلق بها ، فيستجيب ويطيعها فيكون عاصيا بذلك .

ومن هذه حاله فلا بد أن يكون أغرق في حبه لزوجته وانقياده لأمرها ، وفي المقابل يعق أمه ، وهذا من الطبيعي ولهذا كان بين الخصلتين تناسب : يطيع زوجته طاعة عمياء ، ويبالغ في طاعتها واتباع أمرها ، وأمه يعقها يعصيها ويؤذيها ، ولا شك أن عقوق الأم من كبائر الذنوب ممن كان متزوجا أو غير متزوج ، ممن يطيع زوجته أو لم يطعها ، لكن إذا جمع الرجل بين الخصلتين بين طاعة المرأة واتباع أمرها والاحتفاء بها مع عقوق الأم كان هذا أقبح ؛ لأن ذلك يتضمن تفضيل زوجته على أمه .

وهذا لا يعني أن الرجل يعني يضرب المرأة لبر أمه ومن أجل بر أمه لا ، للأم حق وللمرأة حق ، فالواجب على المسلم أن يؤدي لكل ذي حق حقه ، ولا يغلب واحدة منهما على الأخرى ، لا يغلب جانب المرأة بحيث إنها تتسلط على أمه وتؤذيها وتحتقرها ، ولا كذلك يغلب في بر أمه حتى يقصر فيما يجب لامرأته ، وحتى يؤديه بره بأمه إلى ظلم المرأة ، هذا يحصل من بعض الناس يظلم المرأة باسم البر بأمه لا ، يوقف كل أحد عند حده ، الواجب على المسلم أن يوقف كل أحد عند حده ، يعالج بالطرق السلمية بالطرق الحكيمة ، وإن لم يندفع الشر إلا بالحزم والقوة فعل يمنع الظلم مرفوض وممنوع.

🕮 وبر صديقه وجفا أباه 🕮 أو أقصى أباه وهو بمعنى العقوق وعق أباه ، بر صديقه احتفى به أكرمه ، تجد من هذه عادته يكرم صديقه ويحتفي به ويقدم له أنواعا من الإحسان ، وفي المقابل يقصي أباه يبعده يجفوه ، هذا أيضا القول فيه يشبه القول في المرأة والأم .

---

١ – سورة التغابن آية : ١٤.

.....

بر صديقه يعني صديقه أحب إليه من والده ، يهش ويبش لصديقه ، ويقوم له ويدنيه ويقربه ، وعلى النقيض من ذلك أبوه يَزْوَرُّ بوجه عنه ويعرض عنه ، ويغلظ له في الكلام ولا يبالي ، هذا لا شك أنه من أقبح الأخلاق كما قلت يعني لو فعل هذا بأبيه وإن لم يكن له صديق يبره ويعتني به كان هذا قبيحا ، لكن إذا جمع بين الأمرين كان هذا أقبح ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ ﴾ [1] فالجمع بين الأمرين أقبح ، الجمع بينهما فيه زيادة قبح : يستوفي حقوقه كاملة ، ويقصر في حقوق الناس وبر صديقه وجفا أباه نعم.

وارتفعت الأصوات في المساجد نعم وارتفعت الأصوات في المساجد ، ويقول أيضا من هذه الخصال الخمسة عشر : وارتفعت الأصوات في المساجد معلوم أن المراد على حال تقدير صحة الحديث ، وكما قلت : إن الحديث وإن كان ضعيفا ، فإنه قد يكون متنه صحيح المعنى بالشواهد بدلالة القواعد الشرعية .

ارتفعت الأصوات في المساجد، المساجد بيوت العبادة ﴿ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ [2] ومن رفع المساجد واحترام المساجد غض الأصوات فيها ؛ لأن رفع الصوت في حد ذاته مذموم ، رفع الصوت من غير حاجة تقتضي ذلك ، يخص من هذا لا شك ما يشرع فيه رفع الصوت ، الأذان لا يدخل ، هذا يكون في المسجد ولا يدخل ، رفع الصوت بالخطبة هذا غير داخل ، رفع الصوت بالخطبة بالمسجد ، رفع الصوت في التعليم والدروس للإسماع هذا غير داخل .

إذن ما الذي يعتبر ؟ الأصوات التي فيها إساءة أدب ، فيها خروج عن الأدب ، مثلا رفع الصوت بالنداءات ، يا فلان تنادي ، لا موجب بأنك تصرخ وتزعق من أجل أنك تنادي شخصا من غير ضرورة ليس هناك ضرورة ، أسرع ألحق به ، أو ما هو أسوأ من ذلك رفع أصوات في أحاديث فضولية بحيث يصبح المسجد كأنه سوق ، فهذا

---

١ – سورة المطففين آية : ١-٣.

٢ – سورة النور آية : ٣٦.

.....

إذا فُعل في المساجد فهو من قبائح الأخلاق ومما ينافي ما أذن الله به في المساجد ﴿ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [1] نعم.

وكان زعيم القوم أرذلهم يقول وهذا من الخصال الخمسة عشر : وكان زعيمَ القوم –زعيمَ منصوب – أرذلهم يعني كان أرذلُ القوم زعيمَهم ، هذا أظهر يعني صار الأرذل الأنقص التافه .....

كما في الحديث المتقدم، الرويبضة: التافه، يكون زعيما، ومقدما، هذا من مظاهر فساد الأحوال، يقدم الأراذل، ويؤخر الأشراف، والأفاضل. نعم.

وأكرم الرجل مخافة شره هذه أيضا من المصائب، أن يكون أن يكرم الرجل مخافة شره، هذه مصيبة، هذا يدل على تسلط الأشرار، لأنهم إذا لم يكرموا ظلموا، وهذا يقتضي أن لهم سلطة، أن لهم سلطة، ويتسلطون بها على الناس، بحيث من لم يكرمهم، ويحترمهم، ويحتفي بهم، يؤذونه بأنواع الأذى، وأكرم الرجل مخافة شره، هذه أيضا من مظاهر فساد الأحوال، وعلى كل حال، هذه كلها تندرج في فساد الأحوال، وكلما تقدم الزمان بمعنى، كلما مضى الزمان، ساءت الأحوال كما في الحديث المشهور: لا يأتي على الناس زمان، إلا والذي بعده شر منه تفسد الأخلاق.

والحديث في الصحيح : خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم بعد يقل الخير، والأحاديث المتقدمة التي فيها تغير الأحوال، وانتقال الناس من شر إلى خير، ومن خير إلى شر، ثم شر، وإن كان الخير، جنس الخير باقيا، لا ينقطع ولا يزول عن الأرض، لا يرتفع الخير عن الأرض، حتى تهب الريح الطيبة، التي لا تترك أحدا في قلبه شيء من الإيمان، إلا توفته بإذنه، سبحانه وتعالى. نعم.

وشربت الخمور، ولبس الحرير، واتخذت القينات، والمعازف هذه ثلاث خصال، بينها تناسب؛ شربت الخمور، ولبس الحرير، واتخذت القينات: المغنيات؛ هذه الثلاثة بينها تناسب: الغناء، والخمر، ولبس الحرير، هذه جمعت أيضا في الحديث الآتي؛ حديث أبي مالك الأشعري: شربت الخمور أيضا، ينتشر الخمور، شربت: لم تزل

---

١ – سورة النور آية : ٣٦-٣٧.

.....

تشرب في سائر الأعصار، لكن المقصود أن شربها يكون ظاهرا، تشرب الخمور ظاهرا، ويجاهر بها، يجاهر بشرب الخمور، ويجاهر باتخاذ القينات، والمعازف، وهذا قد وقع في القرون الماضية، في كثير من البلاد ويقع، والآن هو واقع في سائر العالم الإسلامي جهارا، الخمور تشرب جهارا، تقدم في الطائرات، الذي يظهر لي، فيما أحسب، أن جميع أو أكثر خطوط الدول الإسلامية، والتي تسمى الإسلامية، كلها تقدم فيها الخمور، إني أقول كلها إلا قليلا، هذا هو شرب الخمر مجاهرة، يعني أصبح شرب الخمر يقدم مثل ما يقدم الماء والعصير، هذا واقع بخلاف ما كان عليه الأمر قديما، يعني يستخفي فيه الناس، يشرب سرا على أنه ذنب، على أنه معصية ومنكر.

ولبس الحرير كذلك، واتخاذ القينات المغنيات، أصل القينة أصلا: الأمة، وأكثر ما تطلق القينة على الأمة، المغنية، والمعازف: هي الغناء، وآلات الغناء، ولم يمر على الناس أسوأ من حال الناس في هذا العصر، في ظهور المعازف، الغناء، وآلات الغناء كانت موجودة في الأعصار الماضية، كان هناك، يعني اجتماعات على الغناء، يعني من الناس من يمارس هذا العمل عبادة كالصوفية، معازف يسمونه السماع، يتعبدون بسماع الأغاني، منهم من يأتيها ويحضرها، يعني للمتعة والشهوة، لما فيها من التأثيرات النفسية، والنشوة والإثارة، لكن الآن بسبب ما تهيأ للناس من وسائل البث، أصبحت المعازف، وأبشع أنواع المعازف الأصوات، والآلات، أصبحت في كل بيت، ومتوفرة في كل وقت، لا إله إلا الله، سبحان الله العظيم، هذا بلاء، إنه بلاء، هذا كله بقدر الله، وهو ابتلاء للخلق، ابتلاء ليتبين من يخاف الله، من يخافه بالغيب، تكون هذه الأمور المحرمة مبذولة، ميسورة، سبحان الله! ميسورة للناس تيسيرا هائلا، ومع ذلك، لا تشبع النفوس من الهوى، واللهو الباطل، الآن مع توفر بث وسائل التلفزة، والإذاعة، بثها للمعازف في كل وقت، وهناك قنوات مخصصة لبث الأغاني، كما في هذه القناة المقبوحة الـ mbc ، التي هي موقوفة على بث الغناء، مخصصة، فهي منبر شر وفساد، يبوء بإثمها أولا المؤسسون لها، والممولون لها، المعازف وبدل القينات، الآن حرائر ما هن قينات، هذا الحكم أتعس، وأقبح من القينات، القينات: إماء مستذلات، ومسخرات، يسخرن بحكم العبودية لممارسة هذا، وأما الآن لا حرائر يعني يمارسن عمل الإماء، ويشاد بهن ويلمعن وتنشر صورهن المغنيات، ومعهن المغنيين أيضا تنشر صورهم، ويثنى عليهم، ويمجدون، ويعظمون، هذا كله يدل على الارتكاس في الرذيلة، والهبوط، ولا حول ولا قوة إلا بالله، سبحان الله العظيم! إنه لعجب، وشربت الخمور، ولبس الحرير، واتخذت القينات والمعازف. نعم.

.....

يقول: آخر الخصال الخمسة عشر، ﷺ ولعن آخر هذه الأمة أولها ﷺ من أولها؟ أولها هم الصحابة – رضي الله عنهم – هم أول هذه الأمة، وهذا الوصف لا ينطبق أبدا على أحد، كما ينطبق على الرافضة، وإن كان يستسرون بهذا، عملا بأصلهم الباطل: التقية، لكنهم هم المتميزون، المعروفون بهذا الأمر، وهو سب الصحابة، وسب الشيخين بالذات، فما ذكر هنا في هذا الحديث، ينطبق عليهم كل الانطباق. ولعن آخر هذه الأمة أولها، وهذا أول –يعني– ما ظهر واشتهر في القرن الرابع، بدأ بعد القرون المفضلة، هم ظهروا بذلك وقويت شوكتهم، وكلما قويت شوكتهم، كلما باحوا بما يسرونه، وتنطوي عليه ضمائرهم.

في هذا الحديث، بعد هذا الحديث، يعني إذا وقع في هذه الأمة هذه الخصال، فإنها تصاب ببلاء، لا شك أنه إذا استحكم الشر في الأمة، ببعدها عن هدى الله بفشو المعاصي، والرذائل، وسيئات الأعمال، والأحوال، والأخلاق؛ فلا شك أن الأمة تكون مهيأة للعقاب، لأن الانحراف عن صراط الله، هو السبب الجامع لما يحل بالأمة؛ من شرور، كما أن الاستقامة، هي السبب الجامع لسعادة الأمة، وسلامتها، وعصمتها، وكفاية الله لها، فإذا ظهرت هذه الأمور، يقول في الحديث: فانتظر، يعني أن تقع في الأمة ريح حمراء، وخسف، ومسخ؛ هذه إشارة إلى أنواع من البلاء، إما رياح عاتية مدمرة، وخسف، ومسخ للصور، نعم. اقرأ الحديث من أوله نسمعه. نعم.

وللترمذي، عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﷺ إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة، حل بها البلاء. قيل: وما هي يا رسول الله. قال: إذا كان المغنم دولا، والأمانة مغنما، والزكاة مغرما، وأطاع الرجل زوجته وعق أمه، وبر صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وشربت الخمور، ولبس الحرير، واتخذت القينات والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء، وخسفا ومسخا ﷺ .

الله المستعان، لا إله إلا الله، إذا اجتمعت الشروط في الأمة، وتنوعت كانت معرضة لنزول البلاء، والعذاب المتنوع، نسأل الله السلامة والعافية! فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء، ومسخا، وخسفا يشهد

لبعض ذلك الأحاديث الآتية التالية، لكن نقف عندها نظرا للوقت، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله.

حديث ليشربن ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، قال – رحمه الله تعالى –: ولابن ماجه، عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ 📖 ليشربن ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها، يضرب على رءوسهم بالمعازف والقينات، فيخسف 📖 .

في المحققة: فيخسف، هو المناسب؛ نعم. فيخسف الله. نعم. 📖 فيخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم القردة والخنازير 📖 لا إله إلا الله! ما بعدها، ما بعدها. نعم.

وللبخاري عن أبي عامر بن أبي مالك الأشعري، سمع النبي ﷺ يقول: 📖 ليكونن ناس من أمتي؛ يستحلون الخمر، والحرير والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علَم، يروح عليهم بسارحة لهم، تأتيهم لحاجة، فيقولون: ارجع إلينا غدا، فيبيتهم الله، ويضع العلَم، ويَمسخ آخرين قردة، وخنازير إلى يوم القيامة 📖 .

الحمد لله، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده، ورسوله، وعلى آله وصحبه، رواية ابن ماجه؛ أصلها حديث البخاري، فيقال في حديث أبي مالك الأشعري، الذي رواه ابن ماجه: أصله في الصحيح، أصله في صحيح البخاري: 📖 ليشربن ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها 📖 يسمونها بغير اسمها: يعني لتسويغ شربها، أو للتمويه، والخداع، يدَّعون أنها ليست خمرا، يسمونها بغير اسمها، إما ليسهل عليهم أمر شربها، يصير أهون ما يفهم، هذه كذا، يعني إما بلغة أجنبية، أو مصطلح خاص، إما لتسهيل شربها على أنفسهم، أو للخداع، والمكر، والتمويه على الآخرين، يقولون: ما نشرب خمرا، نحن ما نشرب، نحن نشرب كذا، وكذا، يسمونها بغير اسمها .

يضرب على رءوسهم بالمعازف: يعني يضرب بحضرتهم، تضرب المعازف بحضرتهم، وتغني القيان، هذا معنى يضرب على رءوسهم، أي بحضورهم المعازف، والمعازف: هي الغناء، وآلات الغناء، الغناء له آلات كثيرة، ومتنوعة، تختلف باختلاف الزمان، والأعصار، وأعظم ما تنوعت فيه المعازف، هذا العصر، يعني شملتها الحضارة، الحضارة هذه شاملة لكل أنواع شئون الحياة؛ الزينة، والشينة كله.*

يقول: فيخسف الله بهم الأرض، ويمسخ آخرين: وعيد شديد لمن يمارس هذه الأعمال المشينة؛ شرب خمر، وسماع للمعازف، ويصاحب هذا، في الغالب الزنا. هذه ثلاث، كما تقدم في حديث علي: وشُربت الخمور،

.....

واتخذت القينات والمعازف. فهذه الثلاث بينها تناسب وترابط، ولهذا جاء ذكرها في هذا الحديث، وكذلك في الحديث الآخر، الذي رواه البخاري، وهو: + ليكونن ناس من أمتي يستحلون الخمر، والحرير، والمعازف. ليس شربا فقط، أو لبسا فقط، أو سماعا فقط، بل يستحلون.

في الرواية الأخرى، الذي في البخاري، يستحلون الحرا، والحرير، والخمر، والمعازف. الحر: الحرا الفرج، كناية عن الزنا. يستحلون، إذن يستحلون الزنا، والخمر، والحرير، والمعازف، وهذا الحديث، هو أصح حديث ورد في المعازف في البخاري، والمعازف التي هي الغناء، وآلاته، جاء فيها أحاديث كثيرة في السنن، والمسانيد، وأوردها العلامة ابن القيم في إغاثة اللهفان، في باب ما كاد به الشيطان أصحاب السماع، إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان، ذكر فيه أنواعا من مكائد الشيطان لبني الإنسان، ومن ذلك ما كاد به أصحاب السماع، وينبغي أن يقرأ هذا الفصل، أو هذا الباب على الناس، حتى لا ينسى حكم الغناء.

أول ما ظهر: يعني بدأ بث الإذاعات للأغاني، هب أهل العلم يتكلمون عن الغناء، ويحذرون، ويذكرون الأحاديث، ويحذرون من استماع الأغاني، ولما تمادى الناس، وتقادم الزمن، خف ذلك، وشغل الناس بحوادث جديدة، بحوادث، ومنكرات جديدة، ولهذا لا تكاد الآن؛ يعني تسمع، يعني لا يوجد محاضرة نهي عن الغناء، ولا خطبة عن الغناء، وقد ذهب جماهير أهل العلم إلى تحريم الغناء؛ بالمد. الغنى: خلاف الفقر؛ بالقصر. والغناء: هو الصوت، وممن –يعني– جوز الغناء: ابن حزم في المشهور عنه، وكان يطعن في هذا الحديث، الذي رواه البخاري، يقول: إنه منقطع. وقد رد عليه أهل العلم، وقالوا: إن البخاري رواه عن شيخه، هشام بن عمار، وقد سمع منه، فإذا قال: قال هشام بن عمار، فليس هذا بمنقطع.

فقال: تساوي "عن"، تشبه قول الراوي: "عن"، وإن لم تكن صريحة في السماع، لكنها إذا جاءت من غير مدلس، هذا هو المقرر، إذا كانت من غير مدلس، وكانت الرواية عمن حصل معه اللقاء، أو على الأقل المعاصرة، كما هو منهج مسلم، ومعروف عن البخاري أنه يشترط اللقية، ولا تكفي، يعني مجرد المعاصرة، يشترط ثبوت اللقاء بين الراوي وشيخه، فهذا الحديث مما رواه البخاري عن شيخه، الذي سمع منه وروى عنه، ولقيه، فالحديث متصل، فلا تصغ لابن حزم، كما يقول العراقي في ألفيته، في المصطلح قال:

لا تصغ لابن حزم المخالف .

كما ذكر أشار إلى الرواية، يعني بـ عن و قال: وإنها إذا كانت من الراوي، عن شيخه، الذي سمع منه، ولقيه، وليس بمدلس، فهي تنبئ عن الاتصال، يعني لا تدل على الانقطاع، فيستفاد من هذا الحديث، وأحاديث

.....

أخرى، بل ومن القرآن. ذكر ابن القيم الأدلة على تحريم الغناء من وجوه كثيرة، فساق أدلة من القرآن، وأدلة من السنة؛ فالغناء حرام.

مما استدل به على التحريم؛ قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ [1] وجاء بالتفسير لابن مسعود يقول: والله إنه الغناء، وآثار عن السلف كثيرة، المقصود أن الغناء قد دل على تحريمه القرآن، والسنة، وحكى بعضهم الإجماع على التحريم، وهذا الحديث أعني حديث أبي مالك الأشعري، الذي رواه البخاري، يعني هو أصل في هذا: 🕮 ليكونن أقوام، أو أناس من أمتي يستحلون الحرا، والحرير 🕮 الحرير: حرام، أما الحرا، الذي هو الفرج، وهو كناية عن الزنا، فهو ظاهر أنه من كبائر؛ الذنوب، وأما الحرير: فتحريمه على الرجال خاصة.

والخمر، والمعازف؛ وهذا إخبار عما يكون في هذه الأمة، في آخر الزمان، وقد وقع ذلك، وهو واقع الآن، فيوجد في المسلمين من يستحل الخمر، ويسلك لهذا طرقا وتأويلات، والواقع أن استحلال الخمر، هو كفر، يعني من يقول: الخمر حلال، أي شيء فيها؟ ما فيها شيء، أين الدليل من القرآن على أن الخمر حرام؟ أين حرمت عليكم الخمر؟ ليس فيه. يريد لفظ تحريم، مثل حتى: حرمت عليكم أمهاتكم.. والمعازف.

يقول في هذا الحديث: 🕮 ولينزلن أناس إلى جنب علَم، فتأتيهم سارحة لهم 🕮 سارحة: يعني ماشية من الغنم تسرح. السرح: ذهاب الماشية للرعي في الصباح. وتروح: تعود إليهم في العشي، كما قال تعالى: ﴿ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦ ﴾ [2] فيأتيهم آت بسارحة لهم، فيقولون: ائتنا غدا، فيبيتهم الله، التبييت: هو الهجوم ليلا، بيت العدو: يعني هجم عليه ليلا، وهكذا يبيت الله من شاء أن ينزل به عقابه، يبيته فينزله به ليلا ﴿ أَفَأَمِنَ

---

١ – سورة لقمان آية : ٦.

٢ – سورة النحل آية : ٦.

أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتًا ﴾ [1] **هذا هو التبييت** ﴿ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتًا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [2] **الآيات. فيبيتهم الله، فيضع العلَم، العلَم: يفسر بالجبل، فينزل أناس إلى جنب علَم، يعني إلى جنب جبل.**

١ – سورة الأعراف آية : ٩٧.

٢ – سورة الأعراف آية : ٩٧.

.....

فقوله: إذن يضع العلَم: يعني يسقط العلَم عليهم، ويخسف بهم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير، وذكر هذا الصنف، أو ذكر، يعني هؤلاء مع قوله: 🕮 ليكونن من أمتي قوم، أو أقوام، يستحلون الحرا، والحرير، والخمر، والمعازف 🕮 يشعر بأن أولئك كان من إثمهم، وجرمهم ارتكاب هذه المعاصي، ولا سيما إذا كانت مجتمعة؛ خمر، وزنا، ومعازف، وحرير، هذه كلها متع محرمة، فيتضمن هذا وعيدا لمن يقدم على هذه المعاصي، فيها التحذير من أن ينزل الله بهم العقاب، نعم. أعد الحديث الأخير، حديث البخاري، وللبخاري، نعم.

وللبخاري، عن أبي عامر ابن أبي مالك الأشعري، سمع النبي ﷺ يقول: 🕮 ليكونن ناس من أمتي، يستحلون الخمر، والحرير، والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علَم، يروح عليهم بسارحة لهم، تأتيهم لحاجة، فيقولون: ارجع إلينا غدا، فيبيتهم الله، ويضع العلَم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة 🕮 . نعم، بعده.

حديث يكون في أمتي فزعة

وروي عن أبي أمامة مرفوعا 🕮 يكون في أمتي فزعة، فيصير الناس إلى علمائهم، فإذا هم قردة وخنازير 🕮 .

نعم، هذا رواه الحكيم الترمذي، نعم الحكيم الترمذي له، يعني مرويات، كثير منها لا يعول عليها، لكن هذا يستأنس به، ويذكر للاستشهاد، للاعتضاض، والتعذيز، نعم يكون في أمتي فزعة.

🕮 يكون في أمتي فزعة، فيصير الناس إلى علمائهم، فإذا هم قردة وخنازير 🕮 .

يعني هذا إن صح، فهو إخبار عن، يعني عن أناس، فسدت أحوالهم، وفسدت أحوال علمائهم، فصاروا علماء سوء، يزينون الباطل، ويسوغونه، ويسهلون فيه، يحلون الحرام، من جنس من ذكرهم الله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ ﴾ [1] يحلون الحرام، ويحرمون الحلال، ففي هذا الحديث، أنه يكون في هذه الأمة فزعة: يعني حدث يوجب لهم الفزع، يحدث لهم فزعة، لا بد أن يكون بسبب أمر مفزع. فيصيرون إلى علمائهم: يأتون إليهم، يلتمسون منهم، يعني التوجيه، أو الدعاء، فيجدونهم قردة وخنازير، يعني قد مسخوا، وهذا يعني أن علماءهم شرارهم، هم أشرهم، ولا شك أنه إذا غلب الفساد، وعم حتى وقع فيه العلماء، فلا شك أن من ينحرف من العلماء، أقبح ممن ينحرف من العامة؛ انحراف العالم، أقبح من انحراف العامي والجاهل، فهم أحق بالعقوبة، وأحظى بالعقاب، ففي هذا تحذير من اقتراف المعاصي والذنوب، ولا سيما الكبائر، ارتكاب كبائر الذنوب، فإنها مجلبة للعقاب، وأحق الناس بذلك، أعني بالحذر، هم العلماء؛ فالسياق كأنه ساق هذا الحديث، لما فيه من ذكر المسخ، كشاهد للحديث الذي قبله. نعم.

---

١ – سورة التوبة آية : ٣١.

حديث الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال

وعن حذيفة ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، حدثنا 🕮 أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة 🕮 ثم حدثنا عن رفع الأمانة، قال: 🕮 ينام الرجل النومة، فيقبض الأمانة من قلبه، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكت، ثم ينام النومة، فيظل أثرها مثل المجل، كجمر دحرجته على رجلك، فنفط فتراه منتبرا، وليس فيه شيء، ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله، فيصبح الناس يتبايعون، لا يكاد أحد يؤدي الأمانة، حتى يقال: إن في بني فلان رجلا أمينا، حتى يقال للرجل: ما أجلده! وما أظرفه! وما أعقله! وما في قلبه حبة من خردل من إيمان، ولقد أتى علي زمان، ما أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلما، ليردنه علي دينه، ولئن كان يهوديا أو نصرانيا، ليردنه علي ساعيه، وأما اليوم، فما كنت أبايع منكم، إلا فلانا وفلانا 🕮 أخرجاه.

أحسنت! هذا الحديث، يرويه حذيفة ﷺ وهو الذي أخبر أن النبي ﷺ حدثهم بكل فتنة تكون إلى يوم القيامة، يقول: هنا في هذا الحديث: حدثنا رسول الله ﷺ بحديثين، رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر فذكر أنه –عليه الصلاة والسلام– حدثهم عن نزول الأمانة، وأنها نزلت في جذر قلوب الرجال، جذر قلوب الرجال: يعني الأصل، الجذر: هو الأصل، نزلت في قلوب الرجال واستقرت، ونزل القرآن، فسقى هذه البذرة، فنزل القرآن، فعمل الناس بالقرآن، وعملوا بالسنة، علموا من القرآن، وعلموا من السنة، وعملوا بما فيهما.

الأمانة: الأمانة؛ قيل المراد بها، هي الإيمان وتكاليف الإيمان، إذن الأمانة هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ **﴾** [1] **فالإيمان، والشرائع هي أمانات، فالوضوء أمانة، والغسل أمانة، والصيام أمانة،**

---

١ – سورة الأحزاب آية : ٧٢.

.....

والصلاة أمانة، والإنسان مؤتمن عليها بينه وبين ربه، الإيمان في قلبه أمانة، بينه وبين الرب، من يعلم ما في قلب العبد، إلا الله، الذي خلقه، سبحان الله، لا إله إلا الله.

نزلت الأمانة في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة، وذلك ببعثة محمد ﷺ منّ الله على من شاء من عباده بالإيمان، والاستجابة لدعوته – عليه الصلاة والسلام – فكانت الأمانة في قلوبهم، نزلت الأمانة في قلوبهم، نزل الإيمان في قلوبهم، فجاء القرآن بعد ذلك، وجاءت السنة، فعلموا منهما، وكان هذا العلم غذاء لما وقر في قلوبهم، وما جعله الله في قلوبهم، فأثمر هذا العلم آثارا حسنة، وهي أنواع الأعمال الصالحة، وهذا يعني، ظهر في حال الصحابة – رضي الله عنهم – فهم الذين جمع الله لهم بين الإيمان الصادق، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، من الهجرة، والنصرة، والجهاد، والإنفاق في سبيله سبحانه، وغير ذلك من الأعمال الصالحة.

يقول حذيفة: ثم حدثنا الرسول ﷺ عن رفع الأمانة، وأن الأمانة ترفع. ترفع: يعني من المكان الذي كانت فيه، ترفع الأمانة، فينام الرجل النومة، فترفع الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكت، يبقى لها شيء يسير من الأثر، مثل البقعة في الجلد السواد في المحل، يظل أثرها مثل الوكت، ثم ينام النومة، فترفع أيضا الأمانة، فيظل أثرها كذلك مثل المجل، المجل: قيل إنه الانتفاخ، الذي يكون في الكف، من أثر العمل، إذا اشتغل الإنسان بشيء، يقبض عليه في يده، مثل الفأس، والمسحاة، وكذا، وشد عليه، يتنفط في يده أشياء، يسميها الناس، يسميها العوام مخضا، العامة عندنا يسمون هذا مخضا، مخض أثر العمل، وهو الذي عبر عنه في الحديث: بالمجل، فيكون أثرها مثل المجل، كجمر دحرجته على رجلك، فنفط، فتراه منتبرا، يعني الجمرة، إذا مرت على القدم، أو دحرجتها على رجلك، يتسبب هذا في أن تنفط في الجلد، تنفخ، ينتفخ فتراه منتبرا، منتفخا، وليس فيه شيء، هو مجرد انتفاخ، يعني ما تعدو إلا ماء.

هذا تصوير لحال أثر الأمانة في قلب من رفعت من قلبه الأمانة، نعوذ بالله، ينام النومة، فترفع الأمانة، أقول –والله أعلم–: قد يشهد له، أو يقربه الحديث الأول، يصبح الرجل مؤمنا، ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا، ويصبح كافرا، نعوذ بالله، يمكن أن ينام النومة، أو قد يكون ذاك الحديث، يفسر قول: فينام النومة، يصبح، ويتحول عن حاله، كان مؤمنا، فيصبح كافرا، كان صالحا، فيصير فاسقا، يصير فاسقا، يتحول من مرتبة التقوى، والإيمان، والصلاح إلى مرتبة الفسوق، والفجور، يصير فاجرا، بعد أن كان تقيا، تحولات، نعوذ بالله من الحور بعد الكور، والضلال بعد الهدى.

.....

ثم يذكر حذيفة بعد ذلك، يعني ما وقع من تغير أحوال الناس في باب الأمانة، الإيمان: هو أمانة عند العبد، ويوجب الأمانة، كلما كان الإنسان أكمل إيمانا، كان أكمل أمانة، فإن لفظ الأمانة يطلق على ما يؤتمن عليه الغير، ما يؤتمن عليه العبد، هذا أمانة، يعني مؤتمن عليه، والأمانة: هي الائتمان، كون الإنسان مأمونا، عنده أمانة، يعني أنه مأمون، يؤتمن على الشيء، فرفع الأمانة: هو رفع الإيمان، الذي من أثره الأمانة، والائتمان: كون الإنسان مأمونا.

يذكر حذيفة الشاهد، يقول: ولقد أتى علي زمان، وأنا لا أبالي من أبايع، لغلبة الأمانة على الناس، واستقامة أحوال الناس، لا أبالي من أبايع، لئن بايعت مسلما، ليردنه علي دِينه وأمانته، ولئن كان يهوديا، أو نصرانيا، ليردنه علي ساعيه، يسترد لي الحق منه، هذا معناه: ساعيه: يعني الوالي عليه، ولعلي تجاوزت، يعني شيئا من الحديث المرفوع، وهو تابع لأثر رفع الأمانة في الواقع، وأنه يعني يصل الأمر بالناس، إلى أن يكون الأمين نادرا، هذا جملة في الحديث، حتى يقال: إن في بني فلان رجلا أمينا. هذا من آثار رفع الأمانة، أن يقل المأمونون، أن يقل من يؤتمن، إن في بني فلان رجلا أمينا، وكذلك قد يمدح الرجل بالأمانة، وما في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فيقال: فلان؛ ما أظرفه! ما أجلده! يمدح؛ وما في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فهو أبعد ما يكون عن الأمانة. هذا من أثر رفع الأمانة، من أثرها في الواقع، قلة الأمناء، ندرة الأمناء، ومن سوء الأحوال، أن يخون الأمين، كما تقدم في الحديث، ويؤتمن الخائن، يخون الأمين، ويؤتمن الخائن.

فحذيفة أيضا، أعود وأقول: إنه يذكر من أحوال الناس، ما كان عليه الناس في أول أمر الإسلام، في عهد الخليفتين الراشدين: أبي بكر، وعمر، يمكن في أول خلافة عثمان، كانت أحوال الناس، يعني الاستقامة عليها أغلب، ويذكر أنه تغيرت أحوال الناس، وأنه الآن في آخر حياته، وقد توفي ﷺ في أول خلافة علي ﷺ سنة ست وثلاثين من الهجرة، فبعد الفتنة، تغيرت بعد مقتل عثمان، تغيرت أحوال الناس، فقد يكون أنه حدّث بهذا الحديث بعد مقتل عثمان، محتمل تغيرت أحوال الناس تغيرا عظيما، شديدا؛ كثر فيهم الشر، والنفاق، والفجور، فربما أنه حدث به بعد مقتل عثمان، وقد يكون حدث به قبل ذلك، ولا شك أن التغير حاصل في الجملة.

فيذكر أنه عند تحديثه به وقت تحديثه بهذا الحديث، يقول: إني لا أبايع منكم، إلا فلانا، وفلانا. يعني الغالب على الناس، عدم الثقة، لا يوثق به في البيع، تأملوا الآن في حال الناس، الآن البيع –لا إله إلا الله!– من الذي، يعني تثق به، تستسلم له، وتأتي تقول: دع الأشياء المحددة المسعرة، ما هي نتيجة أمانة الأشياء

المسعرة؟ لكن الأشياء التي ما يعرف سعرها، ما لها سعر معروف، يجيء البلاء من الكذب في السلعة، في قيمة السلعة،

.....

يرتكب كثير من الباعة النجش، يزيد في السلعة أضعافا مضاعفة، وقد يدعي أنه اشتراها بمائة، وهي بخمسين، ويموه على الغر، ويخدعه، وقد يعرضها، قد يقول في سلعة بمائة: سعرها مائة، فيقول عندما يطلبها منه أحد، يقول: بثلاثمائة في الأشياء التي ما لها حدود، ولا تنضبط فيها مجال، لكن الأشياء المحددة المعروفة، ليس فيها، فهذا أيضا المتأمل للواقع، لعله يجد ما وصفه حذيفة ﷺ في الوقت الذي حدث بهذا الحديث فيه.

ومن الناس من يكون أمينا، لا عن إيمان، بل عن معنى آخر، وهو قضية المحافظة على السمعة، هذا ليس بأمين، هذا يعني يترك مثلا الخيانة، ويترك بعض الأمور، التي يمكن أن تؤخذ عليه، يعني محافظة على سمعته؛ على سمعته في التجارة، مثلا بما أننا نتكلم عما ذكره حذيفة من المعاملة، وندرة الأمين في المعاملة في البيع والشراء، هذا ما تيسر حول هذا الحديث، فاقرأه مرة أخرى، والله المستعان. نعم.

وعن حذيفة ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين؛ قد رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة، قال: ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكت، ثم ينام النومة، فيظل أثرها مثل المجل، كجمر دحرجته على رجلك، فنفط، فتراه منتبرا، وليس فيه شيء، ثم أخذ حصاة، فدحرجها على رجله، فيصبح الناس يتبايعون، لا يكاد أحد يؤدي الأمانة، حتى يقال: إن في بني فلان رجلا أمينا، حتى يقال للرجل: ما أجلده! ما أظرفه! ما أعقله! وما في قلبه حبة؛ من خردل من إيمان ولقد أتى علي زمان، ما أبالي – لا، لعل الأول كله مرفوع، يعني عن الرسول – عليه الصلاة والسلام – ينتهي، أما من قوله: ولقد أتى.. هذا ظاهر أنه كلام حذيفة. نعم – ولقد أتى علي زمان، ما أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلما، ليردنه علي دينه، ولئن كان يهوديا، أو نصرانيا، ليردنه علي ساعيه، وأما اليوم، فما كنت أبايع منكم، إلا فلانا، وفلانا. أخرجاه.

الله المستعان، قف على هذا.

حديث قلت يا رسول الله وكيف يذهب العلم

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال – رحمه الله تعالى –: وقال ابن ماجه، أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن زياد بن لبيد، قال: ذكر النبي ﷺ شيئا، فقال: 🕮 ذلك عند أوان ذهاب العلم، قلت: يا رسول الله! وكيف يذهب العلم، ونحن نقرأ القرآن، ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ فقال: ثكلتك أمك يا زياد! إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أو ليس هذه اليهود والنصارى، يقرءون التوراة والإنجيل، لا يعملون بشيء منها 🕮 .

الحمد لله، وصلى الله، وسلم، وبارك على عبده ورسوله، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه، هذا الحديث، مع الحديث الآتي، وهو شاهد له في بيان لما تقدم من أنها لا تقوم الساعة، حتى يرفع العلم، ففي هذا الحديث أن الرسول – عليه الصلاة والسلام – ذكر شيئا، فقال: يرفع العلم. فقال له زياد: كيف يرفع العلم، ونحن نقرأ القرآن، ونقرئه أبناءنا، وأبناؤنا يقرئونه لأبنائهم إلى يوم القيامة؟ جيلا بعد جيلا، كما هو الواقع، ولله الحمد، الآن نحن وصل إلينا القرآن بهذه الطريقة، كل جيل يتلقى ذلك العلم عمن قبله.

فقال: يا زياد، إني لأرى أنك من أفقه رجل في المدينة، هؤلاء اليهود، وهؤلاء النصارى، عندهم التوراة والإنجيل، ولم ينفعهم ذلك، لأنهم تركوا العمل به، فرفع العلم لا ينافي وجوده في الكتب والمصاحف، لأن المقصود من العلم، هو وجوده في الصدور، وتحقيقه بالعمل، أما الكتب، فهي لا تفيد شيئا، إذا هجرت، واليهود لم يقفوا عند هجر كتبهم والإعراض، بل تلاعبوا فيها، وحرفوها؛ حرفوا في معانيها، وربما حرفوا في نصوصها وألفاظها ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [1] ومع هذه الأخبار، كما تقدم عن رفع العلم، فقد دلت أيضا

---

١ – سورة النساء آية : ٤٦.

النصوص على أن دين الله باق، وهذا العلم محفوظ، القرآن والسنة محفوظان وباقيان، لا في المصاحف فقط، بل هما

.....

محفوظان في السطور وفي الصدور، فلا يزال في هذه الأمة لهذا الدين حملة، ويعملون به، وهي الطائفة المنصورة، إلى قيام الساعة.

وكما سيأتي في بعض الأحاديث، والآثار أن رفع العلم في آخر الزمان، ينتهي إلى رفع القرآن أيضا من المصاحف، فلا يبقى من القرآن شيء، يسرى القرآن ويرفع، وذلك عندما لا يكون هناك من ينتفع به، وينتهي الأمد، الذي قدره الله لوجود وبقاء هذا القرآن حجة على العباد.

أعد لفظ الحديث، لكن لا تعد السند، والسند هذا؛ قالوا فيه: إنه منقطع. نعم؛ اقرأ عن زياد. نعم.

قال ﷺ ذكر النبي ﷺ شيئا، فقال: ذلك عند أوان ذهاب العلم. قلت: يا رسول الله! وكيف يذهب العلم، ونحن نقرأ القرآن، ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ فقال: ثكلتك أمك يا زياد! إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل، لا يعملون بشيء منها ﷺ .

نعم. بعده، الحديث الذي بعده.

حديث هذا أوان يختلس العلم من الناس

وخرجه الترمذي، عن جبير بن نفير، عن أبي الدرداء ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ فشخص ببصره إلى السماء، ثم قال: هذا أوان يختلس العلم من الناس، حتى لا يقدرون على شيء منه. فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس منا، وقد قرأنا القرآن؟ فوالله، لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا. فقال: ثكلتك أمك يا زياد! إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى، فماذا تغني عنهم؟ قال جبير: فلقيت عبادة بن الصامت، قلت: ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ فأخبرته. قال: صدق أبو الدرداء، إن شئت، لأحدثنك بأول علم يرفع من الناس؛ الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد جماعة، فلا ترى فيه رجلا خاشعا وقال حسن غريب.

هذا الحديث شاهد للحديث الأول، وزياد وارد أيضا في حديث أبي الدرداء، وأنه الذي سأل النبي – عليه الصلاة والسلام – فمعناهما واحد، ومعناهما صحيح، فوجود الكتب، ووجود القرآن في المصاحف، لا يغني شيئا، لكن لا شك أن كتابة القرآن، والعناية بكتابته، هذا من أسباب حفظه؛ ولهذا عني الصحابة بكتابته، وعنوا بجمعه، ودرج المسلمون على ذلك، فعنوا بحفظه؛ كتابة، وحفظا في الصدور، عنوا به بحفظه بكل طرق الحفظ، ولكن حفظه في المصاحف، ووجوده في المصاحف، هذا لا يمنع من رفع العلم؛ بموت العلماء، إنما ينفع العلم، ويوجد، ويظهر إذا حمله المؤمنون، حملوه؛ حفظوه، وتفقهوا في كتاب الله، وسنة رسوله – عليه الصلاة والسلام – فهنالك، إذا أفتوا، يفتون بعلم، وإذا أعرض الناس عن التفقه في كتاب الله، وسنة رسوله، فهؤلاء هم الذين قال فيهم ﷺ إذا مات أولئك، قبض العلم بموت العلماء، اتخذ الناس رءوسا جهالا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا.

فلم يزل العلم يرفع – لم يزل – بموت العلماء، ولهذا ينتقل العلم، والإيمان من بلد إلى بلد، ويقل في زمان، ويكثر في زمان، ولكنه لا يرفع رفعا تاما؛ بحيث تخلو منه الأرض، إلا في آخر الزمان، إذا رفع القرآن، وقبضت أرواح من في قلبه شيء من الإيمان، فهنالك يكون العلم قد رفع رفعا تاما، لم يبق منه في الأرض شيء، فلا علم، ولا إيمان، وهذا فيه الحث على العناية بحفظ العلم؛ بحفظ النصوص، والتفقه فيها، حفظ القرآن، وحفظ السنة، ولا يكتفي الإنسان بوجود الكتاب، هذا يعني تسهيل طريق تحصيل العلم، عندما يحتاج الإنسان، يرجع يبحث، ولكن لا يصير الإنسان بكثرة الكتب عنده عالما. نعم.

حديث يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب

وذكر ابن ماجه، من مسند زياد، بإسناد صحيح، كما تقدم، وقد حدثنا علي بن محمد، قال حدثنا أبو معاوية، عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ يدرس الإسلام، كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام، ولا صدقة، ولا نسك، ويسرى على كتاب الله تعالى في ليلة، فلا تبقى منه في الأرض آية، وتبقى طوائف من الناس؛ الشيخ الكبير، والعجوز، يقولان: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله، فنحن نقولها. فقال له صلة: ما يغني عنهم لا إله إلا الله، وهم لا يدرون ما صلاته، ولا صيامه، ولا نسكه، ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثا؛ كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه حذيفة، فقال: يا صلة! تنجيهم من النار؛ ثلاثا .

هذا الحديث فيه أن الإسلام يدرس، بمعنى أنه يخلق، كما يخلق الثوب، ودروسه يعني بنسيانه يذهب، درست، هذه رسوم دارسة: بالية، ذاهبة، وأثواب دارسة: بالية، فيدرس الإسلام، بمعنى أنه ينسى، كما يدرس وشي الثوب، كما يذهب الوشي النقوش التي تكون في الثوب، بكثرة الاستعمال تبلى حتى تنمحي منه، فيدرس الإسلام، كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صلاة، ولا صيام، ولا نسك، ولا حج، ولا يعرف الناس شيئا من ذلك، ويسرى على القرآن في ليلة. هذا ما هو ما سبقت الإشارة إليه، يسرى عليه في ليلة، بمعنى أنه يرفع فلا تبقى منه آية، ويبقى طوائف من الناس؛ العجوز، والشيخ الكبير يقولون: أدركنا آباءنا يقولون: لا إله إلا الله، ما يعرفون من الإسلام إلا لا إله إلا الله، فهذا هو أوان رفع العلم، الرفع النهائي، الرفع التام، إذا أسري على القرآن، أسري عليه بالليل.

فقال أحد التابعين لحذيفة، وهو المسمى بصلة: كيف تغني عنهم؟ هل تغني عنهم لا إله إلا الله؟ يقول: فأعرض عنه، وأعاد عليه السؤال مرتين وثلاثا، فقال: نعم؛ تنجيهم من النار، تنجيهم من النار. وهذا كلام، نعم؛ هذا ما تقتضيه، يعني عمومات الأدلة، وظواهر الأدلة، أنها تنفع. لا إله إلا الله تنفعهم، وهم لا يصلون، ولا يصومون، ولا يحجون، ما عندهم إلا هذه الكلمة: لا إله إلا الله، وقد احتج بهذا، بعض من يرى عدم كفر تارك الصلاة.

وعندي أنه لا حجة له فيه، لأن المذكورين في هذا الحديث جهال، لا يعرفون، وقد نص الفقهاء على أن جاحد وجوب الصلاة، إذا كان –يعني– جاهلا، وكان في أرض بادية، وبعيد، ما يعرف عن الإسلام؛ لا يعرف

.....

وجوب الصلاة، أنه لا يكفر بذلك، بل يعذر بجهله، إذا كان مثله يجهل، بخلاف من ينكر وجوب الصلاة، وهو بين الناس، وبين المسلمين؛ هذا لا عذر له، ولا يمكن أن يقال: إنه جاحد، فهؤلاء جهال، عذرهم الجهل، فلا يصلح الحديث دليلا على عدم كفر تارك الصلاة، لا يصلح حجة لمن يقول بعدم كفره، ولا حجة على المخالف، ولو أن كافرا دعي للإسلام، فأسلم، ولم يتمكن من معرفة شرائع الإسلام، نفعته؛ نفعه قول: لا إله إلا الله، وهو لم يعرف شرائع الإسلام، لكنه أعلن دخوله في الإسلام، وشهد الشهادتين، وهو لم يعرف شرائع الإسلام، لو مات، قال: تنفعه، تنجيه من النار. نعم. أعد حديث حذيفة.

وذكر ابن ماجه، من مسند زياد، بإسناد صحيح، كما تقدم، وقال حدثنا علي بن محمد، قال حدثنا أبو معاوية، عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ 🕮 يدرس الإسلام، كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة، ويسرى على كتاب الله تعالى في ليلة، فلا تبقى منه في الأرض آية، وتبقى طوائف من الناس؛ الشيخ الكبير، والعجوز، يقولان: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة 🕮 .

وهذا قبل الريح الطيبة، كما تقدم، هذا الواقع، هذا قبل أن تهب الريح الطيبة، التي لا تترك من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، إلا قبضته، إذًا، هؤلاء عندهم إيمان، نعم عندهم هؤلاء بقايا، أكمل الحديث. نعم.

🕮 يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله، فنحن نقولها. فقال له صلة: ما يغني عنهم لا إله إلا الله، وهم لا يدرون ما صلاة؟ 🕮 .

وهم لا يدرون، لاحظ! لم يقل: لا يصلون، ولا يصومون. يقول: لا يدرون. نعم.

🕮 لا يدرون ما صلاة، ولا صيام، ولا نسك، ولا صدقة، فأعرض عنه حذيفة، ثم رددها عليه ثلاثا، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه حذيفة، فقال: يا صلة! تنجيهم من النار؛ ثلاثا 🕮 .

نعم؛ كما تقدم، نعم. بعده.

من أحاديث الفتن

حديث قام فينا رسول الله مقاما ما ترك فيه شيئا يكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به من أحاديث الفتن، ولمسلم عن حذيفة ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاما، ما ترك فيه شيئا، يكون من مقامه ذلك، إلى قيام الساعة، إلا حدث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل، إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه – قال: والله ما أدري أنسي أصحابي، أم تناسوا، والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة، إلى أن تنقضي الدنيا، يبلغ معه ثلاثمائة فصاعدا، إلا قد سماه لنا باسمه، واسم أبيه، واسم قبيلته .

لا إله إلا الله، هذا حديث معناه –طرف منه– تقدم، وأن الرسول – عليه الصلاة والسلام – قام مقاما، أخبرهم فيه بما يكون، إلى قيام الساعة، وأنه لم ينفرد حذيفة ﷺ بذلك.

يكون إلى قيام الساعة، وأنه لم ينفرد حذيفة ﷺ بذلك، بل حضره من حضره من أصحابه، يقول: حفظ ذلك من حفظ، ونسيه من نسيه وفيه أنه يرى الشيء يكون قد نسيه، يقول: فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، فإذا رآه عرفه، يقول: إنه ليكون الشيء، يعني: مما أخبر به عليه الصلاة والسلام.

الحديث الذي عندكم يظهر أنه فيه شيء من السقط، لعله يراجع النص في المحقق، أنت ما تأخذ المجموع، كنت وددت أني أحضره لكم حتى تصوب بعض الأخطاء وبعض السقط.

يقول: إنه ليكون الشيء مما حدث به –عليه الصلاة والسلام– كنت نسيته فإذا رأيته عرفته، كما يعرف الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، فإذا رآه عرفه يعني: أنه قد حصل مما أخبر به –عليه الصلاة والسلام– في أيام حذيفة بعض الأمور التي أخبر بها ﷺ وتضمن أيضا في هذا الحديث أنه ﷺ أخبرهم بكل قائد وإمام فتنة يكون معه أتباع ثلاثمائة فصاعدا إلا أخبرهم باسمه واسم أبيه واسم قبيلته، هذا تفصيل لما أُجمِل من أنه –عليه الصلاة والسلام– أخبرهم بكل ما سيكون من أنواع الفتن والحوادث إلى قيام الساعة، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه.

وهذه أمور بهذا الإجمال؛ لأن حذيفة لم يذكر لنا أسماء معينين حتى نتأمل الواقع، هل ظهر هذا الاسم، هل ظهر صاحب هذا الاسم، وصاحب هذه الدعوة، لكن هذه كلها نأخذ منها أن الرسول حدث أصحابه عن أمور كثيرة مما سيكون بعدهم ﷺ إلى قيام الساعة.

.....

ولكن كل ما لا بد للعباد منه في أمر دينهم هذا محفوظ، كل ما لا بد منه لأمر الدين فهو محفوظ، فالله قد ضمن حفظ القرآن، وما يلزم لفهم القرآن والعمل بالقرآن وهي السنة. أما الأمور التي لا يتوقف عليها أمر إقامة الدين، فهذه لا يمتنع أن ينسى الناس ما شاء الله منها، يشهد بهذا ما صح عن أبي هريرة أنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين –يعني: من العلم– فأما أحدهما فبثثته فيكم –بيان الأحكام والحلال والحرام والعقائد– وأما الآخر فلو بثثته فيكم لقطع هذا البلعوم.

قال العلماء: يظهر أن المراد الأخبار المتعلقة بالولاة، وهذا من نوعها، بأسمائهم وأسماء آبائهم، المتعلق... سيكون فلان ابن فلان ويكون منه كذا وكذا، هذا خطير، من عنده شيء من هذا الخبر إذا تكلم به هو صاحب هذه الفتنة أو الدعوة أو الولاية قادر عليه سيعاقبه أو يقتله؛ لأنه بهذا يفضحه؛ فلهذا أبو هريرة لم يحدث بهذه الأحاديث، وهي من الأمور التي لا يلزم التحديث بها؛ لأنه لا ينبني عليها شيء، لا يفوت بنسيانها أو بكتمانها المصلحة. وهكذا الإنسان يعذر إذا خاف على نفسه يعذر في أن يبين بعض الأمور.

فالمقصود أن حذيفة ﷺ روى أو أخبر بأنه سمع من الرسول أمورا كثيرة مما يكون إلى قيام الساعة، ولكنه منه ما لم يحدث به ومنه ما نسيه. نعم بعده.

حديث فتن كرياح الصيف منها صغار ومنها كبار

وله عنه ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ مجلسا، أنبأ فيه عن الفتن فقال وهو يعد الفتن: منها ثلاث لا يكدن يذرن شيئا، ومنها فتن كرياح الصيف، منها صغار ومنها كبار .

هذا الحديث يظهر أنه تقدم، فهو يذكر ﷺ أن الرسول –عليه الصلاة والسلام– حدث مجلسا من أصحابه، وكان حذيفة معهم، فحدثهم عن الفتن، وذكر أنها تكون ثلاث فتن لا تترك شيئا؛ يعني: أنها تعم، فتن عامة وتصيب كل أحد، تنال كل أحد بشيء من شرها ومن آثارها، وهناك فتن دونها، ثلاث فتن كبار، وثلاث كرياح الصيف، منها صغار ومنها كبار.

هذا المعنى تقدم، والفتن لا شك، سواء فتن الحروب العمياء، أو الفتن الفكرية الاعتقادية والدعوات، فهذه الألفاظ مجملة تشمل الفتن الحسية وهي الحروب والفتن المعنوية بالدعوات الباطلة، وهي الدعوات الباطلة، كل منها فيها كبار وفيها صغار.

والله أعلم بمراد نبيه ﷺ بهذه الفتن الثلاث، فلا نجزم بتعيينها لكن نذيرٌ للكون، الأحداث، هي فتن عظام في التعريف، حروب طاحنة تستأصل، مثل غزو التتار لبلاد الإسلام فتنة عظيمة، هلك فيها من شاء الله من خلق الله، قدر القتلى بمئات الألوف، فهذه نقول: إنها من الفتن الكبار، لكن لا نجزم أنها هي واحدة أو هي إحدى الثلاث، لكنها من الفتن الكبار العظام.

حديث فتنة الأحلاس

ولأبي داود ﷺ عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: كنا قعودا عند رسول الله ﷺ فذكر الفتن فأكثر فيها، حتى ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل: يا رسول الله، وما فتنة الأحلاسِ؟ فقالَ: هي هرب وحرب، ثم فتنة السراء دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني، إنما أوليائي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كوَرْك على ضلع، ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحدا من هذه الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا انقضت تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسِي كافرا حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمانٍ لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذالكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غد ﷺ .

في هذا الحديث ابن عمر ﷺ يذكر أن النبي -عليه الصلاة السلام- ذكر ذات يوم الفتن، فأكثر من ذكرها، فأكثر من ذكر الفتن، حتى ذكر فتنة الأحلاس، قيل: وما فتنة الأحلاس؟ قال: إنها فتنة هرب وحرب، قيل: إن أصل الأحلاس جمع حلس، وهو ما يوضع فوق ظهر البعير ليقيه أثر القتب، أو الشداد الذي يوضع ليقعد عليه الراكب. قيل في التفسير: إنها سميت فتنة الأحلاس؛ لأنها تلزم الناس وتلصق بهم وتؤثر فيهم كلصوق الأحلاس في ظهور الإبل، فتنة الأحلاس.

قالوا: وما فتنة الأحلاس؟ قال: هرب وحرب، الهرب: الخوف، الهارب: هو الشارد، والهروب: الشرود، فهي فتنة تجعل الناس يهيمون على وجوههم ويفرون من الذعر والخوف. وحرب، أيضا كذلك الحرب تفسر بأنها ذهاب الأموال وتلف الأموال، فهي فتنة تؤدي إلى أن يفر الناس، ويهيمون على وجوههم، وتتلف بسببها أموالهم، هذا نعت فتنة الأحلاس.

وهذه الحالة تحدث وتتكرر، تحدث وتجري على الناس، الفتن التي تؤدي بهم إلى أن يفروا، واقرءوا التاريخ تجدوا أمورا كثيرة تنطبق عليها هذه الصفات.

يقول: ثم بعد هذه الفتنة -فتنة الأحلاس- فتنة السراء، السراء ضد الضراء، فهي فتنة بسبب النعمة، فتنة نعمة وابتلاء، وهذه سنة الله في خلقه؛ يبتليهم بالسراء والضراء، بالخير والشر، وذكر أن هذه الفتنة يكون فيها شر عبر عنه بالدخان، يقول: ﷺ يخرج من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني، إنما أوليائي المتقون ﷺ أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

.....

هذه الفتنة فتنة نعمة، ويكون زعيمها رجل من أهل بيت الرسول عليه الصلاة والسلام، ولكنه غير صالح، ليس بصالح، يدَّعي أنه من الرسول، وأنه من أهل بيته، ويتصرف ويتذرع بذلك ويزعم ذلك، والرسول يبرأ منه، ليس مني، إذًا فلا منافاة بين كونه من أهل بيت الرسول، وقوله: هو ليس مني، فهو وإن كان من بيت الرسول فلا ينفعه، لا ينفعه ذلك، ولا يجعل له منزلة عند الرسول –عليه الصلاة والسلام– على حد قوله عليه الصلاة والسلام: 🕮 ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه 🕮 .

نعم يقول: ثم يصطلح الناس، بعد ذلك يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع، ثم فتنة الدهيماء، يصطلح الناس على رجل كوَرْك على ضِلَع، يصطلح الناس على رجل يكون زعيما لهم، وقوله: "كورك على ضلع"، هذا ينبئ بعدم الاستقرار، أنه من غير استقرار، يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع، الضلع معروف واحد الأضلاع، وهي العظام التي في جنب الإنسان، والوَرْك معروفة أيضا، واللفظ في الحقيقة غير متناسب؛ لأن الورك على الضلع، أم الضلع على الورك؟ المتبادر العكس، كأنه: كورك عليه ضلع، أما الورك لا يكون على ضلع، الورك هو الأدنى، اللهم إلا أن يكون كورك، كما لو جلس الإنسان على ضلع بوركه فلا يكون مستقرا، فالله أعلم.

يقول: "ثم تكون فتنة الدهيماء"، تصغير دهماء، وهي العامة، فتنة عامة فظيعة، والتصغير يكون للتهويل والتعظيم، فتنة الدهيماء لا تترك أحدا إلا لطمته، لا تترك أحدا إلا ناله من أثرها وشرها، ثم تكون فتنة الدهيماء لا تترك أحدا إلا لطمته.

فإذا قيل انقضت تمادت، هذه الفتنة كلما انقضت تمادت، معناه: أنها تطول، وتكون على أحوال، كلما انتظر أن تنقضي عادت، وهكذا تكون الفتن، سواء فتن الحرب أو فتن الدعوات، يكون هذا التقلب بالمد والجزر، والزيادة والنقص، فبينما ينتظر الناس أن تنحسر وتذهب ويستريح الناس من شرها إذ تعود مرة أخرى، وتتمادى، فهذا هو المحسوس والمعروف من واقع الفتن بنوعيها: فتن الحرب وفتن الدعوات المضلة، الدعوات المضلة، "كلما انقضت"، يعني: كلما أوشك انقضاؤها أو ظن الناس انقضاءها تمادت وعادت للنشاط، تعود لنشاطها.

"يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا" هذا ينبئ عن عظم خطرها وعظم تأثيرها: 🕮 يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا 🕮 يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، وهذا مطابق لأول حديث قرئ في هذا الكتاب: 🕮 بادروا بالأعمال الصالحة فتنا كقطع الليل المظلم 🕮 🕮 يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا 🕮 ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا.

.....

إذًا هذا ينبئنا أن من تلك الفتن التي كقطع الليل المظلم فتنة الدهيماء، يعني: هذا تفسير تماما للحديث، من تلك الفتن التي كقطع الليل المظلم فتنة الدهيماء، حَتّى يَصِيرَ النّاسُ بعد ذلك يصيرون وينقسمون إلَى فسطاطين: يعني طائفتين، عُبِّر عنهما بالفسطاط، والفسطاط أصله الخيمة، وهذا فيه نوع من المجاز، يعني عُبِّر بالمحل عن الحالّ، حتى يصير الناس فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسْطاط كفر لا إيْمان فِيهِ، يعنى: حتى يتمايز الناس ويتميز المؤمنون من الكافرين، ثم يخرج، فانتظروا الدجال، قوله: "فإذا كان ذالكم فانتظروا الدجال" هذا يبين لنا أن هذا التمايز عندما تخرج الدابة، وكما جاء في الآثار: وتطلع الشمس من مغربها، إذا طلعت الشمس من مغربها تميز المؤمن من الكافر، وكذلك إذا خرجت الدابة على ما جاء في أحاديث الدابة، ولعل ذلك أيضا يكون عندما ينزل المسيح ابن مريم.

كأن هذا الوصف قبل.. بل بعد خروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها، لأن الدجال يظهر ثم ينزل المسيح فيقتله، فخروج المسيح الدجال قبل نزول المسيح، وقبل يأجوج ومأجوج، فإن المسيح ينزل فيقتل الدجال، فالمقصود أنه تحصل أسباب يتمايز بها الناس، فيتميز المؤمنون من الكافرين، يصير الناس إلى طائفتين، طائفة أهل إيمان لا نفاق فيه، وطائفة أهل كفر لا إيمان فيه، فهذه من جملة الأحوال التي تكون في آخر الزمان.

أما اليوم وما قبل اليوم وما شاء الله، فالأمور مختلطة ومتداخلة، فالمنافقون بين المسلمين، يعني: من الناس من يظهر الإيمان ويبطن الكفر، وهم بين الناس، فليس هناك التمايز، التمايز الحقيقي، بل الأصناف الثلاثة متداخلة، يعني: موجودة على وجه الأرض، لكن المنافقين موجودون بين الناس بين المؤمنين، وهذا التمايز يكون بعد تلك الفتن، يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط كفر لا إيمان فيه، والله المستعان.

الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه.

يعني معلوم أن اليوم هو آخر أيام الدورة، وهو آخر لقاء معكم في هذا الدرس، نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يزيدنا وإياكم علما وهدى وتوفيقا، وهذا الكتاب الذي اختير لهذه الدورة إنما غاية ما أخذنا منه يمكن من حيث عدد الأحاديث يمكن الربع، وعلى كل حال الأحاديث كثيرة، والعلم ليس له حد، إنما على الإنسان دائما أن يواصل هذه المسيرة، مسيرة العلم، سواء كان بالارتباط بدورة أو بجهد فردي أو بحضور دروس أخرى مستمرة، بحسب ما يتهيأ، فالعلم مطلب للمسلم، فلا يزال المسلم طالبا للمزيد من العلم، والذين بلغوا ما شاء

الله لهم من التحصيل لا يقفون عند حد، المهم أن تسير، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما، طريق، هذا الطريق ما له حد، إلا الغاية التي هي لا بد منها وهي الموت.

.....

فأوصيكم ونفسي بالمواصلة دائما، كثير من الدارسين في الدراسات المنهجية إذا تخرج انقطعت صلته بالعلم، إلا أن يكون العمل الذي يرتبط به يتصل بالتعليم، فارتباطه بالعلم بموجب العمل أو الوظيفة، لا، العلم الشرعي يطلب لذاته ولغايته، وقد رأيت في هذا اليوم أن نكمل حديثين فقط لنقف عند موقف مناسب، وفيه بعض التصويبات ربما أني أشرت إلى بعضها الذي استحضرت، تصويبات وردت في نسخة الجامعة، جامعة الإمام التي قامت على جمع مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

وفي هذا السبيل حُقِّقت هذه المؤلفات تحقيقا لا بأس به، وهذا الكتاب –كتاب (الفتن) للشيخ محمد– ألاحظ أنه قد حظي بتحقيق لا بأس به، تعليقات ومقابلات روجعت على الأصول، فهناك تصويبات طيبة لإثباتها؛ ولهذا نقلتها في هذه النسخة التي في أيديكم؛ ليمليها الشيخ فهد عليكم لتثبتوها؛ لأنهم رجعوا إلى الأصول: البخاري ومسلم وأبي داود، مصادر هذه الأحاديث، فهذه ناحية.

الناحية الثانية: أحب أن أقول: إن أحاديث الفتن التي قرأناها، يعني: فيها تنوع، منها أحاديث عامة في الفتن دون تعرض لنوعها ولا لوقتها ولا لاسمها، منها الحديث الأول: 📻 بادروا بالأعمال الصالحات فتنا 📻 هذا إجمال، ما فيها تعيين لنوع الفتن ولا تعيين لكذا ولا كذا، عامة، ومنها ما يتضمن الإشارة إلى نوع الفتنة وتأريخ الفتنة، نوعها وتأريخها على سبيل الإجمال، مثل: الفتنة التي تموج موج البحر، التي سأل عنها عمر ﷺ هذه الفتنة واضح أنها فتنة قَتْل وقتال، وأنها متقدمة في الزمان؛ لأنها تكون بعد كسر الباب الذي كان دونها، هذه فتنة متقدمة تاريخيا.

ومثل الحديث الذي فيه "تقتتل طائفتان عظيمتان من المسلمين، تكون بينهما مقتلة عظيمة"، هذا صريح بأنها فتنة حرب وقتال، وسبق التنبيه على أنها أقرب ما تحمل عليه ما كان في القرن الأول، من الفتنة التي جرت بين المسلمين على إثر قتل عثمان ﷺ .

وهناك من أحاديث الفتن ما يدل على تسمية لبعض الفتن، مثل ما مر، فتنة كذا وفتنة كذا، فتنة الأحلاس، فتنة الدهيماء، فيها تسمية، لكن ليس فيها إشارة إلى الزمن وإلى الوقت.

أما أشراط الساعة، وأهل العلم يدرجون ويذكرون أشراط الساعة ضمن أحاديث الفتن؛ لأنها تشترك معها في أنها مما يكون في آخر الزمان قبل قيام الساعة.

ثم الفتن كما تقدم الإشارة إلى أنها أنواع: فتن قتال وحرب، وفتن دعوات مضلة، وكلها فيها خطر على الأديان وعلى الدين والدنيا جميعا، فيها أخطار، فالرسول ﷺ يخبر عن هذه الفتن ليحذرها الناس، ليتقوها، وهذا من كمال نصحه عليه الصلاة والسلام، وقد بلغ البلاغ المبين، فكما أخبر أنه لم يكن نبي قبله إلا كان حقا عليه

.....

أن يدل أمته على خير يعملونه، ويحذرهم من شر ما يعلمونه، فالرسول –عليه الصلاة والسلام– هو أكمل الأنبياء في هذا، فما من خير إلا دل أمته عليه، وأرشدهم إليه، وما من شر إلا حذرهم منه؛ حذرهم من الشرور التي هي المنهيات، وحذرهم من الشرور التي فيها أخطار تجر إلى المنهيات، الأحداث، حوادث الزمان التي تجر إلى المعاصي، ففتن الحروب العمياء هذه تجر إلى الوقوع في سفك الدماء بغير حق.

فيجب اعتزال هذه الفتن، عدم الدخول فيها، أما القتال المشروع، قتال الجهاد في سبيل الله أو قتال البغاة كما نص الله على ذلك فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي، إذا تبين شرعية القتال لم يكن هذا القتال فتنة، القتال المشروع ليس بفتنة، هذا القتال المشروع جهاد في سبيل الله، وأفضله وأعظمه جهاد أعداء الله.

وكما أفادت عمومات أحاديث الفتن على أن هذه الأمة مبتلاة، وهذا الابتلاء لله فيه حكم، هذه الأحداث وهذه الفتن التي تجري وجرت في هذه الأمة لها حِكمٌ، لله فيها حكم بالغة، فيه تمحيص للمؤمنين وفيه عقوبة للعصاة بما ينزل عليهم من آثار هذه الفتن، فتن الحروب، وفي الفتن الفكرية فيها ابتلاء للخلق ليتبين من يستجيب لها ومن لا يستجيب، فيضل بهذه الفتن أقوام، ويسعد بها آخرون من الذي اتقوها وتجنبوها وعرفوا ما تنطوي عليه من الفساد والشر. فالحياة معركة وهدى الله هو المعتصَم، من اعتصم بكتاب الله وسنة رسوله نجا من شرور الفتن كلها، فالمعتصَم هو الكتاب والسنة.

كما يلاحظ أن أحاديث الفتن قل فيها التعيين، فيها الإجمال، كما يروي حذيفة أن الرسول –عليه الصلاة والسلام– أخبرهم بكل ما يكون، بكل فتنة تكون بعده إلى قيام الساعة، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه، ومع ذلك فيما يظهر أنه لم ينقل من هذا البيان إلا القليل.

هذه بعض الجوانب التي أحببت أن نلاحظها ونتأملها في أحاديث الفتن، فهي أنواع، ومن أحاديث الفتن ما هو صحيح في غاية الصحة، ومنها أحاديث فيها نظر أو ضعيفة، والمعول على ما صح عن النبي عليه الصلاة والسلام، وقد يشهد للضعيف شواهد تدل على صحة الخبر، ثم أيضا من الجوانب التي سبق التنبيه عليها أن هذه الأحداث منها ما علم وقوعه أنه قد وقع بالفعل، ومنها ما يعلم أنه لم يقع قطعا، ومنها ما لا يجزم فيه بشيء من ذلك لعدم ما يدل على التأريخ، ولعدم العلم بالواقع، بقي حديثان نقرأهما الآن، يقرأهما الشيخ فهد. تفضل.

حديث حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، قال رحمه الله تعالى: وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين: فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم" رواه البخاري.

إلى هنا، هذا الحديث بالأمس حصل ذكره والاستشهاد به، فأبو هريرة حافظ السنة روى الكثير عن النبي عليه الصلاة والسلام، فلم يروَ عن أحد من الصحابة كما روي عنه، ومع ذلك يقول: حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين، في هذا التعبير نوع من التجوز، فالوعاء هو ما يجعل فيه الشيء، الظرف والجراب والمزود، حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين، يعني: نوعين من العلم، كأن كل واحد وضع في وعاء، أما أحدهما فبثثته، بثثته فيكم ونشرته وأذعته وبلغته، وأما الآخر فلو بثثته فيكم لقطع هذا البلعوم.

أما الأول فهو ما بلغه من سنة الرسول –عليه الصلاة والسلام– المشتملة على أحكام الدين من السنن والواجبات والحلال والحرام والعقائد وما أشبه ذلك، وأما الآخر ففسره العلماء وقالوا: إن هذا يريد به أبو هريرة ما حفظه من رسول الله ﷺ من الأخبار عن الولاة والأمراء بأسمائهم، فلو أنه تكلم فيهم وهم معاصرون له لقطع هذا البلعوم، لو أخبر عما سيأتي في آخر الزمان، فإن ذلك لا يضره، لكن هذا يشعر بأنه لديه أحاديث تتعلق بالواقع الذي هو فيه، تتعلق بالولاة في عهده رضي الله عنه وقد توفي رضي الله عنه في سنة سبع وخمسين من الهجرة، وقد يكون بعض ما تضمنه من الأحاديث المتعلقة بالأمراء قد يعاقب؛ لأن فيها تنصيص على بعض أسماء وبعض قبائل، أو بعض أمور تتعلق بالتصرفات، تصرفات بعض الولاة.

يقول: لو بثثته لقطع هذا البلعوم، وسبقت الإشارة إلى أن هذا النوع من العلم لا يضر الأمة إذا جهلته، لا يضر الأمة، إنما ما يهم من هذه الأخبار هو ما يتعلق بما يفعله العبد وما لا يفعله، وما يؤمن به وما لا يؤمن به، ويجوز للإنسان أن يكتم من العلم ما يخشى على نفسه بنشره، فهو معذور، أو ما تقتضي المصلحة كتمانه عن بعض الناس، مثل ما قال فيه عليه الصلاة والسلام : "لا تبشرهم فيتكلوا" وقال علي رضي الله عنه حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله. نعم الحديث الأخير.

حديث هلكة أمتي على يدي أغيلمة من قريش

وله عنه ﷺ أنه قال: 🕮 سمعت الصادق المصدوق ﷺ يقول: هلكة أمتي على يدي أغيلمة من قريش. قال مروان: لعنة الله عليهم غلمة. قال أبو هريرة: لو شئت أن أقول: بني فلان وبني فلان لفعلت. فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا الشام، فإذا رآهم هؤلاء أحداثا غلمانا قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم؟ قلنا: أنت أعلم. وجدّه الراوي عن أبي هريرة 🕮 .

في هذا الحديث يروي أبو هريرة ﷺ أن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: "هلاك أمتي على يدي أغيلمة"، تصغير غلمة، وهو تصغير إما للتحقير أو لبيان صغرهم، صغر سنهم، "على يدي أغيلمة من قريش"، إذن هؤلاء لهم سلطان ولهم شأن، على يدي أغيلمة من قريش، وكان أبو هريرة يحدث بهذا الحديث ومروان بن الحكم حاضر فقال: "لعنة الله عليهم من أغيلمة"، يعني: هؤلاء الذين يكون هلاك هذه الأمة على أيديهم، وهو لا يعلم من يكونون، لعنة الله عليهم من أغيلمة، يقول أبو هريرة: ولو شئت لسميت وقلت: إنهم بنو فلان وبنو فلان، أو بنو فلان بن فلان.

يقول الراوي عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، يقول: خرجت مع جدي، الذي هو سعيد، سعيد بن عمرو هو الراوي، عن أبي هريرة، الجد، خرجت مع جدي إلى الشام، فكان يرى بعض الولاة أحداثا، يقول: فيقول: عسى أن يكون هؤلاء هم الأغيلمة؟ يقول: فنقول له: أنت أعلم.

وهذا –الله أعلم– هو من نوع ما ذكرت لكم أنه من النوع المجمل الذي لا يقطع بتعيينه، لا يقطع فيه بتعيين، لكن غاية الأمر أن من ينطبق عليهم الوصف يقال: لعلهم، عسى أن يكونوا هم المعنيين بهذا الحديث، يعني نوع من الاحتمال؛ ولهذا سعيد لما رأى ما رأى من أولئك الحدثاء الأسنان، وليسوا على جانب من الاستقامة، بل منهم تدابير سيئة، قال: عسى أن يكونوا هم أولئك الأغيلمة، يقول عمرو بن يحيى: فنقول: أنت أعلم، وهو لم يجزم، يقول: عسى أن يكونوا، احتمال.

وهكذا يجب إذا رؤي شيء من الأمور التي يظن، يقال: لعله ولعله، يحتمل أن يكون هذا هو ما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأن التعيين فيه جزم بأن الرسول عنى هذا الشيء المعين، وهذا يحتاج إلى توقيف، فالنصوص فيها إجمال وإشارات وذكر أوصاف، وهذه الأوصاف قد تكون منطبقة في نظر بعض الناس، وقد لا تكون منطبقة، وقد يراد بأولئك الموصوفين أعيان آخرون. أعد الحديث مرة أخرى، نعم.

.....

وله عنه ﷺ سمعت الصادق المصدوق ﷺ يقول: هلكة –هلكة أم هلاك؟ يراجع في التصويبات– أمتي على يدي أغيلمة من قريش. قال مروان: لعنة الله عليهم غلمة. قال أبو هريرة: لو شئت أن أقول: بني فلان وبني فلان لفعلت. فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان ﷺ .

كان المناسب أن يقول: قال عمرو: فقلت؛ لأن بهذا التركيب ما يتضح المعنى، قال عمرو: فخرجت مع جدي، قال عمرو الراوي عن جده: فخرجت مع جدي، قال: فخرجت، نعم.

قال: فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا الشام، فإذا رآهم هؤلاء أحداثا غلمانا قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم، قلنا: أنت أعلم، وجدّه الراوي عن أبي هريرة.

وجده هو الراوي عن أبي هريرة، وهو سعيد بن عمرو، وأولاد مروان الذين ولوا الخلافة معروفون هم أربعة: أولهم عبد الملك بن مروان، ثم يزيد بن مروان، ثم جاء عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد الذي تميز عمن قبله وعمن بعده بالصلاح والتقى وحسن الرعاية والقيام بالعدل، أما غيره فهم على مراتبهم وهم ملوك، وحصل في عهودهم وفي وقتهم –وقت عبد الملك وما بعده– جرى على المسلمين فتن كبيرة وقتال على الملك، فعبد الملك لم يستقر، يعني: لم يتم له الأمر إلا بعد حروب بقتال دامية، فمن الهلاك ما يحصل على المسلمين من هذه الحروب التي منشؤها هو النزاع على السلطة، ولا حول ولا قوة إلا بالله! وكما وعدت بأننا نكتفي بهذا القدر، نسأل الله للجميع التوفيق والهداية والسداد، لعلك تراجع لهم بعد الأسئلة أو قبل الأسئلة.

كما وجه الشيخ –حفظه الله تعالى– التصويبات يا إخوان كثيرة، وسنصورها إن شاء الله وتكون موجودة في الجامع إن شاء الله. نعم. وفي العام القادم إن شاء الله –تعالى– نعدكم بأن نأخذ النسخة التي عند الشيخ، ويكون الطباعة إن شاء الله عليها.

س: سائل يقول: فضيلة الشيخ، ما حكم التبرع بالكلية؟

ج: هذه المسألة خلافية، والعمل الآن الجاري على الجواز، ولكن الراجح عندي –والله أعلم بالصواب– أنه لا يجوز، وهذا اختيار شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز، وهو اختيار الشيخ محمد بن عثيمين، والشيخ عبد الرحمن بن السعدي بحث المسألة ورجّح أو مال إلى القول بالجواز، فهي مسألة اجتهاد، وقد توسع الناس واستغلوا القول بالجواز حتى صاروا يُرغِّبون من يرغبون في التبرع، حتى إنه يطلب ممن أوشك على الموت أن يتبرع أو يوصي أنه إذا كان عند موته أنه يؤخذ منه كذا وكذا، وهذا في الحقيقة وضع مزرٍ أن يُمثَّل بالمسلم فتقطع أعضاءه: الكلية، الكليتان والكبد والقلب يمكن، يعني كلها مما يزرع.

.....

فإنه لا يجوز العبث في جثة المسلم حتى ولو كان راضيا، حتى ولو وافق على هذا بناء على القول بالجواز، بل أنا أقول: إنه لا ينبغي، بل أقول: لا يجوز للإنسان أن يتبرع يقول: أنا أتبرع بكليتي وبكبدي بعدُ، إذا أنا مت أو أوشكت على الموت فلتؤخذ، هذا عبث في جثة المسلم. والله المستعان ولو كان التبرع وهو حي كذلك، الإنسان ما يملك أنه يتبرع بجسمه، ما يتبرع، وإن كان يقال: إنه لا يضره، هو يضر، الكليتان كل منهما لها وظيفة، واحدة تسند الأخرى، تساعد الأخرى، لو حصل في واحدة ضعف سندتها الأخرى، فإذا قطعت منه الكلية أصبح الآن مهددا أكثر، ففيه ضرر.

س: أحسن الله إليكم، ما رأيكم فيمن يقول: عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين أنه خطأ لأنها تتضمن القدح في معاوية؟

ج: نعم هو خليفة راشد –رضي الله عنه ورحمه– لأنه أشبه بالخلفاء الراشدين، وإن لم يكن في درجتهم، لكن لما اتصف به وقام به من العدل شبه بهم، وأطلق من أطلق عليه الخليفة الخامس من الخلفاء الراشدين، وأما معاوية، وإن لم يكن في درجته من حيث أسلوب الإدارة، إدارة الحكم وإدارة الملك، فله فضيلة لا يلحقه فيها عمر ألا وهي فضيلة الصحبة، رغمت أنوف الرافضة الذين يعتدون عليه ويسبونه.

س: أحسن الله إليكم، يقول: نسمع كثيرا حول النية لتغيير المناهج الدراسية، فما نصيحتكم، وجزاكم الله خيرا.

ج: أنصحكم، أنتم من تغيرون حتى أنصحكم، نصيحتي أن تدعو الله أن يحفظ على الأمة دينها وأن يصد عنها كيد الكائدين، وأن يرغم أنوف المفسدين، وأن يحول بينهم وبين ما يريدون، فالكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم والمنافقون هم وراء كل عمل يناقض ما يجب أن تكون عليه الأمة، فمناهج التعليم المستمدة من الكتاب والسنة لا يغيرها إلا منافق أو من في قلبه نفاق يحاول تقليصها، ولا سيما الآن هم أكثر ما يضيقون به ما تضمنه المناهج من ترسيخ مبدأ البراء من الكفار، وهذا منشؤه مصانعة الكفار، مصانعتهم ومجاملتهم واسترضاؤهم؛ لأن الكفار يضيقون بذكر ما يجب على المسلمين من عداوتهم وبغضهم.

وعجبا لأولئك الذين يحاولون مثل هذا، ماذا يصنعون بالقرآن المحفوظ، هذه المناهج إنما استمدت من نصوص: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا ﴾[1] ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ

١ – سورة الممتحنة آية : ٤.

.....

وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [1] الله عدو للكافرين، ومن كان الله عدوا له فيجب على المؤمنين أن يكونوا أيضا أعداء له، فالمؤمنون هم أعداء للكافرين، والكفار أعداء لله ولرسوله وللمؤمنين، العداوة قائمة، لكن فيه عداوة بالقلب وبغض في القلب، ويترتب عليها أحكام متنوعة في التعامل في العداوة والبغضاء التي تجب على المؤمنين للكافرين، هذه يجب أن تكون مستقرة في القلب، ولها آثار عملية تختلف باختلاف أصناف الكفار.

فالمحاربون تجب عداوتهم بالقول، بالفعل، بالمحاربة، بالقتال، بالترصد بقدر الاستطاعة حسب ما يحقق أيضا المقصود الشرعي، وأما المعاهدون وأهل الذمة كما كانوا أهل ذمة، والآن لا وجود لأهل الذمة، أهل الذمة الذين يعقد لهم العهد أن يدفعوا الجزية: ﴿ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [2] هؤلاء هم أهل الذمة، فهؤلاء تجب عداوتهم وبغضهم، لكن ليس معنى هذا أنهم يضربون ويعتدى عليهم بناء على كفرهم، لا، بل يبغضون ويحذرون ويعادون عداوة الدين، لكنهم معصومون، معصومو الدم والمال، فلا يعتدى عليهم ولا يظلمون؛ لأن هذا بموجب العهد.

س: أحسن الله إليكم، يقول: ما حكم مشاهدة المسلسلات الإسلامية التي لا يوجد بها نساء؟

ج: لا يعجبني الاشتغال بالمسلسلات، المسلسلات التي تسميها أنت الإسلامية، أو يسميها من يسميها هي ضروب من اللهو، ضروب من اللهو، والمعاني المفيدة والمطلوبة هذه تبلغ وتوصل بالكلام، بإلقاء المعاني، وذكر الدلائل وذكر الأخبار بالكلام، لا حاجة إلى أن تمثل لك بطريقة تمثيلية، فالتمثيل غايته اللهو، هذا قدر مشترك في جميع صور التمثيل، اللهو، وتختلف المقاصد، فبهذا الاعتبار تتفاوت درجات هذه المسلسلات، فبعضها يشتمل على شرور كثيرة، مسلسلات بشكل إجماع عام، وبعضها إنما يشتمل على الصور، مشاهدة الصور والمشاهد، وكثيرا ما يتعلق نظر المشاهد بالمناظر، بالصور، ويغيب ذهنه عن المعاني المطلوبة، فأنا أنصح بعدم التشاغل والتعلق بهذه المسلسلات.

س: أحسن الله إليكم، يقول: بالنسبة لبطاقة الصراف الآلي، إذا صرف الشخص من بنك آخر غير البنك...

---

١ – سورة البقرة آية : ٩٨.

٢ – سورة التوبة آية : ٢٩.

.....

ج: الذي يظهر لي أنه لا بأس بهذا، وإن قال بعض الباحثين والمهتمين أن هذا يتضمن الربا، لكن الذي عندي الآن أن ما يؤخذ من الفرد إنما هو في مقابل الخدمة، خدمة الآلة، الآلات هذه تشترى بمبالغ كبيرة، فهذا لا بد فيه من تبادل هذه الخدمات، أجور هذه الخدمات، فالصراف الذي يكون السحب منه لا بد أن يأخذ من الجهة التي فيها الرصيد، أن يأخذ مقابلا لهذه الخدمة، فعلى العموم الذي يظهر لي أنه لا بأس به.

س: أحسن الله إليكم، يقول: ما حكم الحناء الذي يوجد عند العطارين لصبغ الشعر بالأسود، وما الحكم إذا لم يكن في الشعر شيب؟

ج: على كل حال ليست العبرة بالأسماء، العبرة بالحقائق، فصبغ الشيب بالأسود قد جاء النهي عنه، ولو سمينا المادة التي بها الصبغ حناء، يعني عندي أنه ليس بحناء، لكن يسمى حناء، والأصل أن الحناء يصبغ صبغا آخر، يصبغ أحمر، فتسمية هذا حناء مجرد تسمية، وإلا فهو صبغة سوداء، وقد جاء النهي عن الصبغ بالسواد.

س: أحسن الله إليكم، يقول: ما حكم التعامل مع الفروع، أو بالأصح التعاملات الإسلامية في البنوك الربوية؟

ج: أنا أنصح بعدم التعامل مع هذه الفروع؛ لأن هذه الفروع ما أسست على تقوى، أسست من أجل استقطاب وجذب الزبائن الذين عندهم محافظة ويحاذرون الربا، عملت لهم هذه الفروع لسحبهم أو لجذبهم لعقد عقود مع البنك؛ ولهذا البنوك –بنوك الدول الكافرة– كالبنك الأمريكي والبريطاني يفتح مثل هذه الفروع، فهذه البنوك ليس عندهم مانع أنك تختار: عقدا ربويا أم عقد إسلاميا؟ فهي على كل حال ينبغي عدم التعاون معها، وكذلك هي غير موثوقة في معاملتها المزعومة، غير موثوقة في تلك المعاملات المزعومة، فمن أراد أن يعامل فليشترِ السلعة ممن يملكها، يعني مثلا السيارات أو غيرها، يشتري السلعة ممن يملكها ثم يقبض السلعة ويتصرف فيها إن كان اشتراها ليبيعها يقبضها وينقلها، ثم يتصرف فيها لقوله عليه الصلاة والسلام: ﴿ لا تباع السلع حيث تبتاع حتى يحوزها التجار إلى رحالهم ﴾.

س: أحسن الله إليكم، هذا سائل يقول: كيف نجمع بين فشو القلم وبين رفع العلم؟

ج: سبحان الله! إنما أوتي هذا السائل مِن تصوره بأن المراد من رفع العلم بمفهومه العام، لا رفع العلم المراد به العلم الذي به الهدى والنور وسعادة البشر، العلم الشرعي، ولهذا هو ارتبط به موضوع الجهل، الجهل إذا أطلق هو الجهل بدين الله، ففشو القلم والهندسة والاختراع والصناعات هذه كلها لا وزن لها في جانب العلم الشرعي، فشو القلم من العلوم المشتركة، يعني العلم نوعان: علم يختص به أهل الإسلام وهو علم النبوة، العلم المستمد من الكتاب والسنة.

.....

وعلم مشترك؛ العلوم، الطب والهندسة والكتابة والطباعة والمخترعات، كل هذه علوم مشتركة، يشترك فيها الناس، والكفار فيها أمهر وأقدر.

س: أحسن الله إليكم، يقول: ما هي بلاد الشام وحضرموت والحجاز الآن؟

ج: يعني نعرف أنه ليس للحدود السياسية اعتبار في هذه المسميات، فهذه المسميات ترجع إلى أصل الاصطلاح القديم، فالشام هو يعني شمال الجزيرة، وممثل الآن بما بعد تبوك: الأردن المعروفة، الأردن سوريا ولبنان وفلسطين هذه كلها تندرج في اسم الشام. واليمن كل ما كان يمن مكة فهو يمن، اسمه يمن، كما تقدم قريبا في الإشارة إلى هذه، بلاد سبأ وحضرموت كلها يمن، وعدن يمن.

س: أحسن الله إليكم، يقول: كيف نوفق بين خروج الخير والعلم في نجد وبين قوله ﷺ "نجد قرن الشيطان"؟ .

ج: الظاهر أن الأخ ما حضر الكلام على حديث أن النبي ﷺ قال: "الفتنة من هاهنا" وأشار إلى المشرق، وأن أهل العلم فسروه بالعراق وما وراءها، وأما هذه المنطقة فليس اسمها نجدا، لكن ربما سميت نجدا ما أدري في بعض العبارات أو في بعض الأوقات، أما اسمها الأصيل: اليمامة، فهي من ملاحق الحجاز، هذه اسمها اليمامة، ولما أُري النبي –عليه الصلاة والسلام– مُهاجرَه في المنام، وأنها أرض ذات نخل، جاء في الحديث الصحيح أنه قال: "ذهب وهلي إلى أنها اليمامة"، وذكر لي أن أحد أهل العلم لعله هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن تأول وقال: لعل ما وقع في وهل النبي وفي خاطره أن مهاجره اليمامة، لعل من تحقيق ذلك ما حصل أو ما يسَّر الله من دعوة الإصلاح في القرن الثاني عشر من الهجرة، فهذه هي اليمامة.

خاتمة

أحسن الله إليكم، فضيلة الشيخ، نود في نهاية هذا اللقاء أن تكون لكم كلمة للأخوة الحضور.

لعلي قدمت النصيحة في البداية، أنا قدمت النصيحة وأوصيكم ونفسي بتقوى الله في السر والعلانية والاستمرار في سبيل التزود من العلم، وأن هذا ليس له حدود، كما أوصي أيضا بالعناية بعقيدة السلف، العقيدة المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله؛ فإن الأمة الإسلامية بليت بمذاهب بدعية دخلت على الناس وعمّت في باب الأسماء والصفات وفي باب القدر، وفي باب الإيمان وفيما يتعلق بالصحابة، فيجب معرفة العقيدة الصحيحة في هذه الجوانب، في باب الإيمان، في باب القدر، في باب الأسماء والصفات، وفيما يتعلق بالصحابة والحذر من الأفكار البدعية، كبدعة الرفض، وبدع الصوفية.

.....

وهذه البدع أنواع: منها ما يصل إلى الكفر والشرك، ومنها ما هو دون ذلك، فهي على مراتب، فعلى طلاب العلم الذين مَنّ الله عليهم بطلب الحق عليهم أن يعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله، وأن يعولوا على المأثور عن الأئمة، أئمة السنة المتقدمين، ومن درج على سبيلهم.

فالأمة مفترقة كما أخبر عليه الصلاة والسلام، تفرقوا كثيرا، فلا بد أن يلتمس الإنسان الطريق، طريق الفرقة الناجية، لعله ينتظم في سلكهم، ويكون في عدادهم، وهذا الطريق –ولله الحمد– محفوظ وعليه أعلام، وله دعاة وله هداة وله أئمة، وليحذر المسلم من التعصب لمذهب قومه وأهل بلده، بل عليه أن ينصح لنفسه، الناصح لنفسه لا يتعصب لمذهب ولا لإمام معين، لا يتعصب، بل يطلب الحق، يطلب الحق الذي جاء به الرسول ﷺ وكان عليه أصحابه من بعده، ثم التابعون لهم بإحسان، هذا هو الواجب على المسلم.

فمن القبيح عقلا وشرعا التعصب للأسلاف، للآباء، للمتبوعين، حتى التعصب للمذهب، الأئمة الأربعة لا يجوز التعصب لأحد منهم، كما حذَّروا هم، هم أنفسهم حذروا من التعصب، والأخذ بأقوالهم تقليدا محضا لهم دون طلب للحجة، فالحق هو ما قام عليه الدليل، فأقوال الأئمة يجب أن تعرض على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فما وافقها فهو حق، وما خالفها فهو مردود، والأئمة معذرون باجتهادهم، وما لم يتبين في هذا ولا ذاك فهو سائغ الاتباع لا واجب الاتباع.

والناس في أهل العلم كذلك ثلاث: منهم المتعصبون الغلاة فيهم، ومنهم المستهينون بأقدارهم المستخفون بهم، فهذان على طرفي نقيض، والثالث هم المتوسطون الذين يعرفون للأئمة الأوائل أقدارهم وفضلهم وعلمهم واجتهادهم ويستفيدون كذلك من فهومهم، ولكنه لا يتعصب لهم ولا يحكم أقوالهم على كتاب الله وسنة رسوله، بل يحكم الكتاب والسنة على أقوالهم، ويعرض أقوالهم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

هذا في المسائل العملية والمسائل الفقهية، فكذلك المسائل العقدية، فمسائل الاعتقاد شأنها أعظم من المسائل العملية الفقهية، فعلى المسلم أن يعرف المنهج الحق وبدليله ولله الحمد، ومسائل الاعتقاد، الخلاف فيها –ولله الحمد– لا خلاف؛ إذ لا خلاف بين أهل السنة في مسائل الاعتقاد أبدا إلا مسائل قليلة جدا معدودة تعد بالأصابع، أما بقية المسائل –ولله الحمد– فهم متفقون عليها.

فعلى المسلم أن يسلك الطريق على إثر السلف الصالح الأوائل، وليس العبرة بالدعاوى، بل العبرة بالحقائق، فنسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يلزمنا وإياكم هداه، وأن يجعلنا وإياكم من المتبعين لأولئك السلف المتبعين لهم بإحسان كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ

.....

رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ بِسۡمِ ﴾[1] **والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله.**

وفق الله الجميع وجزى الله القائمين على هذه الدورات المباركة، وأخص بالدعاء الشيخ فهد، وفقه الله وأعانه وأعان من أعانه، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله.

١ – سورة التوبة آية : ١٠٠.